

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٩٦ - صفر ١٤٢٢هـ - أبريل/مايو ٢٠٠١م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 296- APR./MAY. 2001

- المساجد التاريخية في الطائف
- إمارات مدغشقر الإسلامية
- في الدوحة: مئة عام من الفن التشكيلي العربي
- مير في ذمة التاريخ
- الحمامات الاستشفائية في تونس
- الأيل: الحيوان الطروب!!

الأطماع الإسرائيلية في المياه العربية

مسابقة «الفيصل».. وجوائز أكثر



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة السعودية للتوزيع - هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢٠٠، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١، ٩٦٣٠٠، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٢١٦٠٠، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٩٧٤٠٠، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦، ٩٦٢٠٠، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٩٧١٠٠، الجزائر - مؤسسة E.B.D PRESSE لتوزيع الصحافة. ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ - ٢١٣٠٠، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٩٦٥٠٠، السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب MOROCO - SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32، باكستان PAKISTAN
PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.
الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨





الأطماع الصهيونية في المياه العربية

الموارد المائية محدودة ومتناقصة باستمرار كغيرها من الموارد الطبيعية، وللإنسان وممارساته دور كبير في ذلك.
وقد أدركت إسرائيل هذه الحقيقة، واتجهت بقليل من الكلام، وكثير من العمل للسيطرة على مصادر المياه والتحكم فيها، فإلى أي مدى بلغت الأطماع الصهيونية في المياه العربية؟ وهل ستكون الحرب القادمة في الشرق الأوسط حرب مياه؟

إدارة التحرير:
رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨

ألا أستحق الفوز؟!

أتقدم لكم جميعًا بالتقدير والاحترام على جهودكم الدؤوبة في مجلة الفيصل «الغراء» داعين لكم بالتوفيق وجزاكم الله خيرًا.

لقد سبق أن انتقدت أسلوب الفوز بالمسابقة، ووصفت ذلك (بالأقلمة) في اختيار الفائزين، وقد قمتم بالرد عليّ في المجلة على صفحات العدد رقم ٢٨٦، وفندتم وبرأتم أنفسكم من ذلك، وبعدها جاء أسلوب الفوز صحيحًا ١٠٠٪ دون زيادة أو نقصان، نعم وهذا ما أثبتموه من خلال تخصيص الفائزين لجميع الدول، وبالدور، والحمد لله، وشكرًا على هذا التجاوب الطيب من قبلكم والنزاهة بذلك.

ولكن ذكرتم في آخر ردكم على مقالي بأن تمنيتم أن يحالفني حظ الفوز بإحدى الجوائز القادمة، ولذلك أسحب اتهامي لكم بالأقلمة.

ومنذ أن وضعتم المسابقة، ومن تاريخ نشر مقالي في العدد ٢٨٦ حتى آخر عدد وصلني رقم ٢٩٣ أي بعد مرور ٨ أشهر، وقبلها بمدة كثيرة لم يحالفني حظ الفوز على الرغم من المشاركة الدائمة في جميع الأعداد، فيا حبذا لو تنظرون إلى مشاركاتي التي أجوبتها صحيحة ١٠٠٪ بعين العطف. وها أنا ذا أرفق في طي رسالتي هذه صورة عن المقال المنشور بالمجلة «الأقلمة عند سحب القرعة».

وتفضلوا بقبول الاحترام آملاً من الله ثم منكم الفوز بما ترونه مناسبًا بذلك وشكرًا لكم.

ندى عوني محمد
عمان - الأردن.

التحرير:
نشكر لك اهتمامك بمتابعة المجلة وحرصك على المشاركة في مسابقاتها، ونود أن تعلمي أن أسلوب تحديد الفائزين لم يتغير؛ لأنه قائم منذ البداية على أساس إتاحة فرصة عادلة للجميع، ومن ثم كان صحيحًا مئة بالمئة.

ولذا، فإنه يصعب علينا أن نتيح الفوز لقارئ؛ لأنه أكثر اشتراكًا في المسابقة، ولا سيما أن هناك كثيرًا من القرّاء لا ينقطعون أبدًا عن المشاركة فيها، ونأمل أن يبتسم لك الحظ قريبًا، علمًا بأن هناك زيادة في عدد الجوائز المرصودة للمسابقة ابتداءً من هذا العدد، مما يزيد فرص فوز أمثالك من القراء المتابعين.

في مواجهة التعريب

لقد حصلت على عنوان داركم في أثناء تعرضي مع عدد من رفقائي لدور النشر العربية والإسلامية، وجذب انتباهي انتساب داركم لعلم من الأعلام الذين لا يشق لهم غبار، وكان للملك فيصل - رحمه الله - يد كريمة لم تتوان في دفع حركة العلم والثقافة العربية والإسلامية إلى الأمام.

لقد كادت داركم تتميز كثيرًا - خصوصًا مع التقدم التكنولوجي والثقافي - فاتخذت لها موقفًا تحمي به بني العروبة والإسلام من الاستلاب الثقافي ومسخ الشخصية الإسلامية، ووقفت داركم موقفًا مشرفًا يسجله التاريخ، وهو يمثل تصديًا ورفضًا واضحًا لما يسمى بالغربنة أو التغريب - ويعبر عن اهتمامكم بقضايا المثقف العربي المتجددة والمتعرضة للتمييع الدائم من أعداء الإسلام أحفاد الصليبيين ومعتدي المسجد الحرام.

ولعلي ألفت انتباهكم إلى ضرورة نشر الكتب التاريخية المتعلقة بفلسطين لانتشار مفهوم فاسد حتى في الدول العربية مضمونه أن اليهود - أعداء الدين والوطن - هم أهل الأرض حقًا كما يدعون!

وفي الختام تقبلوا فائق الاحترام والتقدير ووفقكم الله لما يحبه ويرضاه.

فويع عبدالقادر
حي بوعافية - بناية ٣٦٣ باب ٥ حاسي ١٧٣٠٠ الجلفة ١٧٠٠٠ الجزائر ١٦٠٠٠

التحرير:
نشكر لك هذا الإطراء وهذه الثقة بمجلتكم، ونأمل أن تكون عند حسن ظن القراء دائمًا، ونفيدك أن المجلة سبق أن نشرت كثيرًا من المقالات عن فلسطين، كما أعدت ملفات متخصصة واستطلاعات عن مدنها.

اقتراحات

أسعدتني عودة المسابقة الثقافية إلى مجلة «الفيصل» الغراء التي أواظب على اقتنائها؛ لأنها من أهم كنوز الثقافة العربية من دون مبالغة أو مجاملة، وهذا من باب إحقاق الحق ليس إلا... وبودي من باب الغيرة على مجلتي العزيزة أن أطرح هذه الاقتراحات:

أولاً: فتح مكتب لمجلة الفيصل في مصر، ولو تعذر ذلك إنشاء صندوق بريد للمجلة في القاهرة ليتم التواصل بسرعة بين القراء في مصر، وهم كثر، والمجلة.

ثانيًا: جعل المسابقة الثقافية في مجلتكم الغراء الزاهرة منارة إشعاع للثقافة العربية والإسلامية وتراث العرب وتاريخهم ولغتهم التي تعد أهم عوامل الربط بين أبناء العروبة والإسلام في كل مكان، والتي توجها الله عز وجل بأن جعل القرآن الكريم بلغتنا العزيزة الخالدة، اللغة العربية لسان الضاد. واقتراحي أن تكون أسئلة المجلة على النحو الآتي:

السؤال الأول: لابد أن يكون في القرآن الكريم: التفسير أو أسباب النزول أو ضبط تشكيل كلمات معينة أو الموقع الإعرابي لكلمة معينة وما شابه ذلك.

السؤال الثاني: سؤال خاص في الدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي العريق أو السيرة النبوية العطرة أو أحكام الشرع والفقه.

السؤال الثالث: يختص بالشعر العربي العمودي، أن يأتي السؤال على هيئة مقطوعة شعرية مجهولة المؤلف، وتشمل كثيراً من المفردات العربية القديمة، ويكون السؤال عن اسم الشاعر ـ وعن أي شيء يتحدث الشاعر في هذه الأبيات، وبهذا نشجع القراء على أمرين: الأول قراءة الشعر العربي، والأمر الآخر البحث في المعجم لكي يصل إلى معاني كلمات وردت في الأبيات، فنكون حققنا غرضين بسؤال واحد.

السؤال الرابع: يختص بالتراكيب اللغوية، ومتى تستعمل مثل: أطلق ساقيه للريح، واختلط الحابل بالنابل، وعاد بخفي حنين، وعاد صفر اليدين، وما أشبه ذلك؟ لننمي ملكة التعبير والخطابة عند القراء.

صدقوني إخواني الأعزاء أنكم سوف تقولون: إن المسابقة ستكون دينية ولغوية بحت ولكن الذي أرد به عليكم هو أن هذين الشيئين هما ما يهمنا نحن العرب (الدين واللغة) فهما (هويتنا) في هذا العصر، ولا يمنع وجود هذه الأسئلة إضافة أسئلة أخرى متنوعة في المعلومات العامة والتاريخ والجغرافيا وباقي فروع المعرفة.

الاقتراح الثالث: فتح باب في المجلة بعنوان «أقلام واعدة» أو مع المبتدئين أو محاولات على الطريق، يكون اهتمام هذا الباب بالشعراء والأدباء الجدد.

سلامة سليم سلامة غراب
محافظة شمال سيناء
بريد سلمانة ٤٥٥٢٣ ـ مصر.

التحرير:

نشكر لك اقتراحاتك، وهي جديرة بالاهتمام، وبخصوص الاتصال بين القراء في مصر والمجلة، فالأمر يسير، فكما وصلت رسالتك الرقيقة هذه، يصل إلينا كل يوم عدد كبير من المقالات والمشاركات من الكتّاب في مصر على العنوان الموضح في المجلة.

أما ما أوردته عن المسابقة وضرورة الاهتمام بالدين واللغة، فنحن حريصون على تنويع الأسئلة لتنوع اهتمامات الإخوة القراء، وحتى نتيح لهم البحث في مجالات الثقافة المختلفة. واقتراحك الخاص بإيجاد باب للأقلام الواعدة فإننا نطمئنك أن المجلة تهتم بنشر كل موضوع فيه جدة وعمق بغض النظر عن اسم الكاتب، مما يعني أن الشباب الجاد في طرحه في مختلف الميادين يستطيع أن يجد الفرصة لنشر مقالاته من دون أي عقبات.

صوت العرب

أرغب في نشر قصيدتي في مجلتكم الغراء

إنه صوت العرب
صوت الحق
إنه صوت حب الأرض
يقول: الأرض والشرف
إنه صوت العرب.

مها قرقور (العمر ١٢ عاماً)
دمشق ـ سورية.

التحرير:

نشيد بمشاعرك الفياضة تجاه أمتك وقضيتها المركزية (فلسطين)، ونحن إذ ننشر شيئاً من قصيدتك، نأمل أن تعملي على تعميق ثقافتك بالقراءة والاطلاع، ومعرفة أصول نظم القصيدة، وإذا كانت هذه وصية تقليدية لكل من يطرق باب الكتابة أو قرض الشعر، فإنه لا سبيل إلى الانضمام إلى كتيبة المبدعين غير هذا السبيل.

ردود سريعة

الأخ خلفاوي عبدالرحيم ـ الجلفة ـ الجزائر:

نشكر لك ما أبديته من مشاعر طيبة تجاه مجلتكم، ونتمنى أن تزداد الصلات والروابط بين العرب والمسلمين قوة ومتانة، ونأسف إذا كنا لا نستطيع تلبية كل طلباتك؛ لأن منها ما يتجاوز اختصاص المجلة وإمكاناتها، نأمل أن تجد في أعداد الفيصل ما فيه النفع والفائدة.

الأخت ليلى محمد الشافعي ـ دمشق ـ سورية:

عنوان مؤسسة الملك فيصل الخيرية هو: ص.ب ٣٥٢ ـ الرياض ١١٤١١.

الإخوة الحسين المرضي ـ مكناس ـ المغرب، شاكر محمد ـ برج منايل، بوشنة عبدالمجيد ـ آدرار، عقاري إبراهيم الخليل ـ باتنة ـ ليليا غول ـ سكسيكدة، الجزائر:

لوجود عوامل مشتركة بين رسائلكم، نجمل لكم الرد في الآتي:

ـ سنعمل إن شاء الله على تلافي مشكلات التوزيع في مختلف المناطق حتى تكون «الفيصل» متاحة لقرائها أينما كانوا.

ـ نعتذر لعدم وجود اشتراكات مجانية.

ـ التعارف بين قراء المجلة يكون بتبادل الأفكار والآراء من خلال المقالات.

ـ لا نستطيع تزويد قرائنا الأعزاء بعناوين مؤسسات أو هيئات.

الأخ محمد عمر شحد ـ دمشق ـ سورية:

نشكر لك هذه المقتطفات التي أوردتها من الكتاب العتيق الذي ورثته من جدتك، ولكن قدم هذا الكتاب الذي لم تشر إلى عنوانه لا يعني أنه لا يوجد منه غير النسخة التي بين يديك، عموماً نأمل أن تستطيع المحافظة على الكتب النادرة في مجموعتك ـ بترميمها من خلال أحد المراكز المتخصصة، أو إهدائها إلى مكتبة عامة تستطيع أن تحميها من التلف والضياع.

المساجد التاريخية في محافظة الطائف

حمّاد بن حامد السالمي
الطائف - السعودية

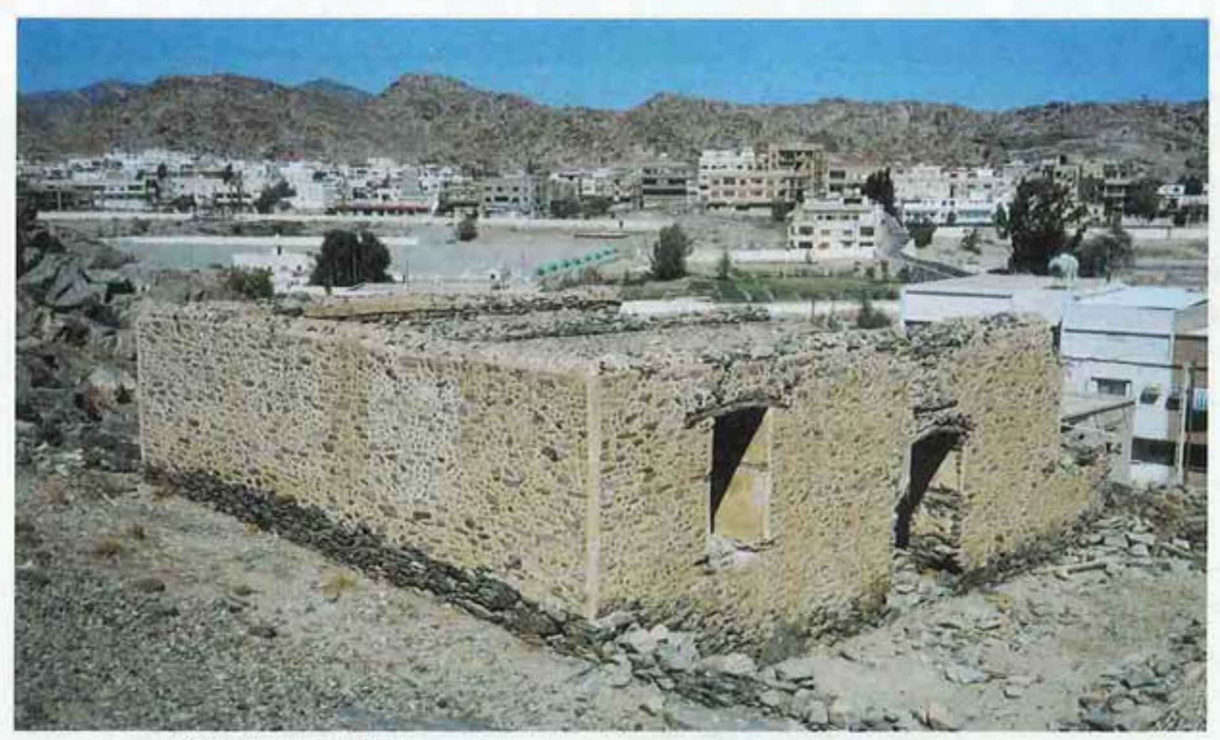
من المؤكد؛ أن الطائف لم تعرف المساجد؛ أو حتى المصليات الصغيرة التي تؤدى فيها الصلوات؛ إلا بعد فتحها في الرحلة الثانية للرسول صلى الله عليه وسلم في العام التاسع من الهجرة، يوم دخلها جيش المسلمين من الشرق ووقعت تحت الحصار المعروف.

ومع أن النمط المعماري لهذه المساجد الباقية قد استأثر باهتمام المؤرخين والرحالين؛ فإنهم يربطونها عادة بما شاهدوه في مكة المكرمة من مساجد فتأتي مساجد الطائف مماثلة لها أو مقلدة لها، ذلك أن هذه المساجد؛ لها صلة بحقبة تاريخية مهمة في تاريخ الطائف، فقد أقيمت ليؤمها المسلمون للصلاة والعبادة، ويوثقوا صلتهم بخالقهم بعد جهل وشرك وضلالة. ولهذا؛ فإن المساجد الباقية في الطائف أو تلك التي اندثرت؛ إنما تحمل أسماء صحابة أو أعلام لهم صلة وثيقة بالرسالة المحمدية، وبالدعوة إليها. فقد حافظ المسلمون على هذه المعالم التاريخية وبما تحمله من أسماء مئات السنين، احتفاءً بحدث دخولهم في الإسلام إذ تبدلت حياتهم وارتبطت برباط إيماني صادق.

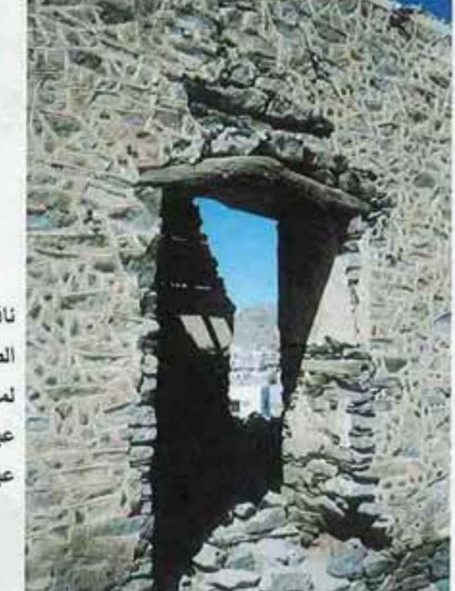


مسجد الصادرة

إن البحث عند المؤرخين القدامى؛ وتتبع ما رصدوه من ذكر المساجد التاريخية التي ظهرت في الطائف؛ يقودانا إلى قائمة بعدد لا يستهان به من ذكرٍ لمساجد كثيرة ظهرت في الطائف منذ مئات السنين، وفي هذا دلالة على قيمة تاريخية وإنسانية ودينية لهذه المعالم التاريخية الدينية، لا يمكن الاستهانة بها أو التقليل من شأنها، والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان بعد مرور مئات السنين هو: ماذا بقي من هذه المساجد لنحفل به ونضعه أمام أنظار أجيالنا..؟



مسجد عبدالله بن عباس في المثناة



نافذة في الضلع الغربي لمسجد عبدالله بن عباس

٢٠ مسجداً تاريخياً..

ذكر الدكتور ناصر الحارثي(١) نقلاً عن عدد من المؤرخين القدامى منهم: العجيمي والفاسي والحضراوي(٢) وغيرهم؛ أن مساجد الطائف المعروفة قديماً هي: مسجد الموقف أو الكوع، ومسجد الخَبْزَة، ومسجد عداس، ومسجد عبدالله بن عباس (الأول بالمثناة)، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ومسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بوسط البلد، ومسجد الصادرة في وادي النمل (نخب)، ومسجد المدهون بالمثناة، ومسجد الهادي بالبلد، ومسجد الراية، ومسجد بحرة الرُّغا في لِيَّة، ومسجد الريع أو السنوسي أو الطرابلسي، ومسجد زاوية عبدالقادر الجيلاني، ومسجد الوقف أو الجمعة بالسلامة، ومسجد المطائبة، ومسجد ولي، ومسجد هبة، ومسجد نزيل الصائغ، ومسجد الهنود بجوار خان القاضي، ومسجد حليمة السعدية بالشويحطة في بني سعد، ومسجد معاذ بن جبل في ترعة ثقيف.

أين هي هذه المساجد؟

إن ما تقدم من حصر؛ يمثل إغراءً حقيقياً للبحث من دون أدنى شك، لكن ماذا يجد الباحث على الأرض..؟

في الواقع؛ لم يبق من هذه المساجد التاريخية إلا القليل الذي يمكن نقله بالصورة الفوتوغرافية والكلام عليه؛ فقد تهدم بعضها، أو أزيل كما هو الحال في شأن مسجد حليمة السعدية(٣)، ومسجد بحرة الرُّغا(٤) وغيرهما، وبعض آخر كان مآله إلى زوال، بسبب الإهمال وعدم الاعتناء به،

وقسم ثالث امتدت إليه يد التجديد والتحديث ولكن بصورة أفقدته أهم عناصره القيمية الأثارية؛ كما هو الحال في مسجد ابن عباس الكبير بالطائف، ومسجد الهادي(٥)، ومسجد الخبِزة، ومسجد عداس، وقد دخل أو أدخل بعض المساجد في غيرها؛ كما هو الحال في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أصبح جزءاً من مسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما(٦).

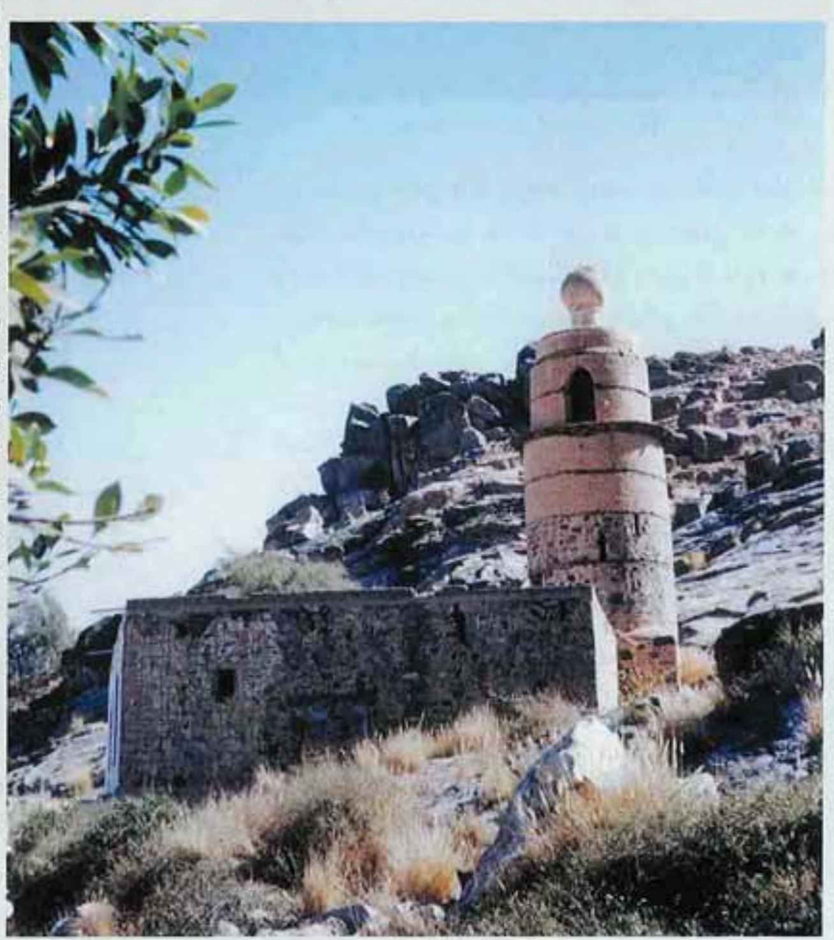
وهكذا.. لم أجد أمامي مما يدخل في بحث مصور كهذا؛ سوى القليل من هذه المساجد التي تمثل قيمة تاريخية آثارية كبيرة، ينبغي الاهتمام بها، والحرص على إبقائها، والعناية بما يلزمها من تعهد وترميم وصيانة دائمة.

مسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما

عند ذكر هذا المسجد؛ يتبادر إلى الأذهان أنه هو الجامع الكبير في قلب الطائف وحده دون سواه؛ بينما المسجد الذي بناه الحبر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما؛ هو المسجد الذي يقع في المثناة(٧)؛ في السفح الشرقي لجبل المدهون خلف قصر أفراح المثناة، وعلى يسار الخارج من الطريق السريع عبر وادي وج إلى المثناة العليا ثم الوهط، وقد بناه ابن عباس عند قدومه إلى الطائف وإقامته فيها حتى وفاته سنة ٦٨هـ، ويقال: إن البناء الحالي هو الذي شيد أواخر العصر العثماني، والمسجد في حالته الراهنة؛ مربع الشكل تقريباً، وفي مؤخرته فناء مكشوف مستطيل الشكل، وبه نوافذ وأبواب على نمط عمراني إسلامي، وهو مبني بالحجر الخالص، ومسقوف بالخشب، وقد تهدم جزؤه الشمالي الشرقي.

أما مسجد عبدالله بن عباس الحالي، الذي هو الجامع الكبير اليوم، فيذكر العجيمي؛ أن أول من بناه هو الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بالله، وذلك سنة ٥٩٢هـ(٨).

وأغلب الظن؛ أن إنشاء مسجد باسم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في هذا المكان؛ بعيداً عن الموقع الأول لمسجده المذكور بالمثناة؛ إنما كان تبجيلاً وتوقيراً لقبره المدفون فيه في هذا الموقع، والذي أصبح جزءاً من المسجد ذاته في ركنه الشرقي، قريباً من قبور الشهداء من الصحابة، الذين استشهدوا في غزوة الطائف، وكانوا ينازلون ثقيفاً من هذا المكان الذي كان فيه معسكرهم إلى شمال الطائف التي كانت تقوم في ذلك العهد إلى الجنوب من وادي وج، حول المثناة وبساتينها المشهورة.



مسجد المدهون

مسجد الكوع

يسمى أيضاً مسجد الموقف، ويقع أسفل جبل أبي زبيدة(٩)، على يسار الذاهب من المثناة إلى الطائف، وهو ضمن منظومة مساجد المثناة القديمة.

ومسجد الكوع مربع الشكل تقريباً، طوله ٨ أمتار، وعرضه ٧ أمتار،

وارتفاعه ٣ أمتار، وفي مؤخرته فناء مكشوف طوله ٧ أمتار، وعرضه ٤ أمتار، ويتكون المسجد من بائكتين طول كل منهما ٧ أمتار، وعلى يمين الداخل من الباب؛ يوجد محراب صغير بجانبه نافذة مربعة الشكل، ويحيط بالمسجد سور صغير يتألف من أربعة مداميك، ارتفاعه متر واحد، ومدخل المسجد إلى الشرق(١٠).

ويقال: إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم؛ عند قدومه إلى الطائف أول مرة؛ وقف بهذا الموقع الذي يشار إلى وقوفه باسم هذا المسجد.

مسجد الخبزة

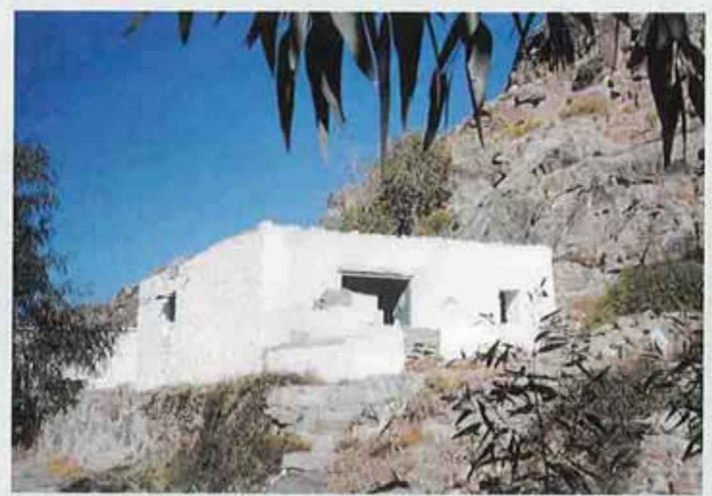
يقع مسجد الخبزة؛ في بستان الرقاب الكبير بالمثناة الغربية، على الضفة الغربية من وادي وج، قبالة مسجد المدهون، وقريباً من مسجد الكوع بأقل من ٣٣ متراً، وهو مربع الشكل في بنائه القديم. كما جاء وصفه عند المؤرخين القدامى، ولا ينبئ شكله الحالي بأنه مسجد أثري قديم، لما طرأ عليه من تغيير بعد تجديده، وتقع مئذنته في الجزء الجنوبي الشرقي، وعلى يمين المحراب منبر، مما يدل على أنه جامع قديم، ولا يمكن أن نسترسل في وصف مسجد على أنه تاريخي أثري وقد فقد هذه القيمة بعد تجديده وتغيير معالمه(١١).

مسجد عداس

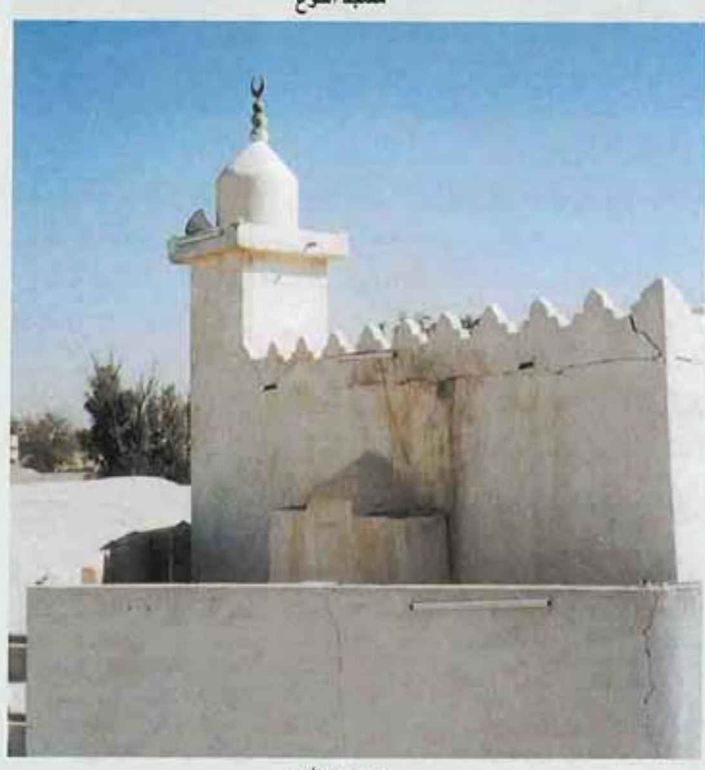
يقع هذا المسجد في وسط بساتين المثناة الغربية إلى الشرق من مسجد الخبزة بنصف كيل تقريباً، وبالتحديد فهو يقع في بستان عداس، ومن هذا المكان يمكن مشاهدة مسجد المدهون ومنارته المرتفعة، ومن خلفه مسجد عبدالله بن عباس في سفح الجبل على الضفة الشرقية من وادي وج. ومسجد عداس مسجد صغير، تم تجديده حديثاً، وتقام فيه الصلوات الخمس، وهو ينسب إلى عداس النصراني مولى عتبة بن ربيعة(١٢)، والذي كان له مع الرسول صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى الطائف قصة مشهورة مذكورة في كتب السيرة(١٣).

مسجد المدهون

يسمى أيضاً؛ مسجد القابل ومسجد القنطرة، وتسميته بالمدهون نسبة إلى الجبل الذي يقع عند أسفله من الناحية



مسجد الكوع



مسجد عداس

الشمالية الغربية، وهو يقابل مسجد عداس ولهذا يطلق عليه القابل، ثم كانت قنطرة لمياه العيون تربط بين ضفتي الوادي من قربه فسمي بها، ومن موقعه هذا يمكن مشاهدة بقية مساجد المثناة؛ (الكوع والخبزة وعداس وعبدالله بن عباس)، وهذا المسجد متهدم بعض جسمه، ويتميز بمنارة غاية في الجمال، فهي أسطوانية متدرجة، وشكلها يذكرنا



مسجد الخيزة

بالمآذن الملوية التي ظهرت في العصر العباسي في جامع سامراء الكبير، ثم في مصر في جامع أحمد بن طولون، ويرجع بناؤه في الشكل الحالي إلى أواخر العصر العثماني(١٤).

مسجد الصادرة

يسمى أيضاً مسجد السدرة كما ذكر المؤرخون القدامى، وهذا المسجد ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقع عند القرن الأسود من نخب في وادي النمل؛ مما يلي بلاد وقدان شرق الطائف، وهي البقعة التي توقف عندها الرسول صلى الله عليه وسلم عند دخوله الطائف من جهة لية.

ومسجد الصادرة هذا؛ يبدو وقد تم إصلاحه، واختفت معالم المسجد القديم، وهو مستطيل الشكل، وملحق به ميضأة ومئذنة، وتحيط به مقبرة مسورة من الجنوب على حافة الوادي(١٥).

الهوامش والمراجع

* الصور بعدسة الباحث.

١. مدخل إلى الآثار الإسلامية في منطقة الطائف للدكتور ناصر بن علي الحارثي، ص٤١. وانظر كتابنا: «ثراء الآثار في منطقة الطائف» ط١، ٢، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بالطائف ص ٨ - ١٥. وإهداء اللطائف من أخبار الطائف لحسن بن علي المكي العجيمي، تحقيق الدكتور يحيى الساعاتي - نشر دار ثقيف - الطائف ١٤٠٠هـ.

٢. العجيمي هو (أبو البقاء حسن بن علي العجيمي ١٠٥٠ - ١١١٣هـ) له كتاب: إهداء اللطائف من أخبار الطائف. والفاسي هو (الإمام أبو الطيب التقي الفاسي ٧٧٥ - ٨٣٢هـ)، وكتابه: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ. أما الحضراوي؛ فهو (أحمد بن محمد الحضراوي المكي الهاشمي ١٢٥٢ - ١٣٢٧هـ)، وكتابه: العقد الثمين في فضائل البلد الأمين.

٣. حليمة السعدية، هي مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي من بني سعد في هوزان، ومنازلها كانت في بادية الطائف. والمسجد الذي حمل اسمها كان صغيراً ومبنياً من الحجارة الخالصة، ولا يوجد ما يؤكد أنه كان زمن حياة حليمة.

٤. بحرة الرغا: موضع من جهة لية على الطريق الذي عبره الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف سنة ٩هـ.

٥. مسجد الهادي: مُقام أسفل السوق المركزي، ذكر العجيمي أنه بني في حدود السنة الخمسين بعد الألف، وبناه السيد هادي بن محمد الحسني الذي توفي سنة ١٠٦٩هـ.

٦. حبر الأمة؛ عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، صحابي جليل، نزيل الطائف في أيامه الأخيرة، وتوفي ودفن بها سنة ٦٨هـ، وقبره ملاصق لمسجده من ناحيته الشمالية، وملاصق لمكتبة عبدالله بن عباس من ركنها الغربي.

٧. المثناة: بساتين وحقول إلى الجنوب الغربي من الطائف في أعلى وادي وج، وكانت الطائف القديمة مما يليها على ضفتي هذا الوادي الشهير. ووجود مساجد تاريخية خمسة في هذه البقعة قرينة قوية على ظهور الطائف القديمة هنا، وذلك قبل أن تمتد إلى الشمال والشرق.

٨. انظر كتابنا: ثراء الآثار في منطقة الطائف. وكتابنا: الشوق الطائف حول قطر الطائف، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بالطائف - ط١، ٢، ١٤١٦هـ. ومدخل إلى الآثار للدكتور ناصر الحارثي. والعقد الثمين للعجيمي.

٩. جبل مرتفع كثيراً عما حوله والمسجد عند سفحه من الجنوب، ولم يرد لماذا سمي الجبل بهذا الاسم.

١٠. انظر كتابنا: ثراء الآثار في منطقة الطائف، ومدخل إلى الآثار للدكتور ناصر الحارثي.

١١. المصدران السابقان.

١٢. غلام نصراني، قدم العنب للرسول صلى الله عليه وسلم في مجيئه الأول إلى الطائف، ويقال بأنه أسلم.

١٣. انظر كتابنا: ثراء الآثار في منطقة الطائف. ومدخل إلى الآثار للدكتور ناصر الحارثي.

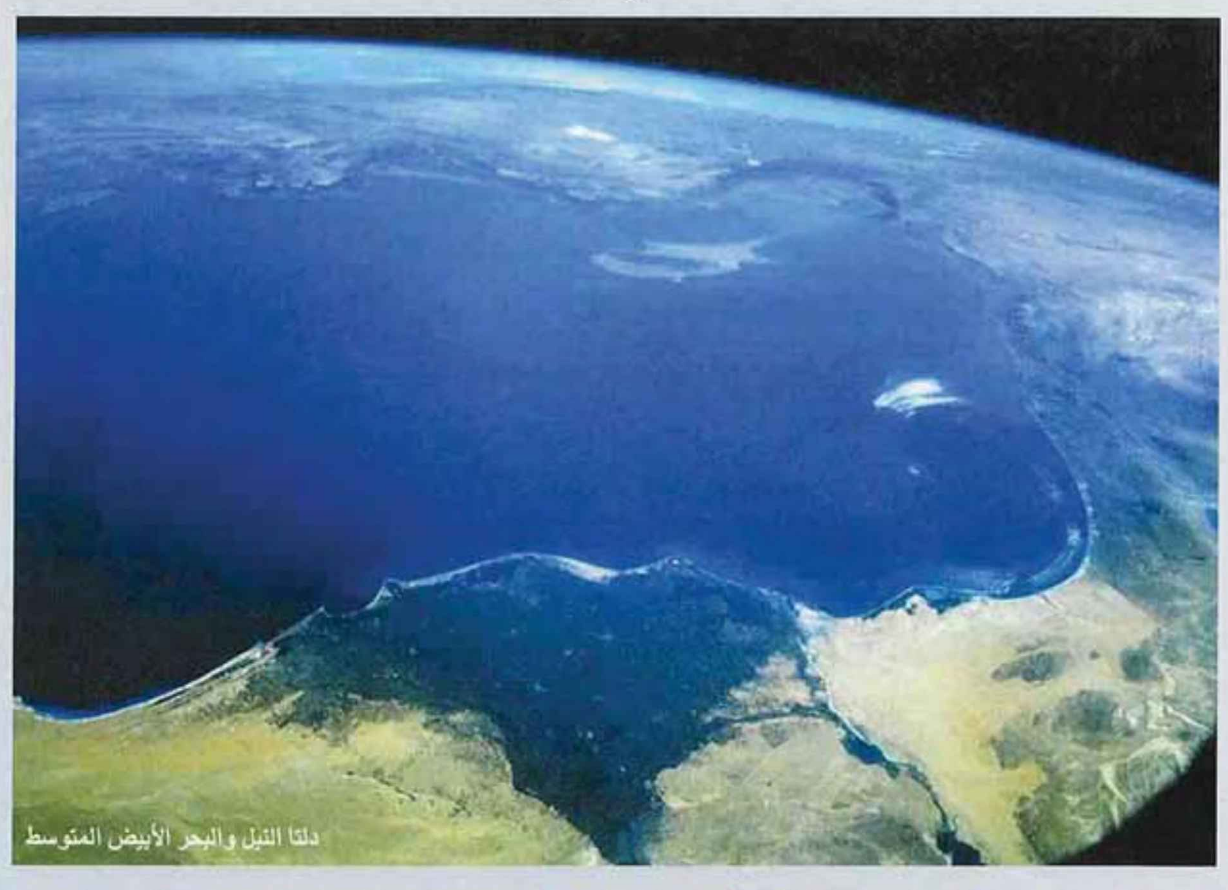
١٤. المصدران السابقان. ودراسة نشرت للباحث في جريدة الجزيرة العدد ٤٤١١ في صفر ١٤٠٥هـ.

١٥. اللطائف في تاريخ الطائف، أحمد بن محمد الحضراوي المكي الهاشمي - رسالة نقل عنها الأستاذ محمد علي مغربي في الجزء الثالث من كتابه: (أعلام الحجاز).

قضايا
معاصرة

الأطماع الصهيونية في المياه العربية

محمد أحمد صالح حسين
القاهرة - مصر



الماء عنصر الحياة الأول، والمادة التي أودع الله فيها سر هذه الحياة، واستمرار البقاء والوجود والعمران. وقد برزت هذه الحقيقة التي لا مراء فيها في قول الخالق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: *وجعلنا من الماء كلَّ شيء حيٍّ الأنبياء٣٠*. فجميع ماتقع عليه حواس الإنسان ومايخفى عليها في الأرض من بهجة وحياة ونماء ونتاج أثرٌ من آثار المياه. وهذا يدل على أن المياه أصبحت رمزًا للحياة، ومرادفًا لاستمرارها، ومن ثم يصبح توفيرها مطلبًا إستراتيجيًا غير قابل للتأجيل.

وقد ساد الاعتقاد في فترة من الفترات أن الموارد المائية متجددة بطبيعتها، وغير قابلة للاستنزاف والنضوب. ولكن الحقيقة هي أن الموارد المائية محدودة وتتناقص، شأنها في ذلك شأن الموارد الطبيعية الأخرى. كما أن الأمر لم يعد يقتصر على تقلص هذه الموارد ومحدوديتها، بل امتد ليشمل تدهور نوعيتها من خلال تلويثها لأسباب كثيرة، يؤدي فيها الإنسان الدور الفاعل. من هنا تزايد الإحساس بأن الاقتصاد في استخدام المياه في شتى الأغراض أصبح ضرورة قصوى، ليس بسبب شح الموارد المائية وتضاؤلها فقط، بل نتيجة الزيادة السكانية الكبيرة التي أصبحت أشبه بالانفجار، مما أدى إلى تزايد الاهتمام والتفكير الجدي بمستقبل المياه في المعمورة، خاصة أن مشكلات نقص المياه يمكن أن تهدد الصحة العامة والتنمية الاقتصادية، الصناعية منها والزراعية، والتنمية الاجتماعية(١).

ترتب على الأسباب السابقة وغيرها أن أصبحت المياه من أهم الموارد الطبيعية التي يتصارع عليها العالم؛ فالمياه تشكل – مع النفط، بوصفه أحد المصادر الرئيسة للطاقة – المحور الأساسي لأسباب التوتر في العالم، وقد وصل الأمر إلى أن أصبحت المياه محور جميع الخطط والمشاريع التي تعدها الأطراف الفاعلة إقليمياً ودوليا لتعزيز أمنها واقتصادياتها(٢). فالإحصاءات تشير إلى أن النمو السكاني المتزايد، بالإضافة إلى الاحتياجات المائية المتزايدة للاستخدامات المنزلية، والطلب المتزايد على المياه لتوليد الطاقة، وتكثيف الزراعة والإنتاج الصناعي، كل ذلك يجعل مايقرب من ٤٠٪ من سكان العالم، معظمهم من البلدان النامية، يواجهون بالفعل نقصاً حاداً في المياه. ومن المتصور أن مايقرب من ٦٥٪ من سكان العالم ربما يواجهون حالات من الضغط المائي والندرة المائية بحلول القرن القادم(٣).

أزمة المياه في الشرق الأوسط

المياه في الشرق الأوسط مشكلة معقدة ومزمنة، لاتجدي معها التصورات البسيطة في محاولة تحليل أبعادها أو التعامل معها. فهناك أمور مؤكدة بشأنها، وأخرى تخضع للنقاش. وأول الأمور المؤكدة أن هناك مشكلة مياه في المنطقة تتمثل في عدم التناسب بين المعروض والمطلوب، ووجود خلافات حول إدارتها، ولكن ليس من المؤكد – حتى الآن على الأقل – أنها يمكن أن تؤدي إلى صدامات مسلحة، فهناك أطر للتعامل مع المشكلة، يتم تفعيلها وقت الحاجة، ويجب أن تحاول معظم الدول إدارتها بأساليب تعاونية أكثر مما تديرها بمنطق المواجهة، ولكن بفضل عوامل كثيرة ومتنوعة ستظل المشكلة مثارة دائماً، فكما أنه من المتصور حدوث حرب محتملة بسببها، فإنه من الصعب أيضاً تصور حل نهائي لها(٤). فلقد عقدت عشرات المؤتمرات والندوات واللقاءات بهدف محاولة حل قضية المياه، ولم يؤد سوى القليل جداً منها إلى شيء يذكر(٥).

والحقيقة هي أن احتمالات نشوب صراعات ونزاعات حول المياه في الشرق الأوسط تتزايد؛ لأن حدود موارد المياه الطبيعية، السطحية منها والجوفية، لاتتطابق مع الحدود السياسية في المنطقة، وهذا يعني أن استنزاف المياه على جانب الحدود من دولة من دول النهر أو الخزان الجوفي، قد يؤثر تأثيراً خطيراً في إمدادات المياه على الجانب الآخر(٦). وفي ضوء ذلك بات ضمان استمرار تدفق المياه يشكل أحد الأهداف القومية الأساسية لدول منطقة الشرق الأوسط. فقد احتلت مسألة الأمن المائي خلال السنوات الماضية قمة سلّم الأولويات، وأصبح الحديث عن المياه لايقل أهمية عن الأمن العسكري.

احتمالات نشوب صراعات ونزاعات حول المياه في الشرق الأوسط تتزايد؛ لأن حدود موارد المياه الطبيعية، السطحية منها والجوفية، لاتتطابق مع الحدود السياسية في المنطقة

وتجمع جل الدراسات المعاصرة، إن لم تكن كلها، على أن المياه هي مصدر الحرب القادمة في الشرق الأوسط. فجميع منابع الأنهار في الوطن العربي، الذي يشكل قلب منطقة الشرق الأوسط، تقع خارج حدوده، ومن ثم فإن مصادر المياه بعيدة عن سيطرة دول الوطن العربي(٧). أضف إلى هذا أن الموارد المائية المتجددة في الوطن العربي تقدر بنحو ٠,٧٤٪ من الموارد المتاحة في العالم، علماً بأن الوطن العربي يشغل مساحة تقدر بمئة مليون كيلو متر مربع، أي نحو ٩٪ من مساحة اليابسة. وأن معظم الأقطار العربية تقترب من حالة عدم التوازن بين حجم الموارد المائية المتاحة والطلب عليها، وأن هناك بوادر أزمة قوية تهدد بنقص المياه.

من هنا تبرز أهمية ماجاء في التقرير الذي أصدرته الخارجية الأمريكية، والذي يشير إلى أن التنافس على مصادر المياه في الشرق الأوسط سيشعل حرباً جديدة في المنطقة خلال فترة تقل عن عشر سنوات إذا لم تتوصل الأطراف في هذه المنطقة إلى اتفاق سلام وتعاون بين دولها(٨).

والحقيقة أن موضوع النزاع على المياه في منطقة الشرق



صورة فضائية لفلسطين المحتلة وحدودها مع الدول العربية

الأوسط بات غاية في الأهمية والخطورة، فقد بدأ الاهتمام بالمياه يؤرق الدول العربية ودول الجوار، وهي تركيا، وإيران، وأثيوبيا، وإسرائيل، والعالم منذ نحو عقدين من الزمان، ويبدو أن المشكلة تحظى بالاهتمام العالمي أكثر بكثير من الاهتمام العربي، كما أنها تحظى باهتمام خاص لدى إسرائيل وتركيا. ويكفي أن نقول حول أهمية هذا الأمر عالميًا إن هناك عدداً من الجامعات والمراكز البحثية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا يعكف على دراسة المشكلة من جميع جوانبها(٩).

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن الكلام في إسرائيل من ناحية، وتركيا من ناحية أخرى، على أزمة المياه قليل، ولكن العمل في السيطرة على مصادرها والتحكم فيها كثير. وفي الوطن العربي بدأ بعض المتخصصين والخبراء متأخرين في التنبيه على خطر مشكلة المياه، وتأكيد أنها قضية مصيرية للعالم العربي، يتوقف عليها وجودهم وحياتهم، وهي تركز على خطر السيطرة الإسرائيلية والتركية على مصادر المياه. فبلا المياه لايحيا العرب، فهي في الواقع أهم من النفط، وإن لم تكن في الوقت الحالي فستكون كذلك في المستقبل المنظور، وأعداء الأمة العربية يعملون ليل نهار للسيطرة على مصادر المياه العربية ليقايضوهم الماء بالنفط، وإن نضب النفط فسيصبح الماء مصدر قوة لمن في أيديهم مصادر هذه المياه للضغط عليهم، واستنزاف ماتبقى من قوتهم وإمكاناتهم. وهؤلاء الأعداء يُعدّون أنفسهم لهذه المرحلة.

توجد في منطقة الشرق الأوسط ثلاثة أودية كبيرة، يمكن أن يحدث في أي منها نزاع حول المياه، فمجرى النيل تقتسمه عدد من البلدان، ويعدّ واديا دجلة والفرات أقل استقراراً من ناحية العلاقات السياسية، وهي منطقة مقسمة أساساً بين تركيا وسورية والعراق، وتمر تلك البلدان بتطورات متلاحقة حول المياه. والمجرى الثالث هو نهر الأردن، وهو أصغرها لكنه الأكثر

تفجرًا، وتقع على ضفافه ثلاث دول رئيسة هي الأردن وسورية وإسرائيل. وتعد مياه حوض نهر الأردن أكثر تعقيدًا من أي مشكلة تتعلق بالمياه في المنطقة العربية؛ لأنها تتصل بحياة شعوب عدد من الدول في المنطقة، والمتضرر الأساسي من وضعه الحالي هم الفلسطينيون والأردنيون (١٠).

وقد استشعر بعض القادة والرؤساء في منطقة الشرق الأوسط أبعاد أزمة المياه وما يمكن أن تسببه من حروب ونزاعات وصراعات، فقد عبر الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات (١٩١٨م-١٩٨١م) عام ١٩٧٩م عن قلقه بخصوص هذه القضية مؤكدًا أن أزمة المياه وتداعياتها قد تدفع مصر إلى الدخول في حرب مع أثيوبيا، وذلك في ضوء محاولة أثيوبيا التعاون مع إسرائيل لبناء سدود على منابع نهر النيل. كما ألمح الملك حسين بن طلال (١٩٣٥م-١٩٩٩م) إلى الأمر ذاته في ضوء تحكم إسرائيل في مصادر مياه نهر الأردن(١١).

لكل ماسبق تشهد العلاقات بين دول المنطقة تحالفات وصراعات ونزاعات تتمحور في جوهرها حول المياه. فإذا عدنا إلى عدد من النزاعات والحروب الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط فسنجد أن جانبًا أساسيًا من أسباب اندلاعها هو النزاع على المياه بين العرب وإسرائيل، وبين العرب وتركيا، وبين العرب وإيران. ولم تخل أزمة أو حرب في المنطقة من دخول المياه كأحد عناصر النزاع أو الضغط فيها(١٢). ويمكن أن نلمس ذلك بشكل جلي وواضح في صراع إيران مع العراق الذي بدأ حول شط العرب، وفي موقف تركيا في التحالف مع إسرائيل، ذلك التحالف الذي يستهدف إضعاف موقف العرب، وخاصة سورية والعراق، لتتمكن من استغلال مياه الفرات، واحتلال إسرائيل للأراضي العربية عام ١٩٦٧م، الذي كان يستهدف - إلى جانب تحقيق السيطرة العسكرية - السيطرة على مصادر المياه في هذه الأراضي العربية، وهي نهر اليرموك ونهر الأردن ونهر النيل والمياه الجوفية في الضفة الغربية لنهر الأردن.

لقد بات واضحًا الآن، أكثر من أي وقت مضى، أن المياه هي الحلقة الأهم والأخطر في العلاقات المتوترة بين سورية وتركيا، ولهذا التوتر في علاقات البلدين تداعيات وانعكاسات على منطقة الشرق الأوسط من جهة، وانعكاسات وتداعيات ذات بعد دولي من جهة ثانية. وتتزايد حدة التوتر في علاقات البلدين في ضوء سعي تركيا إلى تعزيز نفوذها الإقليمي بواسطة تحويل المياه من أداة للتنمية والتطوير، إلى أداة للابتزاز في بعض الأحيان، بحيث باتت توظف مياه نهر الفرات توظيفًا سياسيًا للضغط في قضايا الأمن والتسوية المطروحة على جدول أعمال البلدين بشكل خاص ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام.

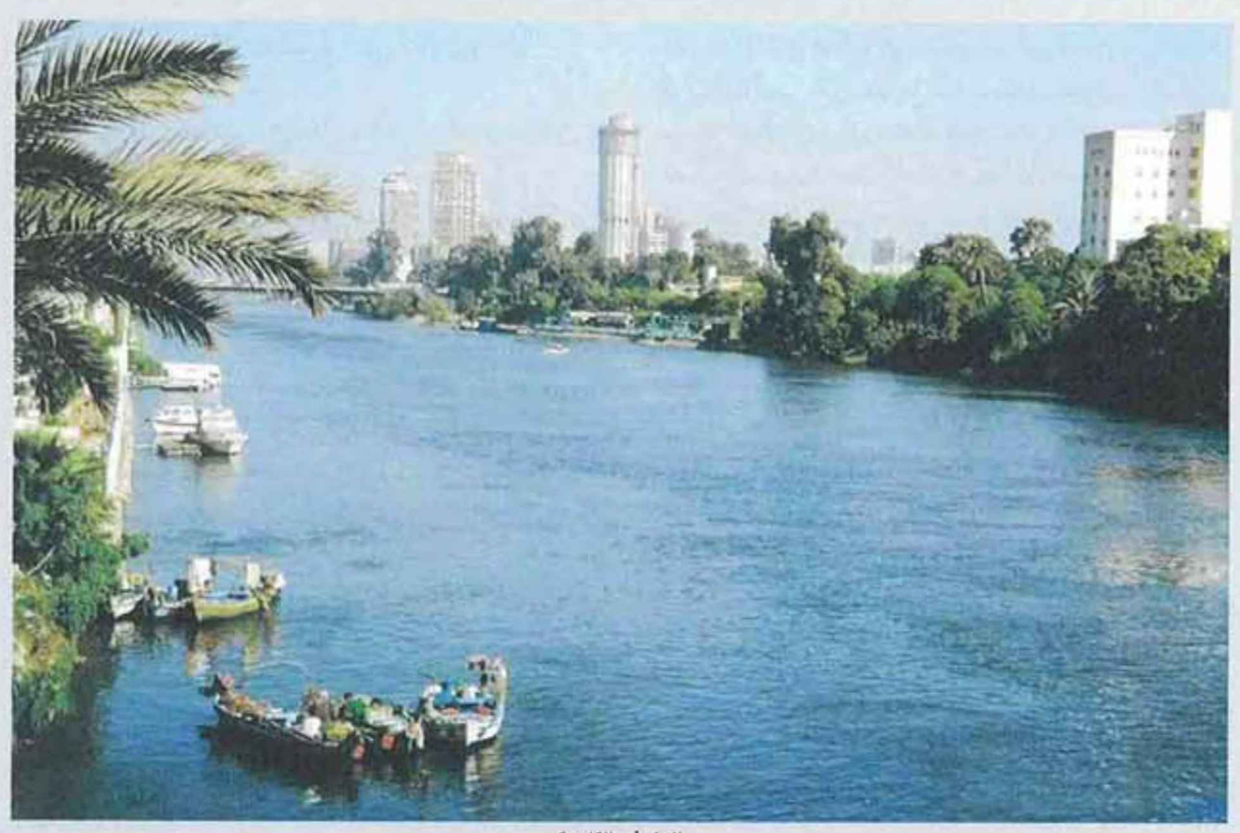
وفي ضوء ذلك وغيره انتشرت مقولة مضمونها «من يسيطر على المياه يسيطر على الشرق الأوسط، ومن يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على إمدادات النفط في العالم»(١٣).

وعلى خلفية ماسبق ستركز الدراسة على محورين أساسيين: (المحور الأول) يعالج أزمة المياه في إسرائيل، وأطماع إسرائيل في المياه العربية بشكل عام حربًا وسلمًا، و(المحور الثاني) يتناول الأطماع الإسرائيلية في المياه الفلسطينية بشكل خاص، والكيفية التي تسرق بها هذه المياه وتمنعها عن أصحابها، وأثر ذلك فيهم من خلال بيانات وإحصاءات وردت في أحد تقارير منظمة «بتسيليم» لحقوق الإنسان في هذا الشأن.

المياه محور جميع الخطط والمشاريع التي تعدها الأطراف الفاعلة إقليميًا ودوليًا لتعزيز أمنها واقتصادياتها وهي تشكل مع النفط المحور الأساسي لأسباب التوتر في العالم

المحور الأول: أزمة المياه في إسرائيل وأطماعها في المياه العربية حربًا وسلمًا

تعاني إسرائيل من أزمة مياه حادة. وتتفاقم حدة هذه الأزمة في ضوء الحقيقة التي تقضي بأن إسرائيل تعتمد على المياه ذات المصدر الخارجي، إذ يقع نحو ٢١٪ من إجمالي تدفق المياه السطحية لديها خارج حدودها. ويمكن القول بشكل عام: إن ٦٧٪ من المياه التي تستهلكها إسرائيل تأتي من خارج حدودها، التي أعلنت بمقتضاها كدولة عام ١٩٤٨م، وهي على النحو الآتي: ٣٥٪ من الضفة الغربية لنهر الأردن و٢٢٪ من سفوح هضبة الجولان السورية، و١٠٪ من قطاع غزة (١٤). وستصل مشكلة المياه في إسرائيل إلى ذروتها مع نهاية العقد الثاني من القرن القادم في إطار مايفيد أن الطلب على المياه فيها سيزيد على ألفين وستمئة مليون متر مكعب بحلول عام ٢٠٢٠م بسبب الزيادة السكانية وتنامي المشروعات الزراعية التي تعتمد بكثافة على المياه من ناحية، وبسبب المعدل الحالي للهجرة اليهودية إلى إسرائيل من ناحية أخرى(١٥).



النيل في القاهرة

الأبدال الإسرائيلية للتغلب على مشكلة المياه

ويمكن لندرة المياه في إسرائيل والاستهلاك المتزايد من المياه في الاستخدامات المنزلية والمجالات الزراعية والصناعية أن تتسبب في عدد من المشكلات العامة إلى جانب عدد من المشكلات الخاصة بالزراعة، ومنها:

- الحد من التنمية الزراعية التي تعني الحاجة إلى مزيد من المياه لاستصلاح أرض صحراوية جديدة.

- إن غياب وسائل تخزين مياه كافية لعدة أعوام يؤدي إلى الاعتماد على مياه الأمطار كمصدر للتزود بالمياه. ومن شأن عام قحط واحد أن يهدد كميات المياه المخصصة للزراعة وغيرها(١٦).

- الحد من استمرار تدفق الهجرة اليهودية الحالية الوافدة إلى إسرائيل، وعدم قدرتها على استيعابها، وهذا يعني إقامة مشروعات زراعية ضخمة، ومشروعات توليد الطاقة الكهربائية(١٧).

لجأت إسرائيل إلى عدة أبدال للتغلب على مشكلة المياه، بعضها أبدال عامة قصيرة المدى، وبعضها أبدال إستراتيجية بعيدة المدى. ولقد بذلت إسرائيل - ومازالت تبذل كل ما تقدر عليه في تجربة كل الأبدال التي من شأنها التغلب على أزمة المياه وتوفير المياه الكافية لاستخداماتها في الأغراض المنزلية والتنمية الصناعية والزراعية.

أولا: الأبدال العامة القصيرة المدى

يقصد بها تلك التي تحاول حل مشكلة المياه في إسرائيل من داخلها، دون الحاجة الملحة إلى سرقة مياه الدول العربية المجاورة. ومن هذه الأبدال:

- ترشيد الاستهلاك في المجالات الزراعية والصناعية كافة، مع ضرورة الاقتصاد في الاستخدامات المنزلية.

- معالجة مياه الصرف الصحي لتصبح صالحة للزراعة، وتوجيه المياه النقية للشرب. ومن أهم مشروعات تحويل مياه المجاري بعد معالجتها إلى الزراعة في إسرائيل المشروع الذي يعرف باسم «شكدان» والذي تنفذه رابطة «جوش دان» وهو يعد من المشروعات التي تعتمد على تقنية متقدمة، فمياه الصرف الصحي التي تنقل إلى منطقة النقب توفر حالياً نحو تسعين مليون

متر مكعب سنوياً من المياه المعالجة لمزارعي الجنوب (١٨).

- تحلية مياه البحر.

- تنمية الموارد المائية من خلال مشاريع السدود وتقليل المفقود.

لم تؤد هذه الوسائل إلى التغلب على مشكلة المياه في إسرائيل. فترشيد الاستهلاك بات لا يجدي مع تدفق الهجرة اليهودية إلى إسرائيل والزيادة السكانية، والمشروعات الصناعية والزراعية المتنامية، والتي تريد إسرائيل أن يكون لها فيها اليد الطولى على مستوى منطقة الشرق الأوسط. أما معالجة مياه الصرف الصحي وتحويلها للاستخدامات الزراعية فمن شأنها أن تخلق مشكلة خاصة بنوعية المياه المستخدمة ومدى صلاحيتها لأنواع معينة من الزراعات وليس كل الزراعات(١٩). أما تحلية مياه البحر فعملية باهظة التكاليف وتستمر فترات زمنية طويلة. ويقدر علماء الهيدروليكا (المائيات) - على سبيل المثال لا الحصر - تكاليف برنامج كبير لتوفير الاحتياجات الإسرائيلية من المياه، يتم تنفيذه على عدة عقود زمنية، بنحو ستين بليون دولار(٢٠). كما أنه ليس في مقدور إسرائيل العمل على تنمية الموارد المائية من خلال مشاريع السدود وتقليل المفقود دون التعاون مع دول الجوار، ومن دون سلام حقيقي عادل، تتفاعل في إطاره المصالح المشتركة، وتتشابك المنافع وتتبادل، أضف إلى ذلك أن المشروعات المائية التي من هذا النوع تحتاج إلى استثمارات ضخمة وإمكانات تقانية (تكنولوجية) عالية(٢١).

وفي ضوء إخفاق محاولات إسرائيل في البحث عن مصادر غير تقليدية للتغلب على مشكلة المياه، لم تجد أمامها بداً من اللجوء إلى مايمكن أن نسميه «الأبدال الإستراتيجية البعيدة المدى»، التي تعني الطمع ثم السيطرة على المياه العربية المجاورة، أي مياه جنوب لبنان ومياه الجولان ومياه مصر (٢٢)، سواء بالحرب أم بالسلام، وإن كان هذا لايعني أنها استغنت بذلك عن الأبدال العامة التقليدية القصيرة المدى.

المياه هي مصدر الحرب القادمة في الشرق الأوسط، فجميع منابع الأنهار في الوطن العربي، الذي يشكل قلب منطقة الشرق الأوسط، تقع خارج حدوده، ومن ثم فإن مصادر المياه بعيدة عن سيطرة دول الوطن العربي

ثانياً: الأبدال الإستراتيجية البعيدة المدى

- **الحرب**: كانت المياه حلقة أساسية من حلقات منظومة الحروب التي خاضتها



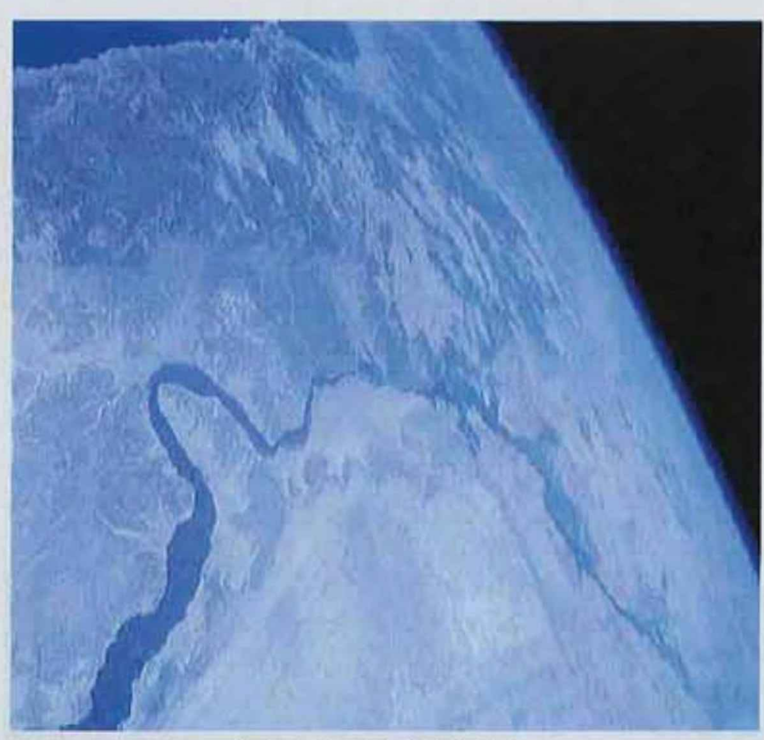
الفرات

إسرائيل ضد الدول العربية المتاخمة لفلسطين، بدءاً من حرب عام ١٩٦٧م حتى حرب لبنان عام ١٩٨٢م. وقد استهدفت هذه الحروب الاستيلاء على المزيد من الأنهار المتدفقة من أراضي هذه الدول. أضف إلى هذا أن «أمن إسرائيل الاقتصادي بات يتحدد من خلال مدى السيطرة على مصادر المياه العربية»(٢٣). ولاينكر المحللون والمسؤولون الإسرائيليون ارتباط حروبهم بالمياه سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، فيربطون - على سبيل المثال لا الحصر - اندلاع حرب عام ١٩٦٧م بقيام مصر بإغلاق خليج العقبة في تيران، كما كان انتشار القوات الإسرائيلية بطول قناة السويس - في رأيهم - السبب في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م(٢٤).

حققت حرب عام ١٩٦٧م لإسرائيل السيطرة على قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن، فباتت تستغل نحو ٩٥٪ من المياه الجوفية للضفة الغربية من خلال استغلالها لنحو ثلاثمئة بئر ارتوازية، كما أصبحت تسيطر على حوض نهر الأردن في جزئه السفلي(٢٥).

لقد كانت الضفة الغربية لنهر الأردن حلم إسرائيل؛ لأنها ستوفر لها المياه الجوفية التي تضمها بين جنباتها، فبدأت بعد ضمها في إصدار قرارات خاصة بالمياه ترمي إلى تأكيد السيطرة والنهب المنظم للمياه فيها، فحددت الكميات التي يحق للفلسطينيين الحصول عليها بنحو مئة وعشرين مليون متر مكعب، في الوقت الذي تصل حاجتهم الحقيقية إلى أربعمئة مليون متر مكعب، كما تحظر على الفلسطينيين حفر آبار بعمق يزيد على مئة وأربعين متراً بينما هي تقوم بحفر آبار بعمق ثمانمئة متر، كما جعلت سلطة إصدار تراخيص استخراج المياه الجوفية في يد الحاكم العسكري(٢٦). أضف إلى هذا أن المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية لنهر الأردن تستهلك سبعة عشر مليون متر مكعب من المياه الفلسطينية في الأساس، كما تقوم إسرائيل بضخ نحو عشرين مليون متر مكعب سنويا من مياه الضفة الغربية إلى داخل إسرائيل(٢٧).

وفي ضوء ماكانت تشعر به إسرائيل منذ احتلالها للضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، فقد أفرطت في سحب مياههما الجوفية من الطبقات الصخرية، مما ترتب عليه تدهور نوعية



صورة من الفضاء حيث يبدو نهر النيل

هذه المياه، بعدما تسربت المياه المالحة من البحر، فجعلت مياه الخزان الجوفي في غزة غير مناسبة للاستخدام البشري(٢٨).

واستهدف احتلال إسرائيل لبعض الأراضي الأردنية في حرب عام ١٩٦٧م إحكام السيطرة على مياه نهر الأردن. وأصبح موضوع الصراع من أجل السيطرة على حوض نهر الأردن واحداً من أكثر الموضوعات التي ناقشتها الكتابات التي تناولت أزمة المياه في الشرق الأوسط.

وعندما احتلت إسرائيل مرتفعات الجولان عام ١٩٦٧م كان هدفها السيطرة على منابع نهر الأردن، ومساحة أكبر من نهر اليرموك. وحينما أعلنت ضمها إلى أراضيها رسمياً كان هدفها حماية مصادر المياه ومحطات الضخ وحماية شبكات المياه الإسرائيلية من الجانب السوري. كما كانت تسعى جاهدة إلى عرقلة أية محاولة تستهدف الاستغلال المشترك لنهر اليرموك بين سورية ولبنان، وتقحم نفسها في هذا الاستهلاك(٢٩).

ويمكن القول إجمالا: إن ٦٠٪ من المياه الجوفية التي تستخدمها إسرائيل تسحبها من الضفة الغربية لنهر الأردن، كما أنها تسيطر على منابع نهر الأردن، وتستخدم مياهه. وبسبب الاستنزاف الكبير للمياه العربية من جانب إسرائيل فإن الخطر بات يهدد المياه الجوفية، فقد أصبحت الخزانات الجوفية في

الخليل ومرتفعات الجولان خاوية في أغلبها، ومنسوب المياه في بحيرة طبرية قد انخفض إلى أدنى مستوى له في عام ١٩٩٠م، فقد وصل إلى مئتين وثلاثة عشر متراً تحت سطح البحر مما اضطرها إلى وقف الضخ منها لمدة شهر، علماً بأن البحيرة هي التي تمد إسرائيل بالاستخدامات الأساسية من المياه(٣٠).

وعلى الرغم من أن لبنان لم تخض أياً من الحروب العربية الإسرائيلية، إلا أن إسرائيل ادعت دائماً أن أكثر من نصف مليار متر مكعب من مياه نهر الليطاني تضيع في البحر ولاتستفيد منها شعوب المنطقة، فأقامت إستراتيجيتها حيال الجنوب على أساس جعل نهر الليطاني يمثل حدودها الشمالية. من هنا كان غزوها للبنان عام ١٩٨٢م(٣١)، فباتت تسيطر على قسم من نهر الليطاني في جنوب لبنان وتسحب جزءاً من مياهه إلى داخل إسرائيل(٣٢). وقد بدأت إسرائيل محاولاتها في هذا الاتجاه قبل ذلك، حينما أقامت علاقات متميزة مع مليشيات سعد حداد في الجنوب اللبناني عام ١٩٧٩م من أجل استخدام نهري حاصبيا والوزاني اللذين يصبان في نهر الحصباني(٣٣).

- السلام: أدركت إسرائيل أن الحرب والسيطرة والاحتلال تتكلف الكثير من الأرواح والمال والعتاد، ولايمكن أن تضمن لها - مع هذه التكاليف الباهظة - تدفق المياه على أراضيها باستمرار، فلجأت إلى السلام بديلاً آخر لتحقيق ماتريد. فهي تريد المياه إما بالحرب وإما بالسلام. فإذا كان النصر العسكري عجز عن تحقيق النصر الحاسم الذي يضمن لها الانتصار المحقق، ومن ثم السيطرة المطلقة، فإن هذا النصر العسكري عجز أيضاً عن تحقيق الأمن المائي، وهذا يعني عدم ضمان تدفق المياه بشكل دائم.

وحول هذا يقول أفراهام تامير، رئيس شعبة التخطيط في الجيش الإسرائيلي، ومدير عام مكتب رئيس الوزراء: «تمثل المياه معضلة السلام والحرب.. ومن الممكن أن تختار إسرائيل سياسة السيطرة على مصادر المياه بما يعني الحرب، أو أن تختار سياسة توزيع المياه بين دول المنطقة وهو مايعني السلام».





من مزارع الكيبوتز الإسرائيلية

ولا تعني هذه المقولة سوى أن إسرائيل تضع منطقة الشرق الأوسط أمام خيار واحد، وهو توزيع المياه بين دول المنطقة بما فيها إسرائيل، التي تسعى إلى تحقيق ذلك بشتى الوسائل حتى لو استدعى الأمر شن حرب على دول المنطقة. وإذا سعت إلى السلام لتحقيق ماتريد فهو «سلام قهري» لأنه يتفق والشروط الإسرائيلية، ورفض المطامع الإسرائيلية في المياه العربية يعني «الحرب الحتمية»(٣٤). فإسرائيل تحرص في مفاوضات التسوية السلمية في الوقت الحالي على حدودها المائية التي تراها لا تختلف عن أمنها المائي، وهذا الأمر بات يوجه مواقفها وآراءها في هذه المفاوضات.

ولكن دخول إسرائيل في مفاوضات العملية السلمية مشروط بتحقيق عدة ضمانات وضعتها هي لنفسها في مجال المياه، وتراها خطًا أحمر يجب عدم التنازل عنه، ومنها:

- الإشراف على المنطقة الواقعة غرب خط قسمة المياه في الضفة الغربية، وإشرافها كذلك على مصادر المياه في غزة وجنوب لبنان ومرتفعات الجولان.
- إن ما تم اغتصابه من المياه العربية أصبح حقًا مكتسبًا وملكًا لها لايمكن المساس به أو إخضاعه للتفاوض والمساومة.
- تأكيد أن سعي العرب إلى استعادة حقوقهم المائية من إسرائيل أو إلى منع مياههم عنها رهان خاسر، إذ لابد من وضع مشاريع مائية جماعية تتم في إطار السلام(٣٥).
- السلام مقابل المياه: إذا كان العرب قد أقروا ووافقوا على قاعدة «السلام مقابل الأرض» ليتم على أساسها التفاوض بين أطراف العملية السلمية، فإن المخططين لاقتصاديات المياه في إسرائيل وضعوا قاعدة مضادة تحقق لهم مايريدون في مجال المياه يمكن أن نسميها «السلام مقابل المياه»(٣٦). بل وصل الأمر ببعضهم إلى تأكيد أن القضايا الأمنية التي تتحدث عنها إسرائيل باتت تعني في الوقت الحالي ثبات توافر إمدادات كافية من المياه(٣٧).

لم يكن غريبًا إذن أن يقدم مؤتمر مدريد للسلام الذي عقد في يوم ١٩٩١/١٠/٣٠م على تخصيص لجنة لدراسة ملف المياه

في ضوء إخفاق محاولات إسرائيل في البحث عن مصادر غير تقليدية للتغلب على مشكلة المياه، لم تجد أمامها بدًا من اللجوء إلى «الأبدال الإستراتيجية البعيدة المدى»، التي تعني الطمع ثم السيطرة على المياه العربية المجاورة



نهر الأردن

في إطار المفاوضات المتعددة الأطراف بالشرق الأوسط. وتشترك في هذه اللجنة نحو سبع وأربعين دولة ومنظمة دولية. وقد اجتمعت هذه اللجنة منذ بداية المفاوضات أكثر من ثماني مرات. ويلاحظ المتابع لمسار المفاوضات متعددة الأطراف الخاصة بالمياه أن اهتمام إسرائيل بهذه اللجنة يفوق اهتمامها بأية لجنة منبثقة من مؤتمر مدريد(٣٨).

وإذا نظرنا إلى اتفاقيات السلام التي وقعتها إسرائيل مع الدول العربية نجد أنها حتى الآن قد حققت معظم ما أرادت في موضوع المياه، ماعدا اتفاق السلام الذي وقع مع مصر.

ومازالت إسرائيل تسعى إلى طرح موضوع المياه مع مصر من خلال فعاليات لجنة المياه المنبثقة من مؤتمر مدريد، بعدما أخفقت في ذلك في إطار اتفاقية السلام معها. فقد تقدمت بورقة أولية ضمن جدول أعمال لجنة المياه المتعددة الأطراف تقترح فيها

حصولها على نصف في المائة من مياه النيل، استناداً إلى أن هذه النسبة لن تؤثر في نصيب أي من دول حوض نهر النيل، وعرضت ضمن هذه الورقة التعاون مع مصر وبقية دول حوض نهر النيل لزيادة إيرادات النهر، إلا أن مصر رفضت بإصرار إدراج مياه النيل في أعمال لجنة المياه المنبثقة من المفاوضات المتعددة الأطراف(٣٩).

ولقد كانت مياه نهر النيل مطمعاً لإسرائيل، يسيل عليها لعابها دائماً، سواء كان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر. فقد جاء في بيان لجنة الاقتصاد في الكنيست أنه «يجب على غزة أن تحل مشكلة نقص المياه فيها من نهر النيل، وليس من إسرائيل». وقد عدّ المراقبون والمسؤولون في مصر أن هذا البيان أقرب إلى بيان

يقول أحدُ خبراء المياه الإسرائيليين: «إن المياه في الأراضي الفلسطينية المحتلة باتت جزءاً لايتجزأ من إسرائيل»؛ لأنها تحصل على نحو ٤٠٪ من حاجتها من مياه الضفة الغربية، وأنها لن تتخلى بسهولة عن هذه الأراضي دون الحصول على ضمانات تؤمن لها الحصول على موارد مشابهة في المنطقة(٤٢).

كما تحقق لإسرائيل جل ماأرادت فيما يتعلق بموضوع المياه في اتفاق السلام الذي وقع مع الجانب الأردني في شهر أكتوبر/تشرين الأول من عام ١٩٩٤م. فقد باتت حقوق الملكية لإسرائيل في منطقة الباقورة - نهاريم الخاضعة للسيطرة الأردنية. أضف إلى هذا أنه لم تتحدد في الاتفاق كمية المياه



بحيرة ناصر

إعلان حرب(٤٠). ومن أقدم المشروعات الإسرائيلية الخاصة بنقل مياه نهر النيل إلى إسرائيل المشروع الذي وضعه المهندس الإسرائيلي «اليشع كالي» عام ١٩٧٤م، ويرمي إلى نقل نحو ١٪ من مياه نهر النيل إلى إسرائيل، أي مايساوي أكثر من مئة مليون متر مكعب من المياه.

وتحقق لإسرائيل ما أرادت في موضوع المياه في اتفاقيات أوسلو التي وقعتها مع الجانب الفلسطيني. فاتفاق أوسلو لا يخول الفلسطينيين سلطة أو صلاحية في مجال المياه، الأمر الذي أدى إلى تفاقم الأزمة بين الجانبين في الآونة الأخيرة(٤١). فقد حددت إسرائيل مجموعة من المعايير الخاصة بالحفاظ على المياه كشرط للتوقيع على اتفاق سلام مع الفلسطينيين. وحول هذا

المحلاة التي يستطيع الأردنيون الحصول عليها من الينابيع المالحة المحولة إلى نهر الأردن. وهذا يعني أن الدور المسيطر على مصادر المياه على طول الحدود المشتركة بين البلدين - ومنها: نهر الأردن ونهر اليرموك وسيول وادي عربة - بات لإسرائيل(٤٣).

ومازالت المياه حتى الآن - وبعد التوقيع على اتفاقية سلام مع الجانب الفلسطيني والجانب الأردني - تمثل متغيراً في علاقة إسرائيل بكل من سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية والأردن(٤٤). فقد جاء في تصريح وزير الزراعة في حكومة حزب العمل يعقوب تسور مانصه «بعدما تسلم الفلسطينيون بعض المناطق في الضفة الغربية عملوا على سحب المياه الجوفية، وإذا استمر

الفلسطينيون في القيام بذلك فإنهم سيأخذون مياهنا»(٤٥) . ويؤكد هذا المسؤول الإسرائيلي نفسه ضرورة أن تحتفظ إسرائيل بالإشراف على المياه في المناطق التي ينسحب الجيش الإسرائيلي منها لكي تضمن في الأساس ألا يحصل الفلسطينيون على المياه الجوفية دون موافقة. فتطالب إسرائيل في هذا السياق بالحق في مراقبة نوعية المياه والتخلص من الصرف الصحي في مناطق الحكم الذاتي(٤٦) . كما كان إخفاق إسرائيل في احترام توزيع المياه مع الأردنيين مصدراً للتوتر في علاقات البلدين(٤٧).

وفي ضوء ماتحقق لإسرائيل من امتيازات، وماقدمه الفلسطينيون والأردنيون من تنازلات في موضوع المياه ضمن اتفاقيات السلام الموقعة بين الجانب الإسرائيلي من ناحية، والجانب الفلسطيني والأردني من ناحية أخرى، يحذر خبراء المياه العرب من خطورة القرار العربي المنفرد في مجال اقتسام المياه، فيجب أن يتم هذا في إطار جماعي يضمن للدول العربية حصصاً أكبر تتفق وحقوقها التاريخية ومكانتها في المنطقة، وتتناسب وتعداد سكانها ومشروعاتها التنموية المستقبلية الطموح.

٦٠٪ من المياه الجوفية التي تستخدمها إسرائيل تسحبها من الضفة الغربية لنهر الأردن، كما أنها تسيطر على منابع نهر الأردن، وتستخدم مياهه. وبسبب الاستنزاف الكبير للمياه العربية من جانب إسرائيل فإن الخطر بات يهدد المياه الجوفية

والمياه هي العنصر الأهم الذي يعوق التوصل إلى اتفاق سلام بين إسرائيل وسورية؛ فالذرائع الأمنية التي تتمسك بها إسرائيل لتأخير انسحابها من الجولان أصبحت واهية بعد تقلص دور العوامل الطبيعية والجغرافية في الحروب الحديثة. فقد نجحت صواريخ العراق - على سبيل المثال لا الحصر - في الوصول إلى تل أبيب على الرغم من المسافات الشاسعة والكثير من الموانع والعوائق الطبيعية والجغرافية.

ولكن تردد إسرائيل في الخروج من الجولان يعود إلى خوفها من خسارة المياه الجوفية والسطحية التي تستأثر بها منذ عام ١٩٦٧م، بالإضافة إلى أمطار الجولان الغزيرة التي تتحول إلى خزان هائل للمياه الجوفية، حتى لتوصف بأنها هضبة عائمة على خزانات من المياه(٤٨). ويجري الآن في إسرائيل البحث عن معادلة أو صيغة تضمن بقاء مصادر مياه الجولان في حوزتها وتكفل تجريد الجولان من السلاح والحفاظ على وجود المستعمرات الإسرائيلية فيها(٤٩). ويتأكد هذا الأمر في تصريح إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق (١٩٢١م- ١٩٩٥م) الذي جاء فيه «إن إمداد الدولة بلا انقطاع من مصادر المياه في الجولان أكثر أهمية من السلام»(٥٠). ويبرز هذا التصريح أن الإمدادات المستمرة من المياه شيء ضروري بل مصيري فيما يتعلق بأية تسوية مستقبلية مع سورية.

وتروج إسرائيل بالنسبة إلى لبنان نظرية الارتباط الجوفي بين نهر الليطاني ونهر الأردن لإجبار الدولة اللبنانية على التوقيع على اتفاق يقر لها بحصة من المياه في نهر الليطاني(٥١).

ولقد أقامت إسرائيل على خلفية قضية المياه وتداعياتها علاقات متميزة تتسم بالخصوصية مع تركيا على المستوى الإقليمي، وباتت هذه العلاقات تشهد تطوراً متنامياً كبيراً في مختلف المجالات بشكل عام، ومجال المياه بشكل خاص. ويمكن لهذا التعاون الإقليمي الإسرائيلي التركي في مجال المياه أن يحقق بعض المصالح لإسرائيل مستقبلا: منها تمويل إمدادات إسرائيل بالمياه بأموال النفط العربي، كما هو الحال في مشروع أنابيب السلام الذي ينقل المياه التركية إلى دول الخليج(٥٢).

تعتقد إسرائيل أن زمن الحروب التقليدية بينها وبين الدول العربية قد ولى، وأن أمامها فرصة ذهبية لزيادة الإنتاج والتصدير وغزو الأسواق العربية، إلا أن زيادة الإنتاج مرتبطة بتوافر المصادر المائية التي تعني في الوقت نفسه إعادة توزيعها، وهذا ما تضمنه عدة مشروعات تطرحها إسرائيل على دول منطقة الشرق الأوسط في إطار التعاون واستتباب السلام في المنطقة. ومن هذا المنطلق طرحت إسرائيل عدداً من الحلول لمواجهة نقص المياه في منطقة الشرق الأوسط. فقدمت مشروعات ومخططات مائية بعضها جديد وبعضها قديم بصيغة جديدة. ومن هذه المشروعات:

- قناة البحرين: يعد هذا المشروع من المشروعات القديمة التي قدمت بصيغة جديدة. ويقوم هذا المشروع على حفر قناة تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت، واستغلال ضغط المياه المتساقطة بفعل الفارق في الارتفاع أو المستوى بين البحرين لتوليد الطاقة وإقامة مشاريع لتحلية مياه البحر.

- مشروع القناة المائية العازلة في الجولان: يرمي هذا المشروع إلى إنشاء قناة تسمى «قناة السلام»، وتشكل حاجزاً عسكرياً يصعب التغلب عليه في المناطق التي ينسحب منها

الإسرائيليون في الجولان. ويقوم هذا المشروع على تحويل ١,١ مليار متر مكعب من المياه سنوياً من سد أتاتورك ومياه نهر سيحان وجيجان في تركيا وتوزيعها بالتساوي بين سورية والأردن وسورية وفلسطين.

يحقق هذا المشروع لإسرائيل عدة أهداف منها:

- الحصول على أكبر كمية ممكنة من المياه المتوافرة في الجولان.

- شل قدرة سورية على استخدام هذه المرتفعات كمنطلق للعمليات العسكرية ضدها.

- يقدم لإسرائيل حصة من مياه الجولان المنحدرة في اتجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة، إلى جانب حصة من المياه الوافدة من تركيا والمخزنة في القناة.

- يقيم حاجزاً مائياً على أعلى المرتفعات يمنع الاختراق ويمنح إسرائيل حق البقاء في قسم من الجولان، وهو ينشئ رابطة من المصالح المتداخلة والمتشابكة بين إسرائيل وجيرانها يصعب في المستقبل الاستغناء عنها.

- مشروع نقل فائض المياه التركية بواسطة أكياس مائية عائمة أو ناقلات مائية تنطلق من أحد الموانئ التركية إلى البحر الأبيض المتوسط وتتجه نحو السواحل الإسرائيلية.

- مشروع الأبراج الحرارية لتحلية مياه البحر في دول الخليج: والأبراج الحرارية منشآت شاهقة قادرة على إنتاج رياح صناعية متواصلة بالاعتماد على اختلاف مستويات الضغط والتأثيرات في الطبقات الجوية. والشرط الوحيد لإقامة هذه الأبراج هو وجودها في موقع محاذ للبحر يتميز بمناخ شديد الحرارة والجفاف.

والحقيقة هي أن هذه المشروعات وغيرها لم تستهدف مجرد اقتسام مصادر المياه المشتركة بين إسرائيل والدول المجاورة وإنما الاستيلاء على كل المياه المتوافرة، والسعي لدى الآخرين أو بأموال الآخرين لتأمين مصادر مائية يستفيد العرب منها، ولكنها تتحكم فيها وتسيرها حسب مصالحها.

المحور الثاني: الأطماع الإسرائيلية في المياه الفلسطينية

يشترك الفلسطينيون وإسرائيل في مصدرين من مصادر المياه الأساسية، أول هذين المصدرين هو «خزان المياه الجوفي في الجبل»، وهو حوض يمتد لمسافة تقدر بمئة وثلاثين كيلو متراً مربعاً. ويتغذى هذا الخزان من مياه الأمطار التي تهطل على جبال الضفة الغربية وتتسرب داخله. وبعد ذلك تتدفق شرقاً وغرباً إلى مناطق تجمعها، ومن هناك يتم سحبها من خلال الآبار. ويغطي مصدر المياه هذا مايقرب من ثلث استهلاك إسرائيل من المياه، كما يشكل مصدراً للمياه التي يحصل عليها الفلسطينيون في الضفة الغربية.

ومصدر المياه الثاني هو حوض الأردن الذي يضم نهر اليرموك بكل فروعه، وبحيرة طبرية، ونهر الأردن. وعلى الرغم من أنه من الناحية الجغرافية يشترك بينهما نهر الأردن فقط، فإن المياه التي تسحبها إسرائيل من بحيرة طبرية تؤثر بشكل مباشر في كمية المياه التي تصل إلى الأردن. ويغطي هذان المصدران - حوض الأردن وخزان المياه الجوفية - أكثر من ثلثي كمية المياه المستهلكة في إسرائيل.

تردد إسرائيل في الخروج من الجولان يعود إلى خوفها من خسارة المياه الجوفية والسطحية التي تستأثر بها منذ عام ١٩٦٧م، بالإضافة إلى أمطار الجولان الغزيرة التي تتحول إلى خزان هائل للمياه الجوفية

ومن الخطوات الأولى التي اتخذتها إسرائيل عقب احتلالها للأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧م هي الإعلان عن أن كل موارد المياه في الأراضي الفلسطينية المحتلة ملكية عامة بموجب الأمر العسكري رقم اثنين وتسعين الصادر عام ١٩٧٦م. ترتب على اتخاذ هذه الخطوة، وخطوات أخرى اتخذتها إسرائيل في هذا الاتجاه، أن وضعت قيود تحد من قدرة الفلسطينيين على استغلال موارد المياه التي بحوزتهم بشكل يغطي استهلاكهم الأساسي، ويتناسب مع معدل الزيادة الطبيعية في السكان.

ولقد أدى هذا إلى جانب الإهمال الخطير من جانب إسرائيل في صيانة وإصلاح مرفق المياه في الأراضي الفلسطينية المحتلة، إلى خلق مشكلة مياه خطيرة. كما تميز إسرائيل بشكل سافر بين الفلسطينيين ومواطنيها في استهلاك المياه كماً وكيفاً. ويكفي أن نقول: إنه بعد مايزيد على ثلاثين عاماً من الاحتلال، فإن مايقرب من مئة وثمانين قرية في الضفة الغربية تعيش بلا شبكة مياه. ومن الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل في هذا الشأن:

- **حظر حفر الآبار**: من التداعيات التي ترتبت على الإعلان أن كل موارد المياه ملكية عامة، يجب تطبيق إجراء يقضي بضرورة الحصول على تصريح من سلطات الاحتلال من أجل حفر بئر جديدة. وقد استغلت إسرائيل هذا الإجراء للحد من



نهر الليطاني

زيادة كميات المياه التي يسحبها الفلسطينيون من خزان المياه الجوفية.

- **تحديد حصص المياه:** طبقًا لما يقضي به القانون الأردني فإن ملكية الموارد المائية تحت الأرض تتبع ملكية الأرض التي فيها هذه الموارد. من هنا لم توضع قبل عام ١٩٦٧م أي قيود على كميات المياه التي تضخ من الآبار. ولكن في عام ١٩٧٥م حددت إسرائيل حصصاً تقيد المياه التي تضخ من الآبار، وطبقتها من خلال قيود معينة وعقوبات مشددة فرضت على من يتجاوز هذه الحصص. ومنذ عام ١٩٧٥م تم تعديل هذه الحصص عدة مرات، وكانت الزيادة التي أضيفت خلالها محدودة جداً لا تتفق ومعدل الزيادة السكانية.

- **المصادرة:** يقضي الأمر العسكري رقم ثمانية وخمسين الصادر عام ١٩٦٧م والخاص بالممتلكات المهجورة بأن الممتلكات التي غادر أصحابها المكان تنقل إلى الجهة المسؤولة عن إدارة الممتلكات المهجورة. طبق هذا الأمر العسكري على الممتلكات التي لم تحدد هوية مالكها، ويلقى عبء إثبات تبعية وملكية هذه الممتلكات على عاتق أصحابها وليس على عاتق السلطات، فبعد فترة وجيزة من دخولها إلى الأراضي الفلسطينية صادرت إسرائيل عدداً كبيراً من الآبار التي يمتلكها فلسطينيون، واستخدمت لأغراض الري، من خلال الإعلان عنها بأنها «ممتلكات غائبين»(٥٣).

- **حظر الاقتراب من مصادر المياه:** حظرت إسرائيل على الفلسطينيين الاقتراب من مصادر المياه الموجودة على سطح الأرض؛ فقد أعلنت على منطقة مهمة على امتداد نهر الأردن، استخدمها المزارعون الفلسطينيون للري، أنها منطقة عسكرية مغلقة. كما أعلنت على خمس مجموعات من ينابيع المياه أنها «محميات طبيعية»، وأصبح الدخول إليها يتطلب دفع رسوم أو الحصول على إذن مسبق.

- **عدم صيانة منشآت المياه وإهمالها:** بدأت شركة «مكوروت»(٥٤) عقب حرب عام ١٩٦٧م بناء شبكة مياه واسعة في الأراضي الفلسطينية المحتلة. استهدف إنشاء هذه الشبكة تلبية متطلبات الجيش والمستوطنين الإسرائيليين الذين استوطنوا في الأراضي الفلسطينية المحتلة بعد ذلك. والحقيقة هي أن عدم إصلاح شبكات المياه البلدية يعد جزءاً من الإهمال

العام الذي يسود البنى التحتية في الأراضي الفلسطينية المحتلة من جانب إسرائيل. وطبقاً لما ورد في أحد الأبحاث التي أجراها البنك الدولي(٥٥) فإن الاستثمارات في البنى الاقتصادية والاجتماعية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، كجزء من إجمالي الناتج القومي خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي، كانت منخفضة جداً(٥٦).

التفرقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين في استهلاك المياه

ويظهر النقص الشديد في المياه والذي يعاني منه السكان الفلسطينيون بشكل واضح في الفجوات الكبيرة في استهلاك المياه بين الفلسطينيين والإسرائيليين بشكل عام، والمستوطنين، بشكل خاص. ويجب أن نؤكد في هذا السياق أن ثلثي المياه المستهلكة في إسرائيل يُضخّان من المصادر المشتركة بين إسرائيل والفلسطينيين. ويكشف الجدولان الآتيان هذه التفرقة:

	الفلسطينيون	الإسرائيليون
الزراعة	٥٦,٥	٢٢٨
الاستخدام المنزلي	٢٦,٥	١٠٥
الصناعة (جـ)	١,٦	٢٤
استهلاكات أخرى	٨٤,٦	٣٥٧

	الفلسطينيون في الضفة	إسرائيل
مياه للري واستخدام الأفراد بالمتر المكعب سنويا	٥٦,٥	٢٢٨
الأراضي المروية من الأراضي المستصلحة	٦٪	٥٤,٦٪
دور الزراعة في الاقتصاد (النسبة من الناتج المحلي العام)	٣٠٪	٢,٢٪
دور الزراعة في التصدير	٢٥٪	٣,٩٪
عدد العاملين في الزراعة	١٣,٢٪	٢,٥٪

لا تشتمل إحصاءات استهلاك المياه الخاصة بالفلسطينيين، على مياه الأمطار التي تخزن في الآبار الخاصة بالمواطنين الفلسطينيين، وتتراوح كمية المياه الواردة من هذا المصدر بين مليونين إلى خمسة ملايين متر مكعب سنوياً، وحتى حينما تشتمل هذه الإحصاءات على المياه التي تختزن في هذه الآبار فإن متوسط الاستهلاك الإسرائيلي، لأنواع الاستخدامات كافة، يصل إلى أربعة أضعاف متوسط الاستهلاك الفلسطيني في الضفة الغربية.

وإذا تطرقنا إلى الاستهلاك المنزلي فقط، أي مياه الشرب والوقاية الشخصية والنظافة، فإن استهلاك المواطن الفلسطيني أقل بنسبة الثلث من استهلاك الفرد الإسرائيلي. والحقيقة هي أن ٢٠٪ من سكان الضفة الغربية، الذين يقيمون في نحو مئة وثمانين قرية لا ترتبط بأية شبكة مياه نقية على الإطلاق.

ويقضي الرأي السائد بين الخبراء المختصين في شؤون المياه بأن الحد الأدنى المرغوب فيه للاستهلاك المنزلي في المدينة الحديثة يصل إلى مئة متر مكعب من المياه سنوياً للفرد، وتتجاوز إسرائيل في الوقت الحالي هذا المعدل بقليل، بينما يستهلك الفلسطينيون في الوقت الحالي أقل من ثلث هذه الكمية.

ويعد القطاع الزراعي مستهلك المياه الرئيس في إسرائيل. ولهذا الأمر جذور تاريخية تكمن في فترة الاستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين (يشوف)(٥٧)، وفي العقد الأول من قيام دولة إسرائيل؛ فقد نظر إلى الزراعة في تلك الحقبة – لأسباب سياسية واقتصادية وأيديولوجية (٥٨) – على أنها ذات أهمية قصوى لنجاح المشروع الصهيوني. وقد أدت هذه الرؤية إلى دعم أسعار مياه الري، مما شجع على زيادة استهلاك المياه.

وتتفاقم مشكلة المياه التي يعاني منها السكان الفلسطينيون في ضوء الأهمية الكبيرة للزراعة في منظومة الاقتصاد الفلسطيني المحدود. ويجمع الخبراء على أن أية تسوية في المستقبل خاصة بالمياه يجب أن تشتمل على تحويل المياه من القطاع الزراعي في إسرائيل إلى الأراضي الفلسطينية.

ولا تقتصر الفجوة في استهلاك المياه بين الإسرائيليين والفلسطينيين في الجانب الكمي فقط، وإنما تظهر أيضاً في انتظام ضخ المياه، هذا إلى جانب الفجوة في سعر المياه الذي يدفعه المستهلك. فبينما يستفيد مواطنو إسرائيل من المياه النقية بلا حدود على امتداد شهور السنة، يعاني المواطنون الفلسطينيون في الضفة الغربية من انقطاع المياه خلال معظم أيام الصيف. وينتج هذا الأمر عن الزيادة الطبيعية في استهلاك المياه في هذا الفصل الحار، هذا إلى جانب حقيقة مفادها أن شركة «مكوروت» تقلل من عمليات ضخ المياه للمواطنين الفلسطينيين بالتحديد في هذا الفصل، لكي تلبي المتطلبات المتزايدة في إسرائيل والمستوطنات على المياه.

وتبرز التفرقة في ضخ المياه بين القرى والأحياء الفلسطينية والمستوطنات الإسرائيلية بشكل خاص في الحالات التي تقع فيها هذه المستوطنات بجوار القرى والأحياء الفلسطينية، وترتبط بخزان المياه الرئيس نفسه الذي تديره شركة «مكوروت». فبينما

تستفيد هذه المستوطنات من المياه النقية من دون حدود ولكل الاحتياجات (بما في ذلك ملء حمامات السباحة وري الحدائق الخاصة) تعاني القرى والأحياء الفلسطينية من نقص شديد في المياه النقية، حتى للشرب والاستحمام.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد وإنما تحفر شركة «مكوروت» الآبار لتزويد المستوطنات بالماء، ويقع بعض هذه الآبار على مقربة من القرى والأحياء الفلسطينية. وقد وصلت عمليات الحفر إلى الطبقات العميقة لخزان المياه الجوفية، وهذا يعني خسارة كبيرة للآبار والينابيع التي تستمد مياهها من الطبقة العليا لخزان المياه الجوفية، والتي تزود القرى والأحياء الفلسطينية بالماء. وتراوح الخسائر بين الانخفاض في كميات المياه، والجفاف التام. وقد تطرق تقرير لجنة شكلها مجلس الأمن في منظمة الأمم المتحدة بجلاء إلى الانخفاض الحاد الذي حدث في كميات المياه المتاحة للقرى والأحياء الفلسطينية، ومنها: العوجة، ورام الله، والبيرة، وتل البيضا، نتيجة عمليات الحفر التي تجرى في المستوطنات المجاورة.

أثر نقص المياه في مدينة الخليل

تعد مدينة الخليل نموذجاً للمدينة الفلسطينية التي تعاني من نقص حاد في المياه نتيجة سرقة إسرائيل للمياه الفلسطينية من ناحية، وتطبيقها سياسة التمييز والتقسيم غير العادل لمصادر المياه من ناحية أخرى.

ففي هذه المدينة يقيم مايقرب من مئتين وثمانية وثمانين ألف نسمة، وموارد المياه فيها محدودة جداً. ويصل ضخ المياه للاستهلاك المنزلي للسكان من أربع آبار رئيسة. ويقل ضخ المياه للسكان الفلسطينيين في الصيف ليصل إلى أقل من نصف الكمية التي تضخ في فصل الشتاء. وتنقسم مدينة الخليل ذاتها في فصل

المراجع والهوامش

(١) آشوك سواين، التحدي الجديد: ندرة المياه في العالم العربي، في آشوك سواين وآل. جي. فينتر، المشكلة الأزلية: المياه في الشرق الأوسط، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، سلسلة ترجمات استراتيجية (نافذة على الفكر العالمي)، وسلسلة أوراق شهرية، السنة الرابعة، العدد «٢٠»، مارس ١٩٩٩م، ص١٠.
(٢) محمد مرتضى، مشاريع المياه في الشرق الأوسط، دورية «شؤون الأوسط» (مجلة متخصصة شهرية تعنى بالاستراتيجيات الإقليمية) يصدرها مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، العدد ٨١، مارس ١٩٩٩م، ص١٢٠.
(٣) آشوك سواين، التحدي الجديد: مصدر سابق، ص١٠.
(٤) المرجع السابق، ص٩.
(٥) المرجع السابق، ص٢٥.
(٦) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: التحدي والاستجابة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٨.
(٧) محمود حربي، كتب وقراءات: «ثرثرة فوق الفرات: النزاع على المياه في الشرق الأوسط» و«لا أحد يشرب: مشاريع المياه في إستراتيجية إسرائيل»، دورية «المستقبل العربي» (مجلة فكرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي)، يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، السنة الثانية والعشرون، العدد ٢٤٦، أغسطس ١٩٩٩م، ص١٥٨.
(٨) علي جوني، مشكلة المياه في الشرق الأوسط، شؤون الأوسط، العدد ٨٠، فبراير ١٩٩٩م، ص١٤٢.
(٩) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: التحدي والاستجابة، ص١١.
(١٠) المرجع السابق، ص٧٨.
(١١) د. أحمد حماد، مشكلة المياه بالنسبة لإسرائيل: الجذور واحتمالات المستقبل، رسالة المشرق (نشرة دورية يصدرها مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة)، العدد ١، يناير ١٩٩٣م، السنة الثانية، المجلد الثاني، ص٣٠.
(١٢) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: التحدي والاستجابة، ص٣٠.
(١٣) آشوك سواين، التحدي الجديد: ندرة المياه في العالم العربي، في آشوك سواين وآل. جي. فينتر، المشكلة الأزلية: المياه في الشرق الأوسط، ص١٩.
(١٤) علي جوني، مشكلة المياه في الشرق الأوسط، ص١٤٢.
(١٥) آشوك سواين، التحدي الجديد: مرجع سابق، ص١٢.
(١٦) د. أحمد حماد، مشكلة المياه بالنسبة لإسرائيل: مصدر سابق، ص٣٠.
(١٧) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: التحدي والاستجابة، ص٨٨.
(١٨) د. أحمد حماد، مصدر سابق، ص٣٣.
(١٩) المرجع السابق، ص٣٤.
(٢٠) آل. جي. فينتر، التهديد الأزلي: مصدر سابق، ص٣٣.
(٢١) محمد مرتضى، مشاريع المياه في الشرق الأوسط، دورية «شؤون الأوسط»، ص١٢٢.
(٢٢) علي جوني، مشكلة المياه في الشرق الأوسط، ص١٤٣.
(٢٣) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: التحدي والاستجابة، مصدر سابق، ص٨٨.
(٢٤) آل. جي. فينتر، مصدر سابق، ص٢٣.
(٢٥) السابق، ص١٠.
(٢٦) محمود حربي، كتب وقراءات: مصدر سابق، ص١٦٠.
(٢٧) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: التحدي والاستجابة، ص٩٧.
(٢٨) آشوك سواين، مصدر سابق، ص١٣.
(٢٩) د. أحمد حماد، مشكلة المياه بالنسبة لإسرائيل: مصدر سابق، ص٤٥.
(٣٠) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: التحدي والاستجابة، ص٨٢.
(٣١) محمود حربي، كتب وقراءات:مصدر سابق، ص١٦٠.
(٣٢) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: التحدي والاستجابة، ص٨٢.
(٣٣) د. أحمد حماد، مشكلة المياه بالنسبة لإسرائيل:مصدر سابق، ص٣٤.
(٣٤) السابق، ص٤٦.
(٣٥) علي جوني، مشكلة المياه في الشرق الأوسط، ص١٤٤.
(٣٦) مشكلة المياه بالنسبة لإسرائيل: المصدر السابق، ص٣٩.
(٣٧) آل. جي. فينتر، مصدر سابق، ص٢٣.
(٣٨) علي جوني، مشكلة المياه في الشرق الأوسط، ص١٤٤.
(٣٩) عبد العظيم حماد، حقائق غائبة، في آشوك سواين وآل. جي. فينتر، المشكلة الأزلية: المياه في الشرق الأوسط، ص٣٦.
(٤٠) آل. جي. فينتر، مصدر سابق، ص٢٦.
(٤١) محمود حربي، كتب وقراءات: مصدر سابق، ص١٦٠.
(٤٢) د. عبد المالك خلف التميمي، المياه العربية: مصدر سابق، ص٧٢.
(٤٣) علي جوني، مشكلة المياه في الشرق الأوسط، مصدر سابق، ص١٤٥.
(٤٤) محمود حربي، كتب وقراءات: مصدر سابق، ص١٦٠.
(٤٥) نقلا عن: آل. جي. فينتر، ص٣١.
(٤٦) المرجع السابق، ص٣٢.
(٤٧) المرجع السابق، ص١٢.
(٤٨) محمود حربي، كتب وقراءات: مرجع سابق، ص١٦٠.
(٤٩) علي جوني، مشكلة المياه في الشرق الأوسط، ص١٤٤.
(٥٠) نقلا عن: آل. جي. فينتر، مرجع سابق، ص٢٥.
(٥١) علي جوني، مشكلة المياه في الشرق الأوسط، ص١٤٣.

الصيف خمس عشرة منطقة، تضخ البلدية لها المياه بالتناوب، حيث تضخ المياه إلى منطقة ما مرة كل خمسة عشر يوماً، على مدار أربع وعشرين ساعة. وتتفاقم مشكلة المياه في مدينة الخليل نتيجة الإهمال الشديد في البنية التحتية الخاصة بالمياه خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي.

ويجبر النقص الشديد في المياه السكان الفلسطينيين في منطقة الخليل على شراء المياه بشكل خاص من شاحنات الصهاريج التي تنقل المياه لبيعها. كما يزيد نقص المياه بشكل حاد من صعوبة الحفاظ على ظروف صحية ووقائية مناسبة، من هنا فإن لهذا النقص تداعياته على صحة المواطنين، ومن هذه التداعيات سرعة انتشار الأمراض المعدية نتيجة استخدام المياه غير النقية، وزيادة حالات الجفاف بسبب عدم وجود المياه الكافية للشرب، وعدم الاهتمام الطبي المناسب بالمرضى في المنازل والمستشفيات، مما يمثل خطورة على حياة المواطنين.

كما يتسبب نقص المياه في انتشار الأمراض المعدية لعدة أسباب، منها: سحب المياه من آبار مياهها غير نقية، واستخدام المياه الراكدة في النظافة بدلا من المياه الجارية، وري الزرع بمياه الصرف الصحي.

وتبرز في المستشفيات الأهمية القصوى في الحفاظ على الوقاية الصحية؛ لأنها بيئة تكثر فيها الميكروبات. ولكن نتيجة نقص المياه فإن عملية النظافة تتأثر كثيراً بهذا الأمر، ويقل معدل العمليات الجراحية وأشكال العلاج المختلفة بشكل كبير.

ويزيد خطر عدم توافر شروط وقاية وعلاج مناسبين من خطورة المرض ذاته، الذي يصاب به الداخلون إلى المستشفى، ويهدد أيضاً أبناء الأسرة الذين يرافقون المريض. ومن أكثر الفئات التي تعاني نتيجة النقص الشديد في المياه المرضى المحجوزون في المستشفى. فاستخدام دورات المياه والحمامات يكاد يكون غير ممكن.

---

(٥٢) محمود حربي، كتب وقراءات: مرجع سابق، ص١٥٩.

(٥٣) يطلق تعبير «غائب» (نيفكاد) - حسبما يقضي القانون الإسرائيلي- على الشخص الذي ترك فلسطين خلال الفترة من ٢٩-١١-١٩٤٧م حتى ١-٩-١٩٤٨م واتجه إلى مكان آخر يتبع القوات - التي تعدها الجماعات المسلحة للتجمع اليهودي الصهيوني في فلسطين- معادية، فترك - قبل مغادرته فلسطين - ثروة ما أو داراً أو أي شيء آخر يقدر بمال.
وقد جاء تحديد مفهوم «الغائب» في قانون «أملاك الغائبين» (نخساي نفكاديم) الذي صدر عام ١٩٥٠م، وإن كانت صياغة القانون عامة لم تفرق بين الفلسطيني وغيره من اليهود، ولكن المعروف والشائع والمستهدف هو أن هذا القانون يركز على الفلسطينيين الذين تركوا فلسطين خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨م فتركوا وراءهم دياراً وأراضي وبساتين وغير ذلك.
وتدير «أملاك الغائبين» في إسرائيل مؤسسة باسم «الحارس على أموال الغائبين» (أبيتروبوس عل نخساي نفكاديم)، تعمل في إطار وزارة العدل الإسرائيلية. وتزعم إسرائيل في الجدل الدائر بشأن هذا الموضوع في إطار حل الصراع العربي الإسرائيلي أنه في مقابل الأموال التي تركها الفلسطينيون في فلسطين عند فرارهم من أهوال الحرب، ترك اليهود عند مغادرتهم البلاد العربية ثروات تقدر قيمتها بأكثر مما تركه الفلسطينيون. للمزيد عن هذا القانون وتداعياته انظر:
يعقوف شاس، وش. أرينيلي، قاموس دافير: الجنسية، والمجتمع، والدولة (ليكسيكون دافير: إزراحوت، حبرا، أومدينا)، دار نشر دافير، تل أبيب، الجزء الثاني، ص٦٢٥.

(٥٤) شركة مكوروت: شركة المياه الحكومية في إسرائيل. أسس هذه الشركة عام ١٩٣٧م اتحاد العمال اليهود في فلسطين (هستدروت هعوفديم) والوكالة اليهودية (هسوخنوت هيهوديت). ينتشر نشاط هذه الشركة على امتداد إسرائيل. من أهم الأعمال التي نفذتها هذه الشركة: خط المياه الذي ينقل المياه إلى صحراء النقب عام ١٩٤٧م، ومصنع تنقية مياه نهر العوجة-النقب، وخط المياه القطري (موفيل همايم هاأرتسي). وتقوم هذه الشركة بتنفيذ مشروعات خاصة بالمياه خارج إسرائيل. للمزيد انظر: الموسوعة الإسرائيلية العامة؛ جديدة وشاملة (هاإنتسيكلوپديا هيسراليليت هكلاليت؛ حداشا - مكيفا)، دار نشر كيتير، القدس، الطبعة الثانية عشرة المعدلة، ١٩٩٥م، الجزء الثاني، ص٤٨٤.

(٥٥) البنك الدولي World Bank: مؤسسة تمويل تابعة لمنظمة الأمم المتحدة. أسس البنك الدولي عام ١٩٤٤م بهدف تمويل مشروعات التنمية والتعمير التي تعتزم الدول الأعضاء تنفيذها. ولكن البنك لم يباشر أعماله إلا في شهر يونيو/حزيران من عام ١٩٤٦م. ويتخذ البنك الدولي من واشنطن مقراً رئيساً له.

56 - The World Bank, Developing the Occupted Territories- An Investment in Peace (Washington: The World Bank, 1993), pp. 28-35.

(٥٧) اليشوف: كلمة عبرية تستخدم للإشارة إلى التجمع اليهودي الصهيوني في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل. وتفرق الكتابات الصهيونية بين تعبيرين يشيران إلى الفترة التي سبقت قيام دولة إسرائيل. التعبير الأول «اليشوف القديم» ويقصد به الجماعات اليهودية التي عاشت في فلسطين - قبل ظهور الحركة الصهيونية كحركة منظمة - كأقلية دينية، وكانت تعيش على الصدقات أو التبرعات المعروفة بالعبرية «حلوكا» (توزيع) التي كانت ترسلها الأقليات اليهودية في أوربا لتشجيع هذه الجماعات على تكريس حياتها للتعبد ودراسة التوراة والمحافظة على الطقوس والشعائر والمقدسات الدينية. ولم تكن لهذه الجماعات مطامع سياسية؛ لأن الغرض من تواجدها في فلسطين كان في الغالب دينيًا محضًا تمثل في تكريس حياتهم لدراسة التوراة وإقامة الشعائر الدينية والصلوات والعيش بالقرب من الأماكن اليهودية المقدسة. ولهذا السبب كان تمركز هذه الجماعات في مدن القدس وطبرية وصفد والجليل.
أما التعبير الآخر فهو «اليشوف الحديث» الذي تكون متأثراً بالفكر الصهيوني والهجرة اليهودية إلى فلسطين، فكانت له توجهات ومطامع سياسية استهدفت إقامة دولة يهودية في فلسطين.

(٥٨) الأهمية السياسية والاقتصادية والفكرية للزراعة في الفكر الصهيوني: كانت الزراعة في التجمع اليهودي الصهيوني في فلسطين، وبُعيد قيام دولة إسرائيل، بمنزلة النشاط الاقتصادي الرئيس؛ لأنها كانت تعني العودة إلى الأرض كما عبر عنه الكاتب والمفكر الصهيوني «أهارون ديفيد جوردون"» (١٨٥٦م-١٩٢٢م). بحيث أصبح هذا التجمع اليهودي الصهيوني مجتمعاً تعيش داخله مجموعة من المزارعين. وكانت الأيديولوجية الصهيونية تستهدف من التركيز على الزراعة ربط أفراد هذا المجتمع الوليد بالأرض للتمسك بها وعدم التخلي عنها، انطلاقاً من رؤيتهم التي تقضي بأن قدرة الفرد اليهودي على حراثة أرضه هي الوسيلة الرئيسة التي تجعل جذوره تضرب داخل الأرض، وبذلك تضمن الاستمرارية له وللأجيال القادمة.
أضف إلى هذا أن منظري الفكر الصهيوني الذين هاجروا من روسيا إلى فلسطين قد تأثروا بالمزارع الاشتراكية الجماعية في روسيا مثل الكولخوز والسوفخوز. من هنا كانت المزارع الجماعية الاشتراكية المعروفة بـ«كيبوتس» أكثر أشكال الاستيطان الصهيوني شيوعاً في التجمع اليهودي الصهيوني في فلسطين وبعيد قيام دولة إسرائيل بعد ذلك.

إمارات إسلامية في مدغشقر

يوسف شلب الشام
حمص - سورية

قليل هم الناس الذين سمعوا عن الممالك الإسلامية التي قامت في جزيرة مدغشقر، وعن نشأتها وتأثيرها الحضاري والفكري في حياة الجزيرة، حتى خضوعها للاستعمار الفرنسي في آخر القرن التاسع عشر. فما هذه الإمارات؟ وما نضالها؟ وما مأساتها؟

على الطرف الثاني من مضيق موزامبيق تمتد جزيرة مدغشقر البالغة الاتساع في المحيط الهندي إلى الجنوب الشرقي من القارة الإفريقية، وهي عالم جديد يختلف عن القارة كل الاختلاف، فلا الحياة الحيوانية فيهما ولا الحياة البشرية تتشابهان. وإذا كانت شهرة إفريقية تقوم بين مجيء الأسفار على حيواناتها الضارية، وأفاعيها المفترسة، فأنت لن تجد شيئًا من ذلك فوق الأرض الملغاشية وإن كانت غنية بالطيور المغردة والزاهية الألوان، وتعج سواحلها بالأسماك مما يجعلها صالحة لسكنى من يؤمها من المهاجرين.



صورة قديمة لمسلمين أمام مسجد في مدينة «وي بن»
المصدر: (مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - محمد بن ناصر العبودي)

لا أصول ولا جذور

تتألف الجزيرة نفسها من هضبة مرتفعة في الوسط تجعل المناخ فوقها عادياً على الرغم من العروض الجغرافية الحارة التي تجتازها، ومن سواحل منخفضة رطبة على الأطراف كانت منذ البداية مناطق تجمع للوافدين يستقرون فيها ريثما يتاح لهم التحرك نحو المرتفعات. أما السكان فليس لهم أصول في الجزيرة ولا جذور، بل قدموا من أركان الأرض الأربعة ليلتقوا فوقها ويؤلفوا فيها ذلك الخليط العجيب من المستوطنين.

لم تعرف الجزيرة حياة بشرية قبل القرن الثالث السابق للميلاد فلم تكشف في أرضها أية حفريات بشرية قديمة تدل على وجود الإنسان فيها كما حدث في جارتها إفريقية، أو كما حدث في آسيا وأوربا، فهي تشبه في ذلك القارة الأمريكية التي لم تطأها قدم بشرية قبل وصول الهنود الحمر إليها من آسيا. والسكان الأوائل الذين

وصلوا إلى الجزيرة لم يأتوا إليها من السواحل الإفريقية القريبة، بل من مكان بعيد لا يخطر على بال. فهم من الميلانيزيين الذين يسكنون جزراً في جنوب شرق آسيا، قادوا قواربهم الصغيرة المحفورة من جذوع الأشجار، واعتمدوا على مجداف واحد وشراع ليتجولوا في المحيط الهندي محاذين سواحل آسيا والجزيرة العربية وإفريقية الشرقية، حتى وصلوا إلى الساحل الغربي من مضيق موزامبيق، فأقاموا هناك فترة من الزمن قبل أن ينتقلوا إلى جزر القُمُر الواقعة في وسط المضيق، ومن هناك قفزوا إلى السواحل الغربية لجزيرة مدغشقر، فكانت هذه السواحل أولى المناطق من الجزيرة تطؤها قدم بشرية.

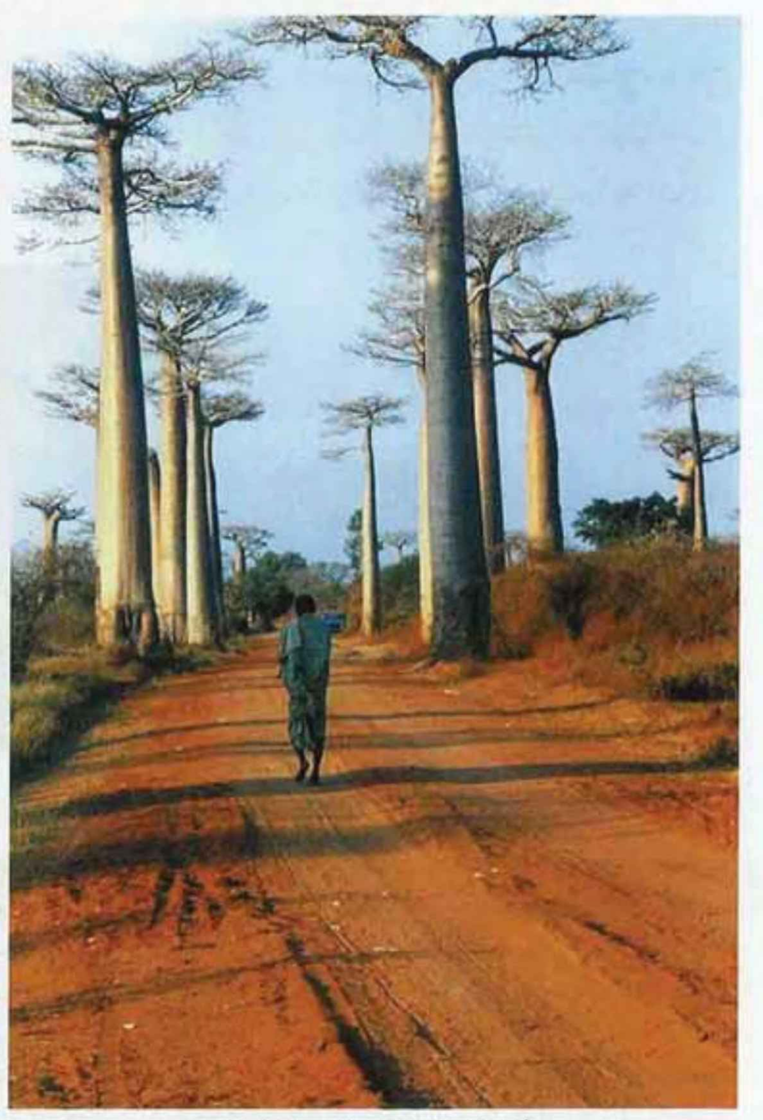
في هذه القرون القليلة السابقة للميلاد كانت إفريقية الجنوبية مسكونة بالأقزام الذين لم يكونوا قد وصلوا إلى مرحلة حضارية تمكنهم من اجتياز المضيق. ولم تصل شعوب البانتو ذات الحضارة الحديدية إلى السواحل الأفريقية الشرقية القريبة من مدغشقر إلا بعد ذلك بعدة قرون، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الهجرة إلى الجزيرة مزدوجة، فيصل الميلانيزيون إلى جزر قُمر ويلاقيهم زنوج البانتو هناك فيتعايشون ويختلطون حتى يتشكل منهم مولدون ينتقلون إلى الجزيرة الكبيرة شعباً جديداً وحضارة مولدة.

وصول العرب

واستمر الأمر كذلك حتى قيام الفتوحات العربية حيث أصبح المحيط الهندي منذ القرن الثامن الميلادي ميداناً للنشاط الاقتصادي العربي، وأخذ العرب يتجمعون على ساحل إفريقية الشرقية في كلوة وممباسة ودار السلام، ويختلطون مع السكان من البانتو ليشكلوا معهم عنصراً جديداً من المولدين، وحضارة جديدة، وينشروا الدين الإسلامي، وأصبحت اللغة السواحلية - وهي خليط من العربية ولغة البانتو - اللغة السائدة في كل أصقاع إفريقية الشرقية التي نشر فيها العرب نفوذهم الاقتصادي والثقافي إلى أبعد الحدود.

وكان لابد للعرب من أن يصلوا إلى جزر قُمُر التي أصبح يجتمع فيها مهاجرون من جنسيات مختلفة، فانتشرت هنا اللغة السواحلية والخط العربي والدين الإسلامي. ومن هنا كان النوع المولد من السكان ينتقلون إلى مدغشقر مع لغتهم وثقافتهم.

لكن وصول العرب إلى مدغشقر بشكل مباشر لم يكن عن طريق سواحلها الغربية، فقد وصلت قوافل منهم عبر العصور إلى السواحل الشرقية من الجزيرة، واختلطوا بمن وجدوه هناك من السكان، حاملين معهم مذاهبهم الإسلامية المختلفة، ومؤثرين في الحياة الاجتماعية والثقافية لسكان الجزيرة كلها. فقد



أشجار الباوباب العملاقة (BAOBABS)


من طرائق الصيد في الجزيرة

أصبحت الأحرف العربية هي أحرف الكتابة عند الجميع، وانتشر الشيعة في كثير من مناطق الجزيرة ينقلون معلوماتهم الفلكية ويعملون منجمين ذوي سلطة وحظوة عند جميع ملوك الجزيرة وأمرائها.

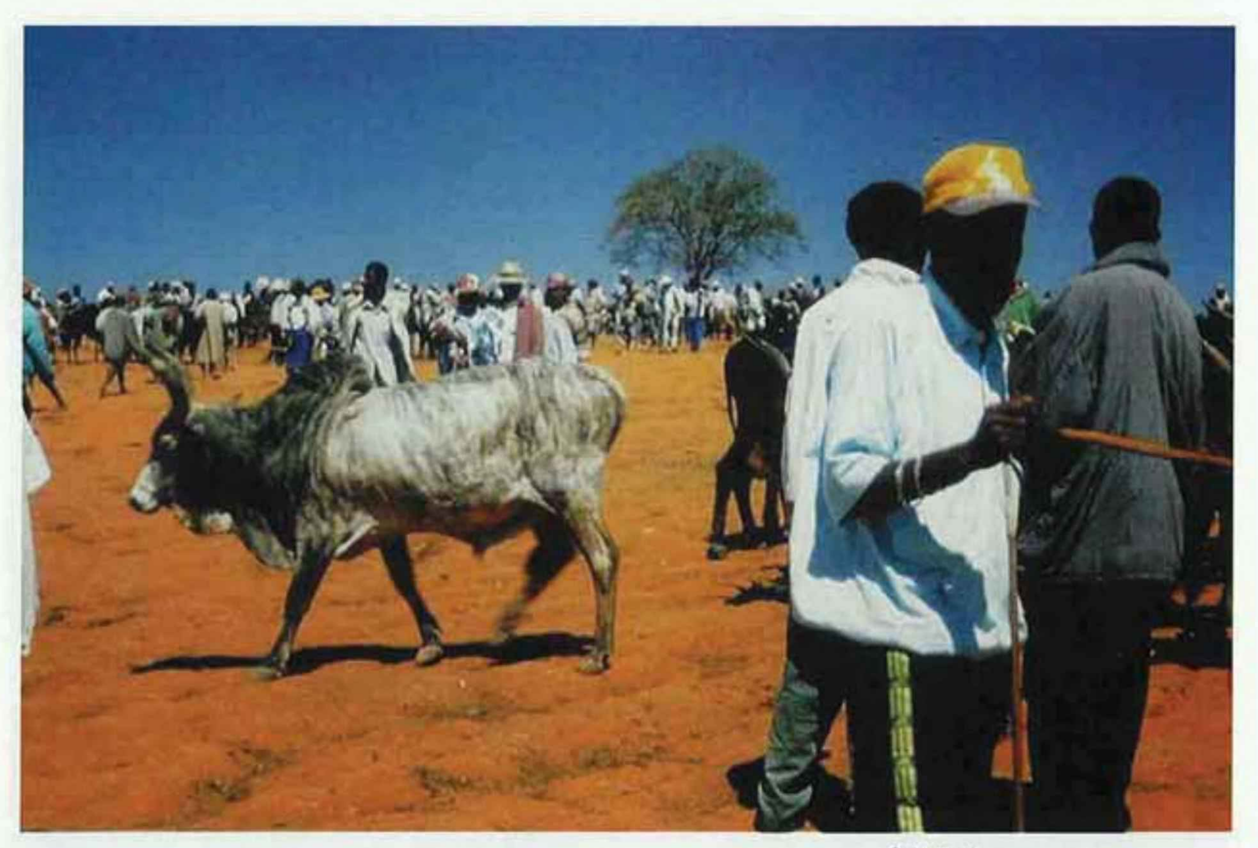
وأنشأت جماعة من السنة والإسماعيليين مملكة لهم في أقصى الجنوب الشرقي سميت مملكة أنتانوزي أنشأها شعب الأنوزي الذين ينتسبون إلى أرومة عربية عن طريق بطل نصف أسطوري هو رامينا الذي تذكر الحكاية أنه قدم من مكة، وينتسب إلى أصل قرشي. ويقول القس ناكار الذي عاش في القرن السابع عشر: إن هؤلاء النوزي المسلمين كانوا يقومون بطواف طقسي حول السوراتا، وهي كتب مكتوبة بالعربية كانت تُعرض بكل تبجيل في مركز الطواف. ويذكر فلاكور أنه كان للنوزي بطل أسطوري آخر اسمه رمضان كانوا ينسبون إليه كثيراً من المآثر والبطولات.

وإلى الشمال من مملكة أنتانوزي على الساحل الشرقي قامت مملكة سنية هي أنتيمورونا كان لها تأثير ثقافي فيما حولها، وإلى الغرب من هذه المملكة على السفوح الشرقية من الهضبة عاش التانالا الذين ليسوا من أصول عربية، واحتفظوا بدياناتهم الوثنية، ولكنهم خضعوا لأمراء على المذهب الشيعي.

وقد عاشت مملكتا أنتانوزي وأنتيمورونا ردحًا من الزمن على الساحل الشرقي والجنوبي الشرقي تدفعان بالدعاة والهجرات البشرية إلى أنحاء الجزيرة وبخاصة سواحلها الغربية.

ممالك قوية

وقد استقر أفراد هذه الهجرات ردحًا من الزمن على ضفاف نهر السكالافا على الساحل الجنوبي الغربي من الجزيرة فحملوا اسمه، ومن هناك انتشروا على طول الساحل نحو الشمال الغربي والسفوح المجاورة تحت قيادة أمير من أصل عربي اسمه أندرياندا هيفوشي، أي الأمير الأبيض، لتمييز لونه من لون السكان التقليدي الكامد،



سوق الماشية

وكان ذلك في القرن السابع عشر. وعندما حضرت الوفاة هذا الأمير قسم مملكته بين ابنيه أندريا مانتيريا ريفو، وأندريا مانديزا ريفو: الأول أطلق على مملكته اسم مينابي، ومدها نحو الشمال، واشترى السلاح من الغرب عن طريق التجار، وقوّى مملكته، وأخذ يشن الغارات باتجاه مملكة الميرينا القوية دون أن يتمكن من إلحاق الأذى بها، وهي المملكة التي كانت تزدهر وتتوسع بغية ضم كل أجزاء الجزيرة، والثاني اندفع نحو الشمال حيث انتصر على الأنتا لاوترا، وأخضعهم لسلطانه. وكان هؤلاء قد قدموا من جزر القُمُر الإسلامية، وأنشؤوا إمارة إسلامية لهم على الساحل الشمالي الغربي من الجزيرة، والخرائب الأثرية التي اكتشفت هنا لا تختلف عن خرائب جزر إفريقية الشرقية الإسلامية بما فيها من مساجد وحصون وأضرحة. وكان هؤلاء الأنتا لاوترا يخضعون لأمير يحمل لقب سلطان تساعده طبقة دينية وثقافية تسمى الكتّاب (كاتيبو) مهمتها، إلى جانب الإدارة، نشر



جانب من إحدى المحاضرات الدينية (مدغشقر بلاد...)

الثقافة العربية والإسلامية. وبعد الانتصار عليهم أطلق أندريا على مملكته الجديدة اسم بوينا. وقد قويت هذه المملكة في عهد خلفائه، وقامت بغارات، وفرضت الجزية على عدد من الشعوب. وفي نهاية القرن الثامن عشر وصلت إلى عرش المملكة الملكة الشهيرة رافاهيني التي اشتهرت بالعدالة وقوة السطوة، وأصبحت عاصمتها

ماروفوزي أكبر مدينة في الجزيرة على الإطلاق.

هذه الممالك والإمارات الإسلامية أدت دوراً مهماً جداً في حياة سكان الجزيرة الثقافية. ونحن لا نعرف على وجه الدقة مدى انتشار المبادئ الإسلامية بصفائها ووضوحها عند عامة الشعب الذي كان يؤمن بكثير من الأساطير والطقوس الحيوية، ولكن التأثير الثقافي كان واسعاً في اللغة العربية التي فرضت كثيراً من مفرداتها، كما فرضت أحرفها العربية على الكتابة حتى خضوع الجزيرة في النهاية للاستعمار الفرنسي وبعثاته التبشيرية التي كان لها تأثير فعال في انتشار الكاثوليكية واستبدال الأحرف اللاتينية بالأحرف العربية.

حكاية مملكة إيميرينا

هذه الممالك الإسلامية وغيرها من الممالك والإمارات الوثنية الكثيرة التي عاشت في مدغشقر أصبحت عرضة لتوسع مملكة قوية كانت تتربع على عرش السيادة في وسط الهضبة الملغاشية هي مملكة إيميرينا التي حاولت توحيد الجزيرة كلها، ودفعها في طريق التقدم، والأخذ بوسائل الحداثة الأوربية لتنجو من مطامع الاستعمار الغربي، ولكنها سقطت في أوج نضالها في براثن الاستعمار الفرنسي بطريقة مأساوية، فكيف حدث ذلك؟ لنرو القصة باختصار:

تغلب على الشعب الذي أنشأ هذه المملكة الصفة الماليزية. ولما قدم إلى مدغشقر كان يعرف الحديد فتغلب على من سبقه في سكنى الهضبة الوسطى، وتأثر بمؤثرات زنجية، وعربية واسعة، فقد دخلت لغته كمية كبيرة من الكلمات العربية، ومن لغة البانتو. وكانت مملكته التي أنشأها منذ القرن الثالث عشر ذات نظام إقطاعي ينتظمها قانون من الأعراف والتقاليد، وتعتمد على موظفين يعينهم الملك في الإقطاعيات لمراقبة سير العدالة. وبقيت الديانات السائدة هنا، كما في سائر أجزاء الجزيرة، هي الديانات الوثنية على الرغم مما بذله دعاة المذاهب الإسلامية المختلفة لنشر مذاهبهم. ومع ذلك تأثر السكان بالثقافة العربية فانتشرت عادة الختان، وكتبت لغة الإيميرينا مثل كل لهجات الجزيرة الأخرى بالأحرف العربية، ولم يكن الناس سواسية من الناحية الاجتماعية، فعلى رأس الهرم كان الملك الذي يقدّس كإله، وبعده الأسرة المالكة فالنبلاء الإقطاعيون.

وقد عرف الناس هنا كل أنواع الزراعات، ما أتى بها من إفريقية أو البلاد العربية أو آسيا، واستخدمت كل الأدوات الزراعية المعروفة في ذلك العصر. وقد جلب هؤلاء المهاجرون معهم الحديد فصنعوا الآلات المختلفة، واستخدموا أنواعاً متقدمة من الفخار. أما بيوتهم فكانت تبنى بالآجر وتوضع فوقها سقوف من القش عالية وشديدة الانحدار لتناسب أمطار المنطقة، وفي داخلها دكات حجرية أو خشبية توضع عليها الطنافس.

وكانت القرى تحاط بسور من الطين له باب يستند إلى دعامتين حجريتين يغلق عند المساء، وحول السور خندق أو سلسلة من الخنادق للحماية من العدوان.


شجرة الجاكاراندا

كان أندريا مانيلو من أوائل ملوك الأيميرينا الذين نقلت الروايات أخبارهم. وقد عاش في القرن السادس عشر أي في القرن الذي كانت فيه أوربا تنفض عن عينيها آثار الغفلة والجهل. وقد تمكن بما يملكه من أسلحة حديدية أن يوسع ممتلكاته، ويستولي على الأراضي المجاورة.

وتابع خلفاؤه من بعده سياسته التوسعية التنظيمية حتى تمكن أحدهم من أن يضع حجر الأساس لمدينة تاناناريف التي أصبحت عاصمة الإيميرينا ثم عاصمة لمدغشقر كلها فيما بعد.

وفي عهد ملكها رامبو سالاما (الكلب السليم) الذي حكم في أواخر القرن الثامن عشر تقدمت أحوال البلاد وتوطدت وحدتها، لأن ملكها هذا أراد أن يسير بها إلى مستوى البلاد الأوربية التي كانت توطد أقدامها في ثغور الجزيرة وتتلمظ لابتلاع خيراتها. وقد تمكن من عقد سلسلة من الاتفاقات مع الأمراء المحليين الذين قبلوا

التأثر بالزي العربي واضح في الزي الوطني لمدغشقر، ويبدو في الصورة الشيخ محمد ناصر العبودي الرابع من اليسار (مدغشقر بلاد...)

بحمايته على أن يبقوا حكاماً على شعوبهم، وأن يطبقوا الأنظمة والأحكام وأنواع الضرائب السائدة في المملكة، ولكنه لم يتمكن من التغلب على دولتي السكالافا الغربيتين الإسلاميتين بوينا وميناب، فارتأى أن يتقرب منهما بالصداقة والتحالف. وكان خلفه راداما أكثر تبصراً بالمستقبل، فعرف أنه من أجل مقارعة الأطماع الاستعمارية لابد من السير في مضمار الحضارة الغربية وتعرف أسرارها، فطرد المشعوذين والدجالين، ودعا إلى تعلم اللغات الأجنبية، واهتم بالمخترعات الحديثة، ونظم الجيش والإدارة، ورفع من مستوى القوانين، وشق الطرق، ونشأت في عهده أول مدرسة على الأسلوب الحديث. وبتأثير من خبرائه الغربيين ألغيت الأحرف العربية، وصارت اللغة الملغاشية تكتب بالأحرف اللاتينية، وأنشئت مدارس للنسيج والحدادة، ولما توفي راداما كان قد وضع البلاد على عتبة حضارة جديدة.

لكن هذا الاندفاع نحو الحضارة الغربية كان لابد له من ردود فعل من المحافظين، كما يحدث في كل المجتمعات. وكان للبعثات التنصيرية دور في رد الفعل هذا، إذ بعد أن كانت مدغشقر جنة للتسامح الديني قبل دخول المبشرين صار هؤلاء يسفهون معتقدات الأهالي السلفية، ويتشددون في انتقادها؛ مما أثار الكبرياء الوطني في نفس الملكة رانافالونا فأصدرت بياناً في عام ١٨٣٥م منعت فيه البعثات التنصيرية، ورفضت عمليات التعميد، وأعلنت أنها تتعبد لإلهها وأجدادها ولا تصلي لإله الأوربيين. إلا أن ابنها راداما الثاني وقع تحت تأثير المثقفين الملغاشيين الذين أتموا دراساتهم في الغرب. فنشبت ثورة أبعدته عن الحكم، ووضعت زوجته مكانه عام ١٨٦٣م، فتمكنت أن تقود البلاد وفق سياسة معتدلة مدة خمس سنوات حتى خلفتها ابنة عمها رانا فالونا الثانية التي كان عهدها عهد إصلاحات واسعة، فقد تم تنظيم الجيش، ونظمت إدارة البلاد، وصدرت مجموعة القوانين المدنية، وانتشرت الطباعة والمطبوعات وصدرت الصحف، وأصبحت الدولة ذات طابع أوربي، وعلى درجة مرموقة من التقدم.

ولكن العلاقات مع فرنسا كانت تسير من سيئ إلى أسوأ. واستمرت كذلك في مطلع عهد خليفتها رانا فالونا الثالثة التي ما لبث وزيرها الأول أن عقد مع فرنسا اتفاقاً في عام ١٨٨٥م تعترف فيه بسيادة الملكة على كل جزيرة مدغشقر مقابل أن تكون سياستها الخارجية بيد الفرنسيين الذين كانوا قد احتلوا ميناء تاماتاف الملغاشي، وأجبروا الملكة على توقيع هذا الاتفاق، ثم انسحبوا من الميناء بعد توقيعه.

وهكذا وصلت رانا فالونا الثالثة إلى العرش و بلادها في حالة حرب. وكانت صبية لا تتجاوز الثانية والعشرين من


إحدى قرى مدغشقر

العمر تجمع فيها كل جراح الوطن وكبرياؤه. وعند أول لقاء لها مع الشعب في حفلة التتويج ألقت خطاباً قالت فيه: «لقد وهبني الله هذه المملكة، وإنني لشاكرة له الفضل، وقد دافع عنها أجدادي بكل شجاعة وإخلاص. فإذا أراد أحد أن ينتزع منها ولو شبراً واحداً فإنني سأكون معكم في المقدمة للدفاع عن هذا الوطن أو نموت».

إلا أن هذه الصبية ذات الكبرياء التي ألهبت حماسة الجماهير لم تكن تستطيع أن تقف أمام مؤامرات الدول الأوربية وتسوياتها الاستعمارية. فلما رفضت حماية فرنسا وقعت الحرب. وأبدى الملفاشيون شجاعة كبيرة في القتال، ولكنهم أخذوا على غرة عندما تمكن لواء فرنسي سريع من الوصول إلى العاصمة، وأجبر الملكة على الاستسلام، وفرض الفرنسيون حكمهم على البلاد في الثلاثين من أيلول/سبتمبر عام ١٨٩٥م.

إلا أن الثورات اندلعت على يد رجال الجيش الذين بقيت قلوبهم معلقة بأميرتهم الصغيرة التي أسرها الفرنسيون، ومن أجل إرضائهم خرج القائد الفرنسي إلى شرفة القصر وإلى جانبه الأميرة أملاً في تهدئة الأمور، ولكن الدموع الصامتة التي انحدرت على وجهها المرفوع ذي الكبرياء كان لها فعل النار في إثارة الجموع التي نشرت ثورتها إلى كل أنحاء البلاد، ولما رأى الفرنسيون أن الأميرة لا تستطيع أن تخدم مصالحهم ألغوا النظام الملكي في عام ١٨٩٦م وحولوا الحماية إلى استعمار مباشر. وعلى الرغم من أن الاستعمار مصيبة في حد ذاته لكنه أحال النزاعات الداخلية إلى وحدة وطنية لا تنفصم عراها؛ لأن الآلام وحدت بين الجميع. وبرزت الوحدة القومية ممثلة في وحدة النضال. وبقيت هذه الروح متقدة لا يخبو أوارها حتى تمكنت مدغشقر من الحصول على استقلالها في العشرين من حزيران/يونيو عام ١٩٦٠م.

المراجع

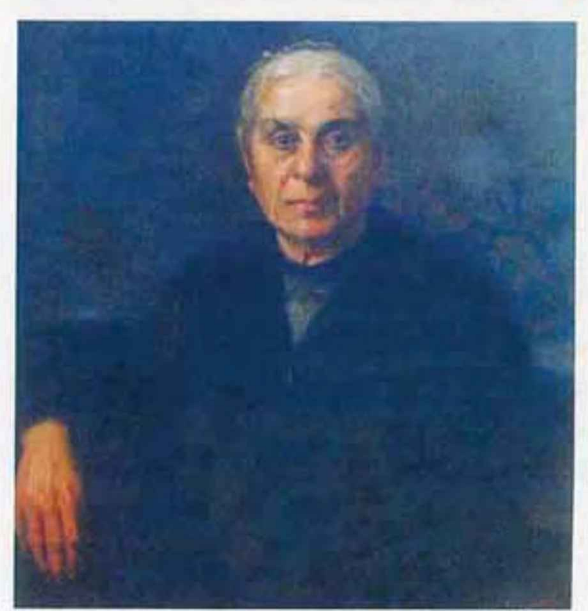
1 - Deschamps H. Histoire De Madagascar
2 - Cornevin Robert. Histoire De L'afrique
3 - Yoseph Kizerbo. Histoire De L'afrique Noire

في الدوحة مئة عام من الفن التشكيلي العربي

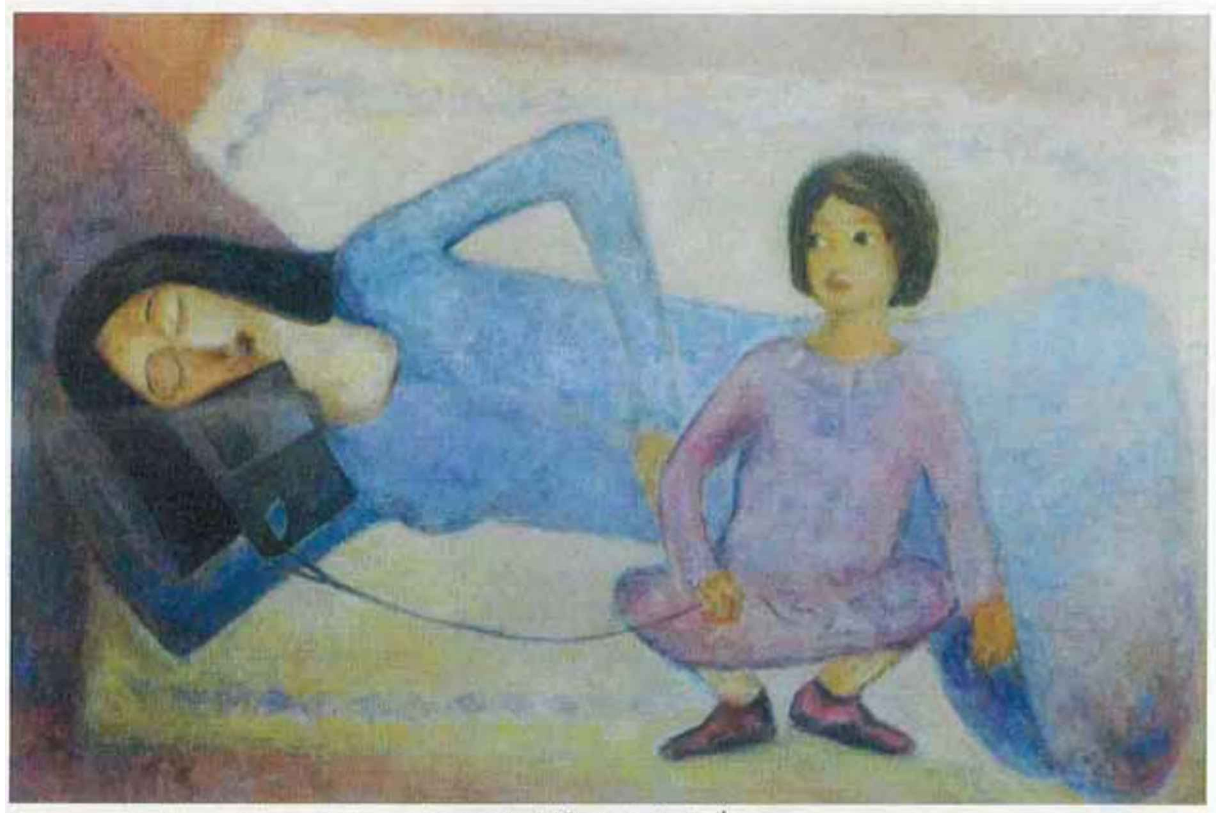
عبدالرحمن السليمان
الدمام ـ السعودية

مع قرن جديد ينبعث الفن التشكيلي العربي الحديث في صيغة متحفية رائدة على مستوى الساحة الثقافية العربية التي لم تستجمع هذا الفن طوال العقود الفائتة، سوى بلقاءات أو تجمعات وقتية، يشترك فيها بعض الفنانين من بعض القنوات الرسمية، حيث برز اتحاد الفنانين التشكيليين العرب الذي حاول تحقيق بعض الأحلام التشكيلية العربية دون جدوى، وهذه الصيغة التي بعثها الفنان التشكيلي القطري حسن آل ثاني، جاءت متواكبة مع دخول قرن جديد، وفي ظل ظروف وتحولات دولية من بينها بروز (العولمة) بكل ما تحمله من تباين واختلاف.

بدأ المتحف كفكرة منذ خمس سنوات تقريبًا، وكانت الفكرة منطلقة من لقاءات الشيخ حسن آل ثاني بالفنان القطري يوسف أحمد، وقد اتسعت دائرة التصورات المحدودة باقتناء بعض أعمال فناني الخليج ـ عبدالله المحرقي، مثلاً ـ بحيث تمّت زيارة عدد من البلدان العربية، والفنانين أو أسرهم أو من يقتني أعمالهم خاصة من المتوفين، وحُرص على جمع أكبر قدر من الأعمال الفنية حتى بلغت سبعة آلاف عمل فني، لم تمثل حتى الآن ما يطمح إليه الشيخ حسن آل ثاني من شمول، وقد توّج هذا الجهد المتواصل بافتتاح عرض بعض أعمال المتحف في الشارقة التي افتتحت متحفها لإقامة المعرض الذي رعاه الشيخ د. سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة التي تحولت إلى مدينة ثقافية اختيرت في عام ١٩٩٨م عاصمة للثقافة العربية، وقد



من أعمال الفنان اللبناني حبيب سرور عاش بين (١٨٦٠ و ١٩٣٨م)



من أعمال جاسم زيني (قطر). مؤرخ بـ ١٩٩٥م

حضر الافتتاح عدد من الفنانين والنقاد الذين دعاهم المتحف من بعض الدول العربية، وبعض المسؤولين في حكومة الشارقة.

الأعمال المقدمة في المعرض لم تتجاوز الـ (٢٥٠) عملاً فنياً من اللوحات المعلقة، على أن محتويات المتحف تصل إلى سبعة آلاف قطعة فنية، إلا أن ضيق المكان كان عاملاً في الاكتفاء بالعدد المحدود الذي تمّ عرضه.

كما قام المعرض بطباعة دليل تضمن بعض الكلمات، وبعض الصور تم توزيعه يوم الافتتاح.

المتحف العربي الحديث

الشيخ حسن آل ثاني الذي أحيط جهده وفكرته بمباركة الفنانين والمثقفين لم يتحدث كثيراً حول المتحف بقدر حرصه على التشاور والاهتمام بآراء الفنانين الذين وثق باختياراتهم مثل الفنان العراقي ضياء العزاوي، والفنان القطري يوسف أحمد، وغيرهما.

وقد أشار الأخير، وهو مدير للمتحف إلى «أن هذا المتحف خاص، ولنا الخيار في اقتناء الأعمال التي نراها مناسبة، إلا أننا نضع الحجر الأساس في صرح المتحف العربي الحديث»، ومؤكداً أهمية فئة الفنانين العرب الشباب الذين يعدّهم خلاصة تاريخ وارث فني طويل، وأن هذا الجمع يعبّر عن أحوال الفن العربي، مشيراً إلى أن الشيخ حسن آل ثاني يتجاوز كل الاهتمامات القطرية ليعكس اهتماماً عربياً شاملاً.

تضمن المعرض أعمال بعض الفنانين الشباب - مواليد الخمسينيات مثل: عبدالرحيم شريف، وبلقيس فخرو من البحرين، وسلمان المالك، ويوسف أحمد، وعلي حسن من دولة قطر، وفيصل السمرة، وفؤاد مغربل من السعودية، وراشد دياب من السودان، ورشيد عبدالرحمن من سلطنة عمان، ونجاة مكي، وعبدالرحيم سالم، وآخرين من دولة الإمارات العربية المتحدة، إلى جانب فناني دول أخرى.

يأتي المتحف مشروعاً متصفاً بالريادة، فالجهود التي


من أعمال الإماراتية نجاة مكي. العمل مؤرخ بـ ١٩٩٤م

بذلت في الأعوام السابقة من عمر الفن العربي الحديث لم تكن سوى جهود متفرقة أفرزت اتحاداً للفنانين التشكيليين العرب، لم يواصل الدور المأمول، وقد طرح بعض الفنانين مثل التونسي الصادق قمش أفكاراً على بعض الفنانين، ووجهها بشكل خاص إلى الفنان إسماعيل فتاح الترك حول إحياء دور الاتحاد، إلا أن عدداً من الفنانين وجدوا أن الوقت الحالي غير ملائم لعدة أسباب.

لم تظهر في الأعوام الأخيرة سوى محاولات محدودة تتمثل في لقاءات بعض الفنانين التشكيليين العرب كان من أهمها «معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب» الذي تبنته دولة الكويت منذ الستينيات حتى نهاية الثمانينيات، كما ظهرت جهود أخرى أقل من خلال دعوات متفرقة لإقامة عروض عربية جماعية من بينها «معرض الفن العربي المعاصر» الذي احتضنته تونس خلال


من أعمال الرائد العراقي فائق حسن. مؤرخ بـ ١٩٥٨م



من أعمال الفنان المغربي حسن قلاوي، مولود في مراكش عام ١٩٢٤م

الثمانينيات، وملتقى مسقط للفن التشكيلي العربي، وبينالي بيروت للفنون التشكيلية (معرض الفن التشكيلي العربي الحديث) بمناسبة اختيار بيروت عاصمة للثقافة العربية لعام ١٩٩٩م، ومناسبات أخرى، كبينالي المحبة السوري.

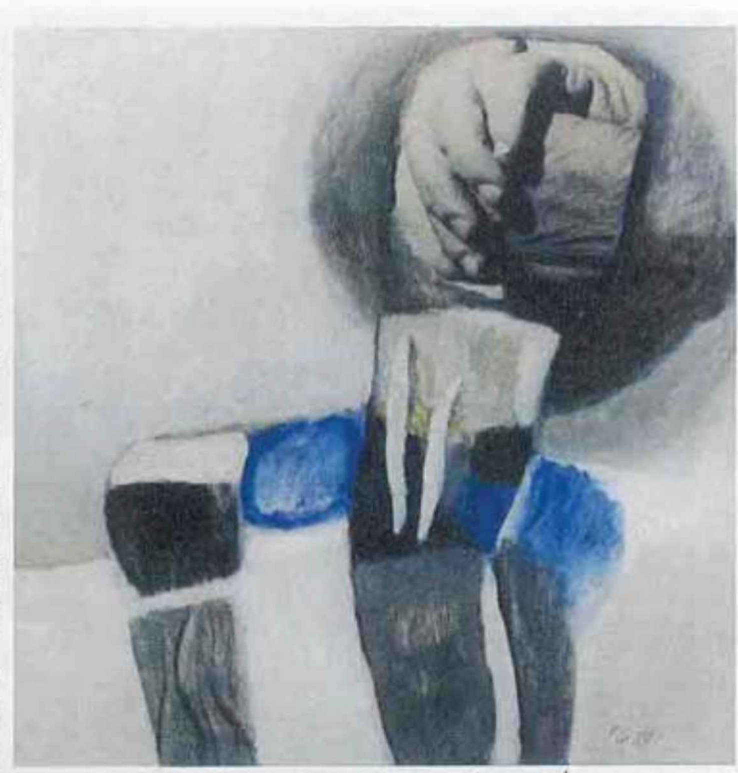
إن الريادة في هذا المشروع - المتحف - تأتي بوعي الشيخ حسن آل ثاني، وحسه الثقافي واهتمامه التشكيلي الخاص. وقد حرص المتحف كما قال الفنان يوسف أحمد على تتبع مسيرة بعض الفنانين بحيث إن المتحف يمتلك لبعض الفنانين أكثر من أربعين قطعة فنية من أعماله، وإن الطريق أمام المتحف طويل، وإن هناك زيارات ستمتد إلى مراسم الفنانين العرب.

تأريخ لمسيرة

قدّم المعرض لعدد من الأسماء المهمة في مسيرة الفن التشكيلي العربي مثل: جواد سليم، وفائق حسن، وكاظم حيدر، وعبدالقادر الرسام، وشاكر حسن آل سعيد، وحافظ الدروبي، ولورنا سليم، وضياء العزاوي، وغيرهم من العراق، ومُثّلت بعض هذه الأسماء بأعمال تعبر عن مراحل مختلفة، وتمّ التركيز عند بعضهم في اتجاه بعينه، كما هو فائق حسن الذي تأثر في بعض مراحله الفنية بالتكعيبية، ومن هنا لم نجد أعماله التي عرفت بتناول الحياة الصحراوية، وكذا بالنسبة إلى شاكر حسن آل سعيد الذي شاهدنا له أعمالاً حديثة. كما تمّ عرض أعمال للفنانين يوسف كامل، ومحمد ناجي، ورمسيس يونان، وجورج صبّاغ، وسمير رافع، وجاذبية سري، وحامد عويس، وعبدالهادي الجزار، والملكة فريدة، وعزالدين نجيب، وأحمد نوار، وعدلي رزق الله وآخرين من مصر، وكانت الأعمال المصرية الكثيرة أكثر تعبيراً عن حيوية الفن المصري، وأكثر تعريفاً بتاريخيته أو تسلسل

إنجازاته، وقدمت أعمال الفن اللبناني مقدار ريادته من خلال بعض الأسماء المهمة في مسيرة الفن اللبناني إلى جانب أعمال فنانين لاحقين، ومن بين الفنانين اللبنانين عمر فروخ، وحبيب سرور، وعمر أنسي، وجبران خليل جبران، وقيصر الجميل، وداود القرم، وهيلين الخال، ورفيق شرف، وشفيق عبود، وبول غيراغوسيان، وصليبا الدويهي، ومن سورية كانت أعمال لؤي كيالي، وفاتح المدرس، وهشام رمضان، ونذير نبعة، وتوفيق طارق، ومروان قصاب باشي، ونذير إسماعيل، وآخرين، ومن الأردن فخر النساء زيد، وأحمد نعواش، ورفيق اللحام، ومهنا الدرة، وعبدالرؤوف شمعون، ومن المغرب محمد المليحي، والشعيبية طلال وفريد بلكاهية، ومن الجزائر بايه ومحمد راسم، هذا إلى جانب فنانين آخرين من السودان وتونس واليمن وقطر والمملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وسلطنة عمان، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وغيرها، ولم تمثل هذه الدول بمشاركة لافتة، كمصر أو العراق أو سورية ولبنان مثلاً، وفي هذا إشارة إلى أن دولاً أخرى، وفنانين ستزورها إدارة المتحف، كما أكد الفنان يوسف أحمد.

في دليل المعرض أو البطاقات التي تعرِّف بالفنان أو الفنانة ووضعت بجانب العمل الفني لم تحدد دولة الفنان، وقد تحدث بعض الفنانين عن جنسيات بعض الفنانين الراحلين، على أننا في مثل هذا العرض لا نعبِّر إلا عن فن عربي حديث، إلا ولكن الحاجة ضرورية إلى التعريف بكل ما يمكن بالفنان. فالمسألة تاريخية أرجو أن تراعى في المشاريع القادمة، خاصة المطبوعات، مع الحرص على مشروع موازٍ لا يقل أهمية بإصدار موسوعة عن الفن العربي الحديث.



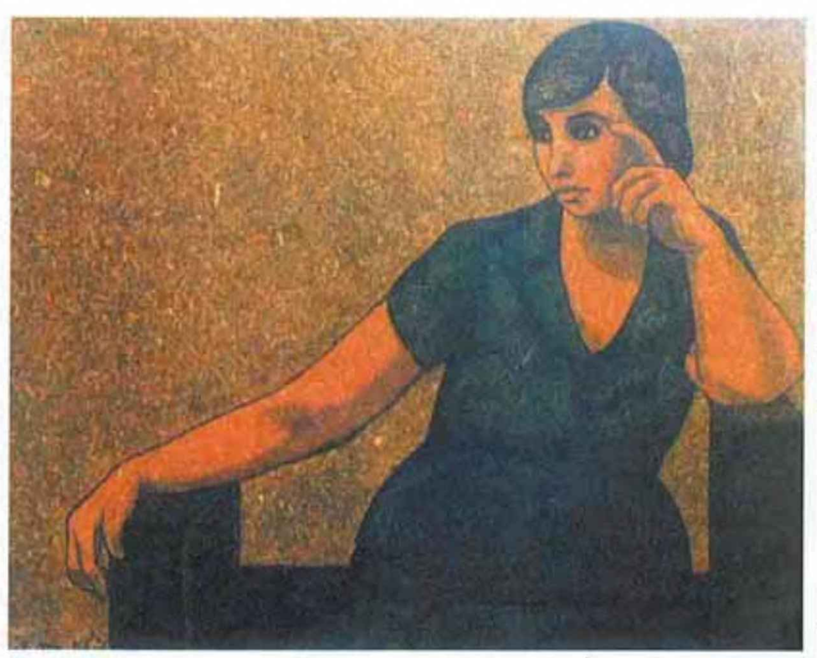
من أعمال العراقي إسماعيل فتاح الترك. العمل مؤرخ بـ ١٩٦٦م



من أعمال الفنان كمال بلاطة

دعا الفنان المصري د. أحمد نوّار إلى إقامة المعرض في مصر، وأن قاعات القاهرة والإسكندرية مفتوحة للأعمال، وذلك بحكم إدارته قطاع الفنون التشكيلية.

إن الصورة التي يظهر فيها الفن التشكيلي العربي مبعثراً، لم تكسبه أو تمنحه قدره، أو تمنحه أبعاده وخصائصه، فالمؤلفات العربية التي تناولت الفن العربي الحديث، قدمته مجتزأ أو مفصولاً بعضه عن بعض، وعن سياقه التاريخي، وقد أسهمت في المزيد من القطيعة فيما بينه، أو تعاملت معه بشيء من الكبر، فمعظم المؤلفات تبدي نقصاً إلا من الخوض في حواشيه، ولعل الحرص على تقديم ما هو غير معروف أو مهمش في تجربة الفنان هو من الاهتمامات والجوانب المهمة التي يمكن أن تسهم في إحداث تغيير عند قراءة نماذجه، والكتابة عنها. فالأعمال الفنية في هذا المتحف جاءت لتعبر عما هو معروف، وما هو غير معروف في تجربة الفنان، وعما يمثله - الفنان - وعما لا يمثله من وجهة نظره هو، وقد نقل لي بعض الفنانين الذين اقتنيت أعمالهم مقدار الحرص على اقتناء أعمال غير معروفة للفنان، مثل الفنان عزالدين نجيب التي توجد أعماله في المتحف، وضمن مجموعته عمل من مشروع التخرج في أواسط الستينيات الميلادية.



من أعمال الفنان السوري لؤي كيالي، العمل مؤرخ بـ ١٩٧٤م

تقتنى الأعمال من الفنان بوضعها ذاته، ويقوم المتحف ببعث الأعمال إلى بلدان أوربية لترميمها خاصة بعد تعرض عدد منها للإهمال أو اللامبالاة، وقد تحدث لي أيضاً الفنان عزالدين نجيب عن لوحته التي اشتراها من أحد محلات بيع الأثاث (الخردة) وكيف كانت حالتها، وكيف أصبحت في أثناء العرض.

المعرض يقام تحت عنوانين أراد المنسقون في إدارة المتحف ودائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة أن يلتقيا، فكان (مائة معرض - متحف الشارقة الوطني ١٩٩٥ - ٢٠٠٠م، ومائة عام من الفن التشكيلي العربي. متحف الفن العربي الحديث) وكلتا المئتين حظيتا باهتمام واضح، فكان التجمع الذي ضم بعض النقاد والفنانين العرب، مثل لور غريب، وإسماعيل فتاح الترك، وفيصل سلطان، ومهى سلطان، والصادق قمش، والحبيب بيدة، ومحمد العامري، وعز الدين نجيب، وعبدالرحيم شريف، وبلقيس فخرو، وراشد دياب، وفيصل السمرة إلى جانب إدارة المتحف والمستشارين.

كما كانت المطبوعات، مثل دليل المعرض، ومجلة الصورة التي أصدرت أول أعدادها في خطوة تضيفها الشارقة إلى اهتماماتها وجهودها الثقافية، في شكل قدّمت معه الفن العربي الحديث ضمن محتويات العدد، وساهم في هذه الدراسات كتاب أو فنانون أو نقاد.

يبقى متحف الفن العربي الحديث شكلاً ريادياً يتصف بالجدية، ويسعى إلى الشمول، ونأمل أن يحقق ما عجز عنه الآخرون في لم شمل الفن العربي منذ مئة عام أو أكثر، وأن يحقق آماله وشيئاً من طموحاته.



سعد علي الحاج بكري
الرياض - السعودية



يشهد العالم اليوم تحولاً في أساليب العمل تقوده «تقنيات المعلوماتية» التي تنمو أفقيًا لتنتشر في قطاعات الأعمال كافة، وتتطور عموديًا لتقدم إمكانات جديدة تزيد من الحاجة إليها والسعي نحو استخدامها.

وفي هذا الإطار تبرز تعبيرات لتطبيقات جديدة غير مسبوقة، ومن ذلك - على سبيل المثال - «أتمتة المكاتب»، و«الأعمال الإلكترونية»، و«التجارة الإلكترونية»، و«الحكومة الإلكترونية»، و«الإدارة الإلكترونية». وبسبب تقدم الاتصالات اللاسلكية، وانتشار الهاتف الجوال، وإمكان تجهيزه بالذكاء الحاسوبي، وربطه مع الشبكات الحاسوبية، ظهرت تعبيرات أخرى لتضيف مبدأ الحركة إلى مبدأ العمل إلكترونيًا، ومن هذه التعبيرات «التجارة الجوّالة» و«الأعمال الجوّالة»، و«الحكومة الجوّالة»، و«الإدارة الجوّالة»، وغير ذلك مما يرتبط بتنفيذ إجراءات الأعمال إلكترونيًا. ومن موقع الحركة أيضًا، وليس من موقع الثبات فقط. يرمي هذا المقال إلى طرح مسألة العمل إلكترونيًا والسعي نحو استشراف آفاقها المستقبلية.

كيف نعمل إلكترونيًا؟

لعل أول التساؤلات التي يمكن أن تطرح حول العمل إلكترونيًا ينطلق من «الكيفية» التي يمكن أن يتم بها هذا العمل. وسوف نحاول فيما يأتي الإجابة عن هذا التساؤل من خلال العودة إلى «التطور» الذي أدى إلى ظهور هذا العمل، وإلى الوصول به إلى ما هو عليه اليوم.

في إطار التطور، فإن جوهر العمل إلكترونيًا ينطلق من الخصائص الأساسية الثلاث لتقنيات المعلوماتية. وتشمل هذه الخصائص «تخزين» المعلومات بكميات

كبيرة ضمن حجوم صغيرة، مما يساعد على تحويل الملفات الورقية الكبيرة الحجم إلى ملفات إلكترونية في وسائل تخزين إلكترونية صغيرة الحجم تستوعب الكثير منها. وتتضمن هذه الخصائص أيضاً «نقل» المعلومات المخزنة إلكترونياً، عبر وسائل اتصال إلكترونية (أو فوتونية) بسرعة كبيرة بين أماكن مختلفة قد تقع في إطار محلي، وضمن مبنى واحد، أو قد تتباعد لتقع في قارات مختلفة. كما تشمل هذه الخصائص أيضاً معالجة المعلومات المخزنة إلكترونياً بسرعة هائلة في معالجات إلكترونية حاسوبية طبقاً لإجراءات ذكية يضعها الإنسان تبعاً لمتطلباته من خلال «برمجة» هذه المعالجات.

انطلاقاً من الخصائص السابقة الذكر ظهرت تطبيقات «الأتمتة» الحاسوبية، وهي أول تعبير بارز عن العمل إلكترونياً، وقد كان ذلك في مجالين رئيسين؛ أولهما المجال «الصناعي» حيث استُخدمت خصائص تقنيات المعلوماتية في «التحكم» إلكترونياً بعمل الآلات في الصناعات المختلفة. أما المجال الثاني فهو المجال «الإداري»، أو مجال «أتمتة المكاتب» فقد استخدمت هذه الخصائص في تنفيذ بعض الأعمال «المكتبية» إلكترونياً، لكن العمل إلكترونياً بشكله المتطور الحالي لم يبدأ إلا بعد انتشار «الإنترنت»، وبالذات بعد ظهور تطبيقات «الويب»، التي أغنت الإنترنت بإمكانات متميزة نتجت من حسن استغلال خصائص تقنيات المعلوماتية.

توصف «الإنترنت» بأنها «شبكة الشبكات»؛ لأنها تُوحِّد شبكات المعلومات في العالم ضمن شبكة واحدة، وتسمح من خلال ذلك لجميع مستخدميها باستغلال خصائص تقنيات المعلوماتية المتوافرة فيها، في شتى أنحاء العالم، بشكل متكامل. وبذلك يتمتع كل مستخدم من مستخدمي الإنترنت بوسيلة تضع بين يديه إمكانات معلوماتية تمتد حول العالم. وتعد تطبيقات «الويب» التي ظهرت عام ١٩٩٣م أهم تطبيقات «الإنترنت»، بل إنها، بالإضافة إلى إمكاناتها الخاصة، تعمل كإطار يشمل التطبيقات الأخرى.

ظهرت تطبيقات «الويب» بصفتها مواقع لمصادر معلومات سهلة الاستخدام على «الإنترنت»، تلبي متطلبات المستخدمين بأسلوب «تفاعلي» أو «تخاطبي». وقد اتسمت هذه المواقع بأنها «افتراضية» الطابع، بحيث لا تتقيد بالضرورة بتقديم المعلومات من موقعها الجغرافي الفعلي، بل تسمح بالتجوال عبر مواقع جغرافية متعددة للحصول على المعلومات التي يطلبها المستخدم. ولم يكن ذلك يشكل أي عبء على المستخدم يعقد عملية الحصول على المعلومات، بل إن المستخدم لم يكن يعلم من المواقع إلا الموقع الافتراضي الأصلي، ويأتي «التجوال» بعد ذلك «آلياً» تبعاً لمتطلبات المستخدم من الإمكانات المطروحة على الموقع الأصلي.


تخيل للحكومة الإلكترونية وشدة سطوتها

ومن العمل كمصادر معلومات «افتراضية» الطابع، «متجولة» الطبيعة على الإنترنت.. تطورت مواقع «الويب» لتصبح أكثر «ذكاء»، ولتكون قادرة على تنفيذ كثير من الأعمال «الإدارية والتجارية» إلكترونياً. فقد بات بإمكانها أن تعرض خدمات إدارية وتجارية مختلفة على المستخدمين، وتأخذ منهم المعلومات حول الخدمات التي يرغبون في تنفيذها، لتقوم بعد ذلك بأداء الإجراءات اللازمة لذلك.

وتختلف «إجراءات» خدمات العمل إلكترونياً في المتطلبات، وفي درجة التعقيد، تبعاً للخدمة المطلوبة. فقد تحتاج مثل هذه الخدمة إلى العودة إلى قواعد معلومات للمراجعة والتوثيق، وربما تكون هذه القواعد موجودة في الموقع الجغرافي ذاته «للويب»، أو ربما تكون في موقع آخر. وقد تحتاج هذه الخدمة إلى المرور عبر سلسلة من المراحل، في كل منها عدد من الإجراءات، ضمن موقع واحد، أو في مواقع مختلفة. وقد تتم كل هذه

المراحل إلكترونياً لتأتي الاستجابة فورية، أو قد يحتاج بعضها إلى تدخل الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر لتأتي الاستجابة في وقت لاحق، ربما عبر «البريد الإلكتروني».

ويعتمد ذلك على نواح متعددة بينها النواحي القانونية والتوثيق النهائي.

وتجدر الإشارة إلى أن «العمل إلكترونياً» لا ينفذ فقط عبر مواقع عامة على «الانترنت» بل قد ينفذ عبر شبكات خاصة، ولأغراض خاصة. وقد ترتبط بعض مواقع هذه الشبكات الخاصة مع الإنترنت من أجل تعميم خدماتها الخاصة، إذ تسمح لزبائنها فقط بالنفاذ إليها عبر الإنترنت، من خلال أنظمة معلوماتية أمنية خاصة، كما هو الحال في الخدمات الإلكترونية التي تقدمها البنوك عبر «الإنترنت». وقد تستقل مثل هذه الشبكات الخاصة تماماً عن «الإنترنت»، كما هو الحال في شبكات الصرف الآلي.



«الأتمتة» غيرت وجه الحياة

البنية المعلوماتية للعمل إلكترونياً

ومن مناقشة الكيفية التي يتم من خلالها تنفيذ الأعمال إلكترونياً ننتقل إلى طرح «البنية المعلوماتية» التي تجعل ذلك ممكناً. وتتكون هذه البنية من جزأين رئيسين متكاملين هما: الجزء المسؤول عن «نقل المعلومات» عبر المسافات، ألا وهو «شبكات الاتصال»، ثم الجزء المسؤول عن «الخدمات» اللازمة للعمل إلكترونياً، وهو «مراكز الخدمات». وفي هذا الإطار سوف نتطرق إلى «المكونات» الرئيسة لهذين الجزأين و«وظيفة» كل من هذه المكونات في تنفيذ الأعمال إلكترونياً.

تعدّ «شبكات الاتصال» العمود الفقري لتنفيذ الأعمال إلكترونياً، فهي التي تقوم «بنقل المعلومات» وتبادلها عبر المواقع المختلفة، وتتكون من عنصرين رئيسين هما: «أقنية الاتصال» و«محطات الاتصال»، وتشمل أقنية الاتصال أقنية «سلكية» وأخرى «لاسلكية»، ومن الأقنية السلكية الأسلاك والكابلات «النحاسية»، إضافة إلى كابلات «الألياف البصرية» التي تتميز بنقل المعلومات بسرعات عالية. ومن الأقنية اللاسلكية الأقنية التي تعمل ضمن النطاق الأرضي، والمعروفة بالأقنية «الأرضية»، والأقنية التي تعمل من خلال «سواتل الاتصال» وتعرف بالأقنية «الفضائية». وتتصف الأقنية اللاسلكية بأنها لا تفرض على مستخدميها الارتباط بمكان «ثابت»، بل تسمح لهم بالعمل من «الحركة»، أي إنها ـ على سبيل المثال ـ تمكّن «التجارة الإلكترونية» من أن تصبح «جوّالة» أيضاً.

ولئن كانت أقنية الاتصال هي «الطرق» التي تتنقل المعلومات عبرها، إن «محطات الاتصال» على الشبكات هي التي «تتحكم» بهذا التنقل. ولهذه المحطات مكونات «إلكترونية» مختلفة قد توجد كلياً أو جزئياً في المحطات المختلفة تبعاً للوظائف المطلوبة من المحطة. ومن هذه المكونات أجهزة «الإرسال والاستقبال» التي تقوم ببث المعلومات واستقبالها بأشكالها الإلكترونية (أو الفوتونية) عبر الأقنية المتصلة بها. ومن هذه المكونات أيضاً أجهزة «المضاعفة والتوجيه» التي تعمل على تجميع مجموعات من المعلومات ذات المصادر المختلفة للإرسال عبر قناة واحدة، إضافة إلى عملها على توجيه المعلومات عبر أفضل الطرق بين المرسلين والمستقبلين، مما يتيح استخدام القنوات بفاعلية تقلل من «تكاليف» الاتصال على المستخدم. وتشمل مكونات المحطات كذلك مكونات إلكترونية للربط بين شبكات الاتصال المختلفة بما يحقق «التكامل» بين هذه الشبكات، ومن ثم يوسع دائرة العمل إلكترونياً.



وعلى مستوى الدول تكون شبكات الاتصال ذات طابع عام بمعنى أن استخدامها يكون متاحاً للجميع أفراداً ومؤسسات، سواء أكانت هذه الشبكات ذات

ملكية عامة أو خاصة. وتستطيع المؤسسات أن تبني على هذه الشبكات العامة، شبكات اتصال «خاصة» بين المراكز المرتبطة بها، وذلك عن طريق استئجار «ممرات معلوماتية» بين هذه المراكز على الشبكات العامة. وقد تشمل هذه الممرات عدداً من الأقنية أو من أجزاء الأقنية التي توفرها أجهزة «المضاعفة» في محطات الاتصال العامة.

وقد تعتمد المؤسسات في إقامة شبكاتها الخاصة على القيام فعلاً ببناء هذه الشبكات دون الاعتماد على الشبكات العامة، أو ربما مع وضع محطات للاتصال و«التكامل» مع الشبكات العامة، ويتم ذلك في الغالب حينما تكون الشبكات الخاصة المطلوبة ضمن بناء واحد أو مجمع أبنية، فتدعى الشبكات حينئذ بالشبكات «المحلية».

بعد «شبكات الاتصال»، وضمن البنية المعلوماتية اللازمة للعمل إلكترونيًا، تأتي «مراكز الخدمات». وإذا كانت شبكات الاتصال» هي «العمود الفقري» لتنفيذ الأعمال إلكترونيًا، فإن مراكز الخدمات هي «التنفيذ الذكي» لهذه الأعمال. وتتلقى هذه المراكز متطلبات المستخدمين من الأعمال أو الخدمات الإدارية أو التجارية التي يحتاجون إليها، وتعمل على أدائها إلكترونيًا، وفق إجراءات ذكية، باستخدام إمكاناتها وإمكانات المراكز الأخرى المتوافرة في «الإنترنت»، وذلك عبر شبكات الاتصال التي تصل فيما بينها. وعلى هذا الأساس تحتوي «مراكز الخدمات» عادة على وسائل لإدارة متطلبات المستخدمين، ووسائل لتقديم الخدمات التي تستجيب لهذه المتطلبات، وهي مواقع «الويب» الذكية التي تحدثنا عنها في الجزء السابق من هذا المقال.

وتنقسم متطلبات المستخدمين قسمين رئيسين هما: متطلبات «النفاذ»، ومتطلبات «الاستخدام». وقد يكون النفاذ المطلوب «عامًا» إلى «الإنترنت» والمواقع المرتبطة بها والمتاحة للجميع، أو قد يكون «خاصًا» ضمن «شبكة خاصة» والمواقع الخاصة التابعة لها. وقد يكون النفاذ «عامًا» أولاً ثم «خاصًا» فيكون المطلوب هو النفاذ إلى موقع عام أولاً، ثم إلى خدمات خاصة يقدمها هذا الموقع إلى مشتركين معينين.

وعندما يدخل عامل «الخصوصية» إلى مسألة النفاذ إلى الخدمات، لا بد أن يكون عامل «السرية» أو الأمن في صحبته من أجل توفير الحماية اللازمة له، سواء أكانت الخصوصية على مستوى شبكة خاصة تتصل بالإنترنت، أم كان على مستوى خدمات خاصة لموقع عام. ولا تقتصر فكرة خصوصية شبكة معينة على منع غير المصرح لهم من النفاذ إلى مواقعها الخاصة، بل تتضمن أيضاً عدم السماح لمشتركيها النفاذ إلى مواقع عامة «غير مرغوبة». وهذا ما يحدث في الشبكات الخاصة بالمدارس على مستوى العالم منعًا لتعرض النشء لمواقع عامة غير مسؤولة، وهذا ما يحدث أيضًا في بعض الشبكات الوطنية حفاظًا على الخصوصية الثقافية.

> من فوائد العمل إلكترونيًا: إمكان أداء الأعمال عن بعد، وتقليص حركة وسائل النقل، وتقليل ازدحام المدن، وعدم الحاجة إلى تكديس الأوراق

وفي إطار العمل الإداري والتجاري «إلكترونيًا» هناك ثلاثة مستويات للنفاذ والاستخدام. أول هذه المستويات المستوى «الخاص»، إذ يكون النفاذ لمنسوبي مؤسسة معينة ضمن مواقع الشبكة الخاصة بهذه المؤسسة. وتُعرَف مثل هذه الشبكة الخاصة «بالإنترنت». أما المستوى الثاني فهو مستوى «التعاون»، وفيه يسمح لآخرين من خارج المؤسسة المعنية بالنفاذ إلى شبكتها الخاصة. ويكون هؤلاء من المرتبطين بتلك المؤسسة بصفة متعاونين أو زبائن، بما في ذلك الأفراد والمؤسسات. وتدعى الشبكة في هذه الحالة «بالإكسترانت». ويعرف المستوى الثالث بعد ذلك بالمستوى «العام» إذ يغطي الاستخدام على مدى «الإنترنت». وتتكامل هذه المستويات بعضها مع بعض، فيمكن لأي مستخدم أن يكون مرتبطًا بجميع هذه المستويات. وفي هذا المجال تأخذ وسائل الحفاظ على السرية دورها في «إدارة الاستخدام».

والآن وبعد الحديث عن «البنية» المعلوماتية للعمل إلكترونيًا، وقبل ذلك عن «كيفية» تنفيذ هذا العمل، ننتقل

إلى إلقاء الضوء على التوجهات الحالية لهذا العمل بما يشمل التطبيقات «الحكومية»، والتطبيقات في مجالي «الإدارة» و«التجارة».

الحكومة الإلكترونية

يقصد بالحكومة الإلكترونية التمكن من تنفيذ الإجراءات الحكومية، في شتى المجالات إلكترونياً بواسطة مواقع «ويب» حكومية توضع على «الإنترنت» أو على شبكات «إنترنت» أو «إكسترانت» خاصة، تبعاً لطبيعة الإجراءات. ولا يقتصر الاهتمام بموضوع «الحكومة الإلكترونية» على الدول المتقدمة، بل يشمل أيضاً عدداً من الدول الطامحة إلى التقدم. وفي الحديث عن الحكومة الإلكترونية سنبدأ أولاً بتقديم بعض الأمثلة، ثم نتطرق إلى أوضاع الدول وتوجهاتها في هذا الشأن.

لعل من أهم الأمثلة على الحكومة الإلكترونية المثال



تعزيز العمل إلكترونياً سياسة تتبعها الدول المتقدمة

الذي أوردته مجلة «إيكونوميست» البريطانية في ٢٤ يونيو/حزيران ٢٠٠٠م حول ولاية «أريزونا» الأمريكية. فقد أقامت هذه الولاية موقع «ويب» خاصاً على «الإنترنت» يقوم بتنفيذ إجراءات تسجيل السيارات في الولاية. ولم تتكلف حكومة الولاية أي نفقات لتحقيق ذلك، بل حققت وفراً من تخفيف الأعباء الإدارية عن موظفيها. فقد تعهدت «شركة آي بي إم» بالتنفيذ مقابل إضافة قدرها ٢٪ على الرسوم التي تتلقاها الولاية عن كل عملية تسجيل، والتي باتت تدفع إلكترونياً بواسطة «الويب» ومن خلال بطاقات الائتمان المصرفية المعتادة.

وقد أقبل أصحاب السيارات على هذه الخدمة لما تخفف عنهم من أعباء.

في هذه الخدمة الإلكترونية التي وفرتها حكومة ولاية «أريزونا» كان هناك ثلاثة أطراف خرج كل منهم بفائدة: حكومة أريزونا حققت وفراً في الأعباء، وهو وفر يمكن ترجمته مادياً، و«شركة آي بي إم» حققت عملاً مربحاً يزيد من دخلها، والمواطنون من أصحاب السيارات استفادوا من الزيادة ٢٪ التي دفعوها من أجل التوفير الذي تحقق لهم في الوقت، وفي التنقل، وفي المعاملات الورقية، إضافة إلى التخلص من إجهاد التعقيب على المعاملات.

ومن الأمثلة الأخرى في هذا المجال، من الدولة الطامحة إلى التقدم، المثال الذي أوردته نشرة «إنفورميشن ويك» في ٢٦أبريل/ نيسان١٩٩٩م. ويتعلق هذا المثال بالخدمات الحكومية التي تقدمها ولاية «اندهرابدريش» الهندية. وهناك أمثلة أخرى من ماليزيا وقطر، والإمارات العربية المتحدة. ففي دبي أعلن في شهر أبريل/نيسان الماضي عام ٢٠٠٠م عن مشروع «الحكومة الإلكترونية» لتنفيذ الإجراءات الحكومية إلكترونياً، وقُدر له «١٨ شهراً» للتنفيذ.

وبناء على ما أوردته مجلة «إيكونوميست» البريطانية في ٢٦ يونيو/حزيران ١٩٩٩م فإن أكثر الدول المتقدمة تطوراً، في مجال العمل إلكترونياً هي كل من: الولايات المتحدة، وكندا، وبريطانيا، وألمانيا، ثم اليابان وفرنسا، وإيطاليا. وهناك مؤشرات جديدة حول تزايد اهتمام الدول المتقدمة بالعمل إلكترونياً. ومن هذه المؤشرات ما ورد في بيان مؤتمر قمة دول الاتحاد الأوربي الذي عقد في البرتغال في شهر مارس/آذار من العام الماضي. فقد ركز البيان في ضرورة التوجه نحو وضع سياسات تعزز العمل إلكترونياً، ومن ذلك الاهتمام بتطوير شبكات الاتصال وخدمات المعلومات وتخفيض نفقاتها على المستفيدين بما في ذلك الهيئات الحكومية، ومؤسسات القطاع الخاص، والأفراد. ومن دلائل الاهتمام بالعمل إلكترونياً أيضاً، بيان مؤتمر القمة للدول الثماني الكبرى الذي عقد في اليابان في شهر يونيو/حزيران الماضي. وقد أعقب ذلك إصدار قرار اتحادي «فيدرالي» في أمريكا يجيز توثيق «التوقيعات

الإلكترونية» من أجل تسهيل التعامل إلكترونيًا مع مؤسسات الحكومة الاتحادية.

ومن الحديث عن العمل إلكترونيًا في إطار «الحكومة الإلكترونية» ننتقل إلى إلقاء الضوء على تطبيقات أخرى في مجالي «الإدارة» و«التجارة».

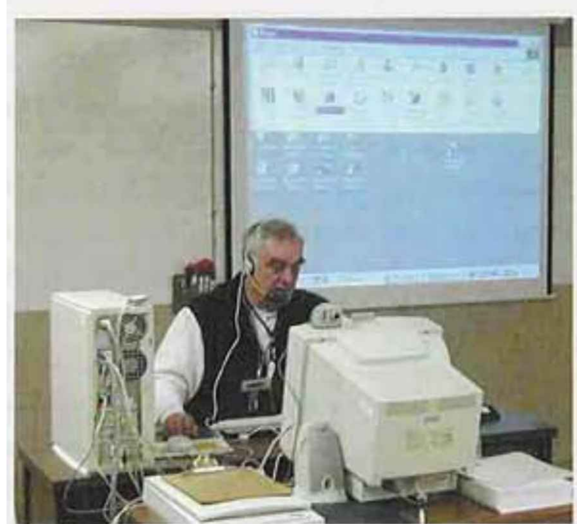
الإدارة والتجارة

أوردت دراسة لمؤسسة «فوريستر» الأمريكية، نُشرت عام ١٩٩٩م، القطاعات المتخصصة الأكثر تطورًا في استخدام العمل إلكترونيًا في الإدارة. وقد شملت هذه القطاعات «صناعة المعلوماتية»، و«صناعة وسائل النقل» الجوية والبرية والبحرية، و«الصناعات النفطية»، و«التطبيقات المصرفية والطبية» وغيرها.

ومن أهم شركات المعلوماتية التي استخدمت العمل إلكترونيًا تبعًا لما أوردته مجلتا «بيزنس ويك» في ١٣سبتمبر/أيلول ١٩٩٩م، و«إيكونوميست» في ٢٦ يونيو/ حزيران١٩٩٩م، كل من «آي بي إم وسيسكو، ولوسنت، وغيرها». ومن التطبيقات في هذا المجال: خدمات «المساعدة والصيانة»، وأعمال «التموين»، ونشاطات «التدريب»، والأعمال «المكتبية»، إضافة إلى التجارة، وغير ذلك من تطبيقات. ولم تقتصر غاية هذه التطبيقات، بالنسبة إلى الشركات المذكورة، على الاستفادة من ميزات العمل إلكترونيًا، بل شملت أيضًا تطوير الخبرات من أجل تقديم أساليب ومنتجات جديدة تلقى سوقًا واستخدامًا في قطاعات أخرى.

وفي مجال التجارة، تنقسم الأعمال التجارية التي يمكن خدمتها إلكترونيًا إلى تجارة بين «مؤسسات تجارية» من ناحية و«أفراد» من ناحية ثانية، وتجارة بين «مؤسسات تجارية» من ناحية، و«مؤسسات تجارية» أخرى من ناحية ثانية. وطبقًا لدراسة أجرتها مجموعة «جارتنر» الأمريكية على مستوى العالم، ونشرت في أكتوبر/تشرين الأول الماضي فقد بلغت حصيلة التجارة الإلكترونية بين المؤسسات عام ١٩٩٩م نحو ١٤٥ بليون دولار، ومن المتوقع أن تصل إلى ما يزيد على ٧ آلاف بليون عام ٢٠٠٤م. ويصل هذا المبلغ إلى أكثر من ٧٠٪ من مجمل المبيعات المتوقعة على مستوى العالم.

وطبقًا لدراسة أجرتها مؤسسة «ديلويت» الأمريكية،



الشركات الكبرى ومحاولات لاتباع أساليب جديدة في التسويق اعتمادًا على الإمكانات الإلكترونية

ونشرت في أكتوبر/تشرين أول الماضي تبلغ نسبة حصيلة تجارة الأفراد مع المؤسسات إلى حصيلة تجارة المؤسسات فيما بينها، من خلال العمل الإلكتروني، نحو ١٧٪. وقد بينت دراسة أجرتها مؤسسة «فوريستر» الأمريكية، ونشرت في سبتمبر/أيلول الماضي أهم المؤسسات العاملة في التجارة الإلكترونية في مجال المبيعات للأفراد. وقد تضمنت هذه المؤسسات كلاً من شركة «أمازون» العاملة في مجال بيع الكتب، وشركة «تشارلز شواب» العاملة في قطاع الاستثمار المالي، وشركة «جاب» العاملة في مجال مبيعات الملابس، وشركة«كونتيننتال» العاملة في مجال النقل الجوي، وغيرها.

آفاق المستقبل

وجدنا فيما سبق أن العمل إلكترونيًا يحتاج إلى بنية معلوماتية من شبكات الاتصال ومراكز الخدمات المعلوماتية التي تحتوي على مواقع «ويب» ذكية تستطيع تنفيذ إجراءات الأعمال المختلفة. ووجدنا أيضًا أن خصوصية كثير من الأعمال تفرض وجود وسائل حماية إضافية للحفاظ على هذه الخصوصية. وعلى الرغم من هذه المتطلبات المعقدة وجدنا أن الدول المتقدمة التي تقود التطور نحو المستقبل، وكذلك الدول الطامحة إلى التقدم، تتجه تدريجيًا نحو المزيد من الاعتماد على العمل إلكترونيًا في شتى القطاعات بما في ذلك القطاع الحكومي وإدارة المؤسسات والتجارة. ولا شك أن لذلك

أسباباً، وأن جوهر هذه الأسباب هو الميزات الجديدة التي يقدمها العمل إلكترونياً.

يعطي العمل إلكترونياً، على الرغم من متطلباته المعقدة، فوائد كثيرة، بعضها واضح ومباشر، وبعضها كامن وغير مباشر. ولعل من أهم الفوائد المباشرة التوفير في زمن تنفيذ الإجراءات المختلفة، ومن ثم إنجاز الأعمال بسرعة أكبر. ومن هذه الفوائد أيضاً إمكان أداء الأعمال عن بعد ومن ثم الحد من الحاجة إلى التنقل، وتقليص حركة وسائل النقل، وتقليل ازدحام المدن، وتخفيف أعباء الأعمال المختلفة. وتشمل الفوائد كذلك إلغاء الحاجة إلى تكديس الأوراق، والحد من مساحات العمل المطلوبة للأعمال المختلفة. ويمكن تحليل هذه الفوائد المباشرة، وترجمتها إلى مكاسب مادية، في مقابل التكاليف المادية لمتطلبات العمل إلكترونياً.


تحويل المزيد من العمل إلى الشكل الإلكتروني توجه عام لتعزيز القدرة على المنافسة

لكن فوائد العمل إلكترونياً لا تقتصر على ما سبق. فهناك فوائد أخرى عامة لجميع التطبيقات، وخاصة لتطبيقات بعينها. فمثلاً، يساعد العمل إلكترونياً على الحد من الأخطاء، وبالذات تلك المرتبطة بالأخطاء الإنسانية. فالمعلومات المطلوب الرجوع إليها في بعض الإجراءات لا تُنسى، ولا يُسهى عنها من الأجهزة الإلكترونية. وإدارة الخدمات الطبية إلكترونياً قد تنقذ حياة إنسان في حالات حرجة حينما تُظهر المعلومات بسرعة أنه قد يتحسس من أدوية بعينها. كما أن الإدارة المصرفية إلكترونياً يمكن أن تضع أكبر قدر من المال المتوافر لدى الناس قيد الاستثمار. وهناك بالطبع فوائد أخرى كثيرة غير مباشرة.

ويضاف إلى الفوائد السابقة أن الدول التي تمسك بزمام الاقتصاد العالمي تتجه نحو تحويل المزيد من الأعمال إلى الشكل الإلكتروني. وهذا ما يجعل التوجه نحو العمل إلكترونياً قضية مهمة، ليس من أجل الاستفادة من الفوائد السابقة الذكر، وزيادة فعالية الأعمال المختلفة فحسب، بل من أجل التوافق مع العالم، وتعزيز القدرة على المنافسة التي باتت مطلوبة بمقاييس دولية وليس محلية فقط.

وإذا كان العمل إلكترونياً يتطلب استثمار مبالغ مرتفعة في البنية اللازمة لتنفيذه بكفاءة، فإن المثال المطروح أعلاه حول ولاية «أريزونا» الأمريكية يبين أن هناك حلولاً أساسها مبدأ التعاون بين الأطراف ذات العلاقة يمكن أخذها في الحسبان وتطويرها لتتناسب مع المعطيات المحلية. فقد حققت حالة «أريزونا» مكاسب حكومية، ومكاسب للقطاع الخاص في مجال المعلوماتية، ومكاسب للمواطن الذي يحتاج إلى تسجيل سيارته.

وتجدر الإشارة إلى أن البنية المعلوماتية للعمل إلكترونياً ليست هي البنية الوحيدة المطلوبة. فالمطلوب أيضاً بنية قانونية لتنظيم الإجراءات الإلكترونية وتوثيقها. وقد وجدنا كيف أن الحكومة الاتحادية الأمريكية أجازت التوقيع إلكترونياً على المعاملات المرتبطة بها. كما أن المطلوب، بالإضافة إلى ذلك، السعي نحو تطوير بنية معرفية لدى الأفراد والمؤسسات تعطيهم ثقافة العمل الإلكتروني، وتمكنهم من التعامل مع الأعمال المختلفة إلكترونياً.

وفي الختام فإن المقال يحمل دعوتين للمستقبل. دعوة موجهة إلى الأفراد والمهتمين وأصحاب الرأي إلى الإدلاء بدلوهم في هذا المجال من خلال المحاضرات والندوات ووسائل الإعلام. ودعوة إلى الهيئات الحكومية والخاصة، والمؤسسات المتخصصة والمهنية المهتمة بالتوجه نحو العمل إلكترونياً، إلى أخذ زمام المبادرة وجمع الخبرات، ووضع الخطط، والسعي نحو التنفيذ والإنجاز. فركب التقدم لا ينتظر أحداً، وعلى من يرغب في اللحاق به أن يأتي مبكراً.

التكنولوجيا الرقمية والتنمية البشرية

زهراء محمد سعيد محمد الإدريسي
صنعاء - اليمن

تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠م الصادر يوم ٢٩ يونيو/حزيران الماضي، في باريس عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، أطلق جرس الإنذار محذرًا من أن اتساع الهوة الرقمية بين أغنياء العالم وفقرائه(١)، سيصبح خطرًا محيقًا بالبشرية جمعاء، فالفجوة تتسع داخل المجتمعات الغنية والفقيرة نفسها على السواء، إلا أن الكارثة المحدقة بالأخيرة أشد وطأة وإيلامًا على شعوبها إذا لم تسع للحاق بركب الزحف العالمي ومنافسة اقتصادياته المعولمة، وإلا ستفقد مستقبلاً (مجرد الإمكانية بالحلم لإيجاد موطن قدم لها) في ظل التسارع غير المسبوق للتحولات التي تشهدها الاقتصاديات العالمية والمعولمة في آن واحد(٢).

اختلال واضح

ففي عالم اليوم ١.٢ مليار نسمة من بين ستة مليارات لا يتجاوز دخلهم اليومي دولارًا واحدًا. وهناك ٣.٦ مليارات يعيشون على أقل من دولارين، ويفتقرون إلى الحد الأدنى لحياة البشر من أمن شخصي أو مأوى أو غذاء أو عمل. وهذه هي الشروط التي وصفها التقرير بـ «المرتكزات الأساسية لحقوق الإنسان» كما تضمنتها المواثيق والأعراف الدولية، وكثيرًا ما تم تأكيدها، على الأقل، طوال النصف الثاني من القرن العشرين المنصرم(٣).

وما يزيد الأمر تعقيدًا ولادة أكثر من ٤٠ مليون طفل سنويًا في العالم، لا يجدون طريقهم إلى «إحصاءات الدول بأي شكل من الأشكال». أي



الإنسان والآلة يتحملان فوق طاقتهما في العالم النامي

إنهم يشكلون كتلة بشرية منسية ومحرومة من الحقوق المدنية والاجتماعية بدءًا من الحق في التصويت وصولاً إلى تلقي الرعاية الصحية فضلاً عن التعلم والحقوق الأخرى»، وما يزيد الأمر سوءًا

أن هذه الكتلة تتجه مع مرور السنوات بين فئات وشرائح تشكل عبئًا كبيرًا على البشرية. إذ يعيش مئة مليون طفل في الشوارع دون مأوى، وفي كل يوم يموت ٣٠ ألف طفل من أمراض يمكن الوقاية منها، فضلاً عن ١٢ مليون طفل، غالبيتهم العظمى من الإناث في سوق الرقيق، وهؤلاء يتوزعون بين البلدان الغنية والفقيرة، وإن كانت حصتهم في الأخيرة هي الأكبر، لكنها تعد مشكلة حقيقية لدى الأولى، إذ يعيش في بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، على سبيل المثال ٤٩ مليون طفل، يشكلون سدس أطفالها، في ظروف الفقر، وأكثر من عشرة ملايين بلا مأوى. وتتربع المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية على رأس القائمة بنسبة ٢٦.٥ بالمئة في الأولى، و٢٣ بالمئة في الثانية، بينما تأتي إيطاليا في المرتبة الثالثة بنحو ٢١ بالمئة، ثم بريطانيا وتركيا بنحو ٢٠ بالمئة، وصولاً إلى المراتب الخمس في أسفل القائمة، ففنلندا وبلجيكا ولوكسمبورغ نحو ٥ بالمئة، والنرويج ٤ بالمئة، والسويد ٢ر٦ بالمئة.

ومع فداحة هذه الدلالات، فإن تقرير التنمية البشرية يحذر من المستقبل المنظور، ليس فقط؛ لأن حروب التسعينيات تسببت في تشريد ٥٠ مليون إنسان من ديارهم، ومقتل تسعة ملايين آخرين، بل أيضًا؛ لأن الأمراض المعدية تودي بحياة ١٨ مليون إنسان سنويًا، وأن ٣٧ مليونًا من المصابين بمرض الإيدز في إفريقية وحدها على سبيل المثال، ويهدد موتهم بفناء مجتمعات بأكملها، فضلاً عن أن ثلثيهم في سن الشباب (٢٠ ـ ٣٥ عامًا) وهذا يشكل إخلالاً في الهيكل السكاني (الديموغرافي) بأكثر بكثير من انخفاض متوسط العمر بنحو ٧ سنوات خلال عقد التسعينيات فقط ليصل إلى ٤٧ عامًا، وكذلك يشكل إخلالاً في البنية السكانية إذ ينتمي هؤلاء إلى القوة العاملة وما يترتب على ذلك من كوابح في عجلة النمو الاقتصادي(٤).

وهنا مكمن الخطر الحقيقي، كما يخلص التقرير، فمجلة الاقتصاد متوقفة، ومعدلات النمو العالمية لم تتجاوز ٢ بالمئة مقابل ٢.٧ بالمئة لمعدلات النمو السكاني، كما أن توزيع الناتج الإجمالي في العالم أبعد ما يكون عن المساواة والعدل، فقد بلغت ثروات أغنى ٢٠٠ شخص في العالم ألف مليار دولار، بينما بلغ مجموع دخول ٥٨٢ مليونًا آخرين نحو ١٤٦ مليارًا فقط، أي أقل من ١٥ بالمئة، فضلاً عن اتساع قائمة البلدان الأقل نموًا في العالم، فقد باتت تضم ٤٨ بلدًا، (بعد أن كانت عام ١٩٩٥م تضم ٣٦ بلدًا فقط)، اجتذبت أقل من ٤ بالألف من الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وتشارك بالنسبة نفسها تقريبًا في الصادرات العالمية(٥).



٥٠ مليون إنسان شردتهم حروب التسعينيات وحدها



توزيع الناتج الإجمالي في العالم أبعد ما يكون عن العدل والمساواة

الحل.. التحديث التقني

أبرز تقرير التنمية البشرية أن مفتاح الولوج إلى الاقتصاد العالمي، يكمن في الإمساك بزمام التحديث

التقني (التكنولوجي) المتسارع، في ظل التحول النوعي في البنى الاقتصادية العالمية، تجاه ما بات يعرف بالاقتصاد الجديد New Economic القائم على التقانة وتكنولوجيا المعلومات في ظل ثورة الاتصالات المتسارعة الخطا. ولهذا أدرج تقرير التنمية البشرية أول مرة في تقريري العامين ١٩٩٩و٢٠٠٠م البيانات المتعلقة بوسائل الاتصال الحديثة والمعلوماتية، بوصفها إحدى الدلالات الست المكونة لمفهوم التنمية البشرية. وأفرد لها في التقريرين فصلاً خاصاً، في صورة تعطي مؤشرات أساسية عما قد تؤول إليه عملية الاستقطاب الجارية، كأحد أبرز استحقاقات العولمة Globaliza-tion، وهي ما كان لها، بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفعالياتها السياسية، أن تبلغ ما بلغته لولا ثورة الاتصالات والمعلوماتية خاصة في العقد الأخير من القرن العشرين(٦).

يشير التقرير إلى أن أكبر عشر شركات في العالم، باتت تسيطر على ٨٦ بالمئة من قطاع الاتصالات حول العالم(٧)، و٧٠ بالمئة في قطاع الحواسيب، كما أن الخمس الأعلى من سكان الأرض في البلدان الصناعية يستحوذون بالإجمال على ٨٨ بالمئة من وسائل الاتصالات والمعلومات، وعلى ٩٧ بالمئة من براءات الاختراع، و ٧٤ بالمئة من خطوط الهاتف. هذا فضلاً عن ٩١ بالمئة من أجهزة الحاسوب، التي تضاعف عددها خلال السنوات العشر الأخيرة من ١٠٠ ألف إلى ٣٦ مليون جهاز، يعادل سعر الواحد منها الدخل المتوسط لثماني سنوات عمل في بنغلاديش، مقابل ٢٤ يوماً في الولايات المتحدة الأمريكية، و٣٢ يوماً في بلدان الاتحاد الأوربي.

ويضيف التقرير أنه نتيجة لذلك، فإن حصة سكان البلدان الصناعية بلغت ٨٨ بالمئة من عدد المشتركين في شبكة الإنترنت Internet البالغ عددهم عام ١٩٩٨م نحو ١٤٣ مليوناً، و٢٥٥ مليوناً في عام ١٩٩٩م، ومن المتوقع أن يتجاوز ٧٠٠ مليون بحلول


صورة تذكارية لمجموعة مايكروسوفت، ويبدو بيل جيتس في الصف الأمامي على اليسار


صورة حديثة لبيل جيتس تشير إلى احتكارية مايكروسوفت، ويبدو جيتس مرتدياً زياً يشبه زي النازيين

عام ٢٠٠١م بحصة لسكان البلدان الصناعية لا تقل عن ٩٥ بالمئة، نصفهم في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، بينما لم تتجاوز حصة الاتحاد الأوربي عشرة بالمئة، ومن هنا يتضح مقدار البون الشاسع بين البلدان المتقدمة الصناعية، فكيف الحال في البلدان الفقيرة؟ إذ لم تتجاوز حصة بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقية، على سبيل المثال، سوى ٢ بالمئة من مستخدمي الإنترنت في العالم، وثلث فقط في إفريقية جنوب الصحراء(٨).

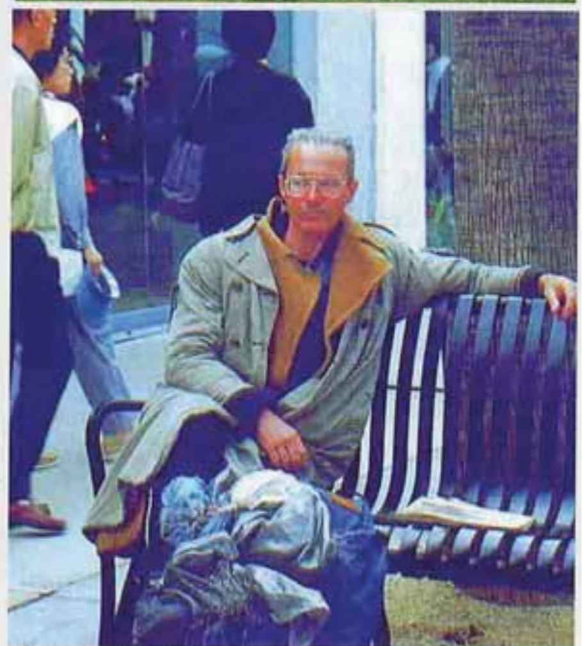
بالمقابل، وعلى الضفة الأخرى من العالم، بقيت حصص الخمس الأدنى من سكان العالم، تحوم حول الصفر في الدلالات السابقة كافة المتعلقة بوسائل الاتصالات والمعلوماتية. كما في الناتج الثقافي العالمي، حيث تفتقد البلدان النامية إلى رافعتها

الرئيسة المتمثلة في الهاتف وشبكة اتصالاته. إذ لا يزيد عدد الخطوط الهاتفية في القارة الإفريقية على سبيل المثال عن ١٤ مليون خط، أي خط هاتفي لكل ٣٠ مواطناً، بينما هي في السويد والنرويج ثلاثة خطوط هاتفية.

إن أهمية الهاتف وشبكة اتصالاته باتت تتمتع بسمة الخدمة الإنتاجية إضافة إلى وظيفته التقليدية، وبذلك باتت شبكة الهاتف تعنى بالإنترنت والتجارة والبريد الإلكترونيين، أي إحدى الروافع الرئيسة للاقتصاد الجديد.

وجاء في تقرير الأمم المتحدة الذي ألقاه السيد كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة في مطلع الألفية الثالثة فيما يخص تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أن العالم دخل المراحل الأولى من ثورة تقنية (تكنولوجية) أخرى، ونحن نرى هذه الثورة في مجال الأدوية والمستحضرات الصيدلانية، وفي مجال التكنولوجيا الحيوية.





ظاهرة التشرد تجتاح كل العالم من دون تفريق بين الدول الغنية والفقيرة

وهذه الآفاق الجديدة تثير الآمال والمخاوف على السواء. فتحسين الصحة وزيادة الأمن الغذائي أصبحا في متناول أيدينا، ولكننا عند اغتنام الفرص التي تتيحها التقانة (التكنولوجيا) الحيوية يجب ألاّ نغفل عن المخاطر الكامنة فيها، ويتعين علينا، بوجه خاص، أن نكفل إتاحة إمكانية الوصول الحر إلى المعلوماتية التي يتوصل إليها الباحثون الذين يقومون بفك ألغاز الشفرة الجينية، فالمفتاح الجيني لطبيعة الحياة البشرية ملك للبشرية جمعاء.

الثورة الرقمية

وأود أن أركز هنا في نقلة تكنولوجية تحدث بالفعل تحولاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية: وهي الثورة الرقمية، إذ تشهد صناعة الاتصالات والمعلومات تغيرات أساسية بسرعة تقارب سرعة البرق.

فقد استغرق وصول المذياع إلى ٥٠ مليون شخص ٣٨ عاماً، والتلفاز ١٣ عاماً. أما الإنترنت فقد أصبح يستخدمها عدد مماثل من الناس في غضون أربع سنوات فقط. وفي عام ١٩٩٣م كانت هناك ٥٠ صفحة على الشبكة العالمية، أما اليوم فهناك ما يزيد على ٥٠ مليون صفحة. وفي عام ١٩٩٨م كان عدد الموصولين بشبكة الإنترنت ١٤٣مليون شخص فقط، ولكن بحلول هذا العام ٢٠٠١م سيرتفع هذا العدد إلى ٧٠٠ مليون شخص، وفي عام ١٩٩٦م بلغت معاملات سوق التجارة الإلكترونية ٢.٦ بليون دولار، وبحلول عام ٢٠٠٢ سيرتفع هذا العدد إلى ٣٠٠ بليون دولار، وأصبح للإنترنت بالفعل نطاق من التطبيقات يفوق في اتساعه أي وسيلة أخرى سبق اختراعها من وسائل الاتصال.

ومازالت توجد في العالم حاليًا فجوة من حيث التكنولوجيا الرقمية آخذة في الاتساع. فعدد الحواسيب في الولايات المتحدة الأمريكية يفوق ما يوجد منها في بقية العالم بأجمعه. ويوجد في طوكيو عدد من الهواتف يعادل كل ما في إفريقية بأسرها.

وإزالة هذه الفجوة أمر ممكن، وستتم بالفعل «كما يذكر تقرير الأمم المتحدة». فقد أصبحت مدينة بنغالور في الهند مركزًا نشيطًا من مراكز الابتكار، وتعتز بأن لديها ما يزيد على ٣٠٠ شركة من شركات التكنولوجيا الرقمية.

وسوف تتجاوز صادرات الهند من البرمجيات وحدها ٤ بلايين دولار هذا العام ـ أي قرابة ٩٪ من مجموع صادرات الهند ـ وتتوقع مصادر تلك الصناعة أنها ستصل إلى ٥٠ بليون دولار بحلول عام ٢٠٠٨م.

سمات أساسية

ولكي ندرك تمامًا كيف يمكن للثورة الرقمية أن تحفز النمو والتنمية الاقتصاديين يلزم أن نتفهم عددًا من سماتها الأساسية وهي:

أولاً: أوجدت هذه الثورة قطاعًا اقتصاديًا جديدًا تمامًا لم يكن له أي وجود من قبل. وكلما رسخت البلدان التي توجد في صدارة هذه الثورة أنصبة متزايدة من اقتصادها لهذا القطاع، انفتح حيّز عالي القيمة أمام بلدان أخرى لتشغله، ثم يتتابع الأمر هكذا في الاقتصاد العالمي كله. والواقع أن هذه الكيفية التي «نشأت» بها في البداية الاقتصاديات المسماة بالاقتصادات الناشئة عندما خلت قطاعات أخرى والعولمة Globalization(٩) تيسّر حدوث هذه التحولات.

ثانيًا: أن رأس المال الذي أصبحت له أعظم الأهمية في الثورة الرقمية هو رأس المال الفكري. فتكاليف المعدات الحاسوبية آخذة في الهبوط. وهذا التحول الذي يجعل البرامجيات لا المعدات هي قاطرة التقدم في هذه الصناعة يساعد على تذليل عنصر ظل بشكل عقبة رئيسة أمام التنمية، وهو نقص التمويل، كما أن هذا التحول يحسّن من فرص البلدان الفقيرة في القفز فوق بعض المراحل الطويلة والمؤلمة في العملية الإنمائية.

ومن الواضح أن رأس المال الفكري الضروري ليس متاحًا بشكل شامل للجميع، ولكن انتشاره في العالم النامي وفي البلدان ذات الاقتصاديات التي تمر بمرحلة انتقالية أوسع بكثير من انتشار رأس المال النقدي.



التعليم مطلب أساسي وحق لكل إنسان.. ولكن كيف؟!

ثالثًا: أن الثورة الرقمية ـ فضلاً عن أنها أوجدت قطاعًا اقتصاديًا جديدًا ـ تشكل أيضًا وسيلة لتحويل الكثير من الأنشطة الأخرى وتعزيزها، «فموريشيوس» ـ على سبيل المثال ـ تستخدم شبكة الإنترنت لترويج صناعة النسيج لديها عالميًا.

أما برنامج المواقع التجارية التابع لبرنامج الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) فهو يتيح للمشاركين الاتّجار بالمنتجات على الشبكة. ولقد أنشأت حكومة مالي شبكة داخلية لتوفير الخدمات الإدارية بقدر أكبر من الفعالية. وهناك فرص أخرى كثيرة منها: المزاولة الطبية عن بعد، والتعلم عن بعد، والنشاط المصرفي «الإلكتروني» المقترن بتقديم الائتمانات المتناهية الصغر، والاطلاع على تنبؤات الأحوال الجوية قبل بدء الزراعة، وعلى أسعار المحاصيل قبل الحصاد، وجعل أكبر مكتبة في العالم في متناول الأيدي وهلمّ جرًا..

وموجز القول هو أن قطاع تكنولوجيا المعلومات يمكن أن يحدث تحولاً في كثير من قطاعات النشاط

الاقتصادي والاجتماعي، إن لم يكن في معظمها.

رابعًا: ويأتي في ختام ذلك أن الناتج الأساسي في هذا القطاع - أي المعلومات - يتسم بخصائص فريدة، لا تشاركه فيها نواتج أخرى، فالصلب الذي يستخدم في تشييد مبنى، أو الأحذية التي يرتديها العمال الذين يشيدونه، لا يمكن أن يستعملها أي فرد آخر. أما المعلومات فهي شيء مختلف، إذ إنها ليست متاحة فحسب لاستعمالات متعددة ومستعملين متعددين، بل تزداد قيمتها أيضًا بتزايد استعمالاتها. وينطبق الشيء ذاته على الشبكات التي تربط المصادر المختلفة للمعلومات. ويلزم ذلك صانعي القرارات أن يتفهموا على نحو أفضل اختلاف اقتصاد المعلومات عن اقتصاد السلع المادية المنطوية بالطبيعة على صفة الندرة، وعليهم أن يستخدموا هذا الاقتصاد في تحقيق أهداف السياسات التي يضعونها.

ولا يعني أي من ذلك أن الانتقال سيكون سهلاً بالنسبة إلى البلدان النامية، ولا سيما الفقيرة جدًا منها. ويمثل الافتقار إلى الموارد والمهارات جزءًا من المشكلة، وعدم كفاية البنية الأساسية الموجودة جزءًا آخر، ويمثل عدم الإلمام بالقراءة والكتابة واللغة جزءًا ثالثًا. وبالطبع ثمة شواغل بشأن الخصوصية والمضمون، وستتاح حلول تقنية لكثير من هذه المشكلات، بما في ذلك الوصول اللاسلكي، بل وحتى برامجيات الترجمة الآلية البسيطة، مما يمكننا من الاتصال والاشتراك في التجارة الإلكترونية عبر الحواجز اللغوية.

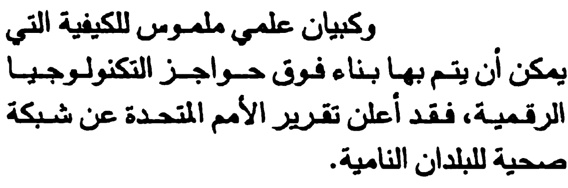
آمال وعقبات

أما بالنسبة إلى المستقبل القريب فإن نموذج استخدام تكنولوجيا المعلومات من قبل مستهلك فردي، وهو النموذج السائد في البلدان المصنعة، سيتبين أنه باهظ التكلفة بالنسبة إلى كثير من البلدان النامية، إلا أن هذا القيد أيضًا يمكن التغلب عليه، فقد أنشئت مراكز عامة للاتصال عن بعد في أماكن راوحت من «بيرو» إلى «كازاخستان». وفي مصر، على - سبيل المثال - ساعد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي على إنشاء مراكز مجتمعية للوصول إلى تكنولوجيا؛ وذلك من أجل إدخال الإنترنت، وخدمة الفاكس إلى المناطق الفقيرة والريفية. ولقد أورد تقرير الأمم المتحدة أنه بمساعدة من منظمات المجتمع المدني، ومن القطاع الخاص، فإنه يمكن توسيع نطاق هذه البرامج الرائدة لتصل إلى أقاصي الأرض.



عدد الهواتف في طوكيو وحدها يعادل كل ما في قارة إفريقية

بيد أنه لا يوجد علاج سهل للعقبات المؤسسية في كثير من البلدان النامية وأولاها البيئات التنظيمية غير المدعومة والرسوم الباهظة التي تفرضها السلطات الوطنية. ودعا تقرير الأمم المتحدة إلى تشجيع الدول الأعضاء على استعراض سياستها العامة وترتيبها في هذا المجال، لضمان عدم حرمانها لشعوبها من الفرص التي توفرها الثورة الرقمية..



وكبيان علمي ملموس للكيفية التي يمكن أن يتم بها بناء فوق حواجز التكنولوجيا الرقمية، فقد أعلن تقرير الأمم المتحدة عن شبكة صحية للبلدان النامية.

وهذه الشبكة ستنشئ وتدير ١٠٫٠٠٠ موقع تعمل بالاتصال الحاسوبي المباشر في المستشفيات والعيادات والمرافق الصحية في جميع أنحاء العالم النامي. وهي ترمي إلى توفير الوصول إلى أحدث المعلومات الصحية والطبية ذات الصلة، المكيفة لتناسب بلدانًا محددة أو مجموعات محددة من

البلدان، وسيقوم اتحاد من الهيئات تتزعمه مؤسسة Web - Med بالتعاون مع شركاء آخرين من المؤسسات والشركات، بتوفير إمكانية الوصول إلى شبكة الإنترنت، والذي سيكون لاسلكيًا حيثما اقتضى الأمر. فضلاً عن المعدات اللازمة لذلك، ويشكل التدريب وبناء القدرات في البلدان النامية جزءًا لا يتجزأ من هذا المشروع.

وتتزعم منظمة الصحة العالمية W H O الجانب الذي تمثله الأمم المتحدة في وضع هذه المبادرة مع شركاء خارجيين. من بينهم مؤسسة الأمم المتحدة.

وأعلنت أيضًا مبادرة ثانية في مجال جسور التكنولوجيا الرقمية؛ وهي خدمة تكنولوجيا معلومات تابعة للأمم المتحدة، واقترح أن يكون اسمها هو Unites.

وهذه المبادرة تتمثل في اتحاد من الهيئات الطوعية للتكنولوجيا الرفيعة من بينها Net Crops America & Net Crops Canda وسيقوم متطوعو الأمم المتحدة بالمساعدة على تنسيقها، وستتولى هذه الخدمة تدريب مجموعات في البلدان النامية على استعمالات تكنولوجيا المعلومات وما تتيحه من فرص، وحفز إنشاء هيئات إضافية في مجال التكنولوجيا الرقمية في الشمال والجنوب. ولقد أعلن بين يدي ذلك أن هناك لجانًا خاصة تقوم باستكشاف مصادر التمويل الخارجي التي يمكن لها دعم هذه الخدمة.

الهوامش والمراجع

١. يقف بيل جيتس حتى وقت قريب على رأس قائمة أغنى أغنياء العالم بثروة بلغت ١٠٠ مليار دولار إلا أنه بسبب حالة عدم الاستقرار لشركته فقد انخفضت قيمة أسهم Microsoft بنسبة ٤٥٪ بعد الاتهامات الحكومية التي وجهت لها بممارسة الاحتكار، وأدى ذلك إلى انخفاض ثروة جيتس إلى ٦٠ مليار دولار. واحتل المركز الثاني لاري إليسون رئيس شركة «أوراكل» الأمريكية لبرامج الحاسوب. وجاء في المركز الثالث الملياردير بول إلين الرئيس المشارك لمايكروسوفت، بينما احتل المركز الرابع وارين بافيت المستثمر الذي يدير شركة بير كشايرا هاسواي الأمريكية (بـ ٢٨ مليار دولار)، تلاه في المركز الخامس الألمانيان ثيو وكارل ألبريخت (بثروة قدرها ٢٠ مليار دولار).

٢. يحتاج الفقير إلى بعض الدخل لكي يعيش، وبما أن معدل ادخاره ضعيف أو معدوم في غالب الأحيان ونطاق اعتماده على الآخرين محدود جدًا (أفراد العائلة، القبيلة، الجيران، الأصدقاء)، فإن مسألة الحصول على دخل تصبح قضية موت أو حياة، وبالنظر إلى بساطة مهاراته ومحدوديتها وانعدام رأس المال والأصدقاء المؤثرين لديه، فإن قوة مساومته تصبح ضعيفة جدًا، مما يحتم عليه قبول الأعمال البسيطة غير المؤمنة غالبًا. ولذا فنقص الفرص المتاحة له وعجزه عن المساومة يجعلانه عرضة لعدد كبير من أشكال الاستغلال.

انظر:

McGee, The Proverty Syndrom: Making out in the South - east Asian City.

M.S Brutton, Employment Growth as an indicator of Proverty Alleviation, in MacGeevy,ed, Third World Proverty (Lexington, Mass: Lexington Books, 1980), pp. 38 - 86.

٣. لمزيد من الاطلاع انظر:

ثروت إسحاق وعادل عازر، المهمشون بين الفئات الدنيا في القوى العاملة، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٧م.

وانظر كذلك إسماعيل قيرة، نحو رؤية جديدة لدراسة فقراء المدن، العلوم الاجتماعية، العدد ٤، ١٩٩٣م.

٤. لمزيد من الاطلاع على المشكلة السكانية ومخرجاتها، انظر:

عدنان السيد حسين، المشكلة السكانية والسلم الدولي، سلسلة محاضرات الإمارات ٩ مارس/آذار، ١٩٩٧م.

٥. تؤكد الدراسات الحديثة عن تجارب التنمية في البلدان النامية أن العلاقة بين زيادة النمو الاقتصادي والأنماط السيئة غير المتناسبة في توزيع الدخول هي علاقة سلبية أي إن النمو الاقتصادي يتراجع عندما يزداد التباين في توزيع الدخول والثروات. يتعزز هذا الاستنتاج المعروف والمهم بنتائج دراسة تطبيقية (اقتصادية - قياسية) لتجارب ٧١ دولة، تناولت الفترة من ١٩٦٠ - ١٩٨٥م أكدت أن التباين في الدخول يؤدي إلى عدم الارتياح الاجتماعي الذي يؤدي بدوره إلى عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي. وأن الأخير يؤدي إلى حالة من عدم اليقين في المناخ الاقتصادي، مما يؤدي في النهاية إلى انخفاض الاستثمار ومن ثم تباطؤ النمو الاقتصادي، انظر:

Alberto Alesina and Roberto Perotti, Income Distribution, Political Instability and Investment, European Economic Review, vol.40, 1996 pp. 1203 - 1228.

٦. لمزيد من الاطلاع، انظر:

S.A.M.Al Abdelrahman. Violence & Culture in an European Society, Lanham,m. London: Scarecrow Press, 1991.

٧. تكونت بعض هذه الشركات في القرن السادس عشر، واليوم أصبح بيدها الحل والربط، بعد أن أصبحت ذات حجم أكبر من الحكومات نفسها، ولقد أوجدت من خلال نفوذها الهائل والمؤسسات المالية التي تدور معها في المدار نفسه نظامًا تستطيع من خلاله تغيير التشريعات لتتلاءم مع مصالحها حتى ولو اقتضت الإجراءات تفكيك الخدمات الاجتماعية الأخرى وإلغاءها وتقليصها، واليوم نجد مئة شركة في الفضاء الاقتصادي العالمي، وهي تتحكم ومنذ عام ١٩٩٥م في عملية العولمة عبر وسائل الإنتاج والترويج السلعي.

لمزيد من الاطلاع، انظر:

أ.د. سالم آل عبدالرحمن - مطاحن العولمة. آفاق عربية - العدد (٢٤) - ١٩٩٧م، ص ٨٠ - ٨٥.

٨. لمزيد من الاطلاع على عالم الإنترنت وسيناريوهاته وحقول استخداماته التجارية ومستقبله، انظر:

د. زهراء محمد سعيد الإدريسي - الإنترنت: وعالم علمي.. تكنولوجي.. اقتصادي.. اجتماعي سحري أخاذ. مجلة أخبار النفط والصناعة الإماراتية مارس/آذار ١٩٩٨م.

٩. لفظ العولمة إحدى المقابلات العربية لكلمة Globalization الإنجليزية، وقد كثر استخدام هذا الاصطلاح خلال العقد الأخير من القرن العشرين أكثر من لفظة «الكونية» في مقابل كلمة Mondialization أو «الكوكبية» مقابل كلمة Planetavixation - الباحثة.

ميرٌ
في ذمة التاريخ..!!

خالد حسن علي
الإسكندرية - مصر

خيم الحزن على رواد الفضاء الروس والأمريكيين الذين قضوا مدداً مختلفة على متن محطة الفضاء الروسية مير، وهم يرونها يوم الجمعة ٢٣ مارس الماضي تهوى في مياه المحيط الهادي لافظة آخر أنفاسها بعد ١٥ عاماً من العمل المتصل.

وقد سقطت المحطة التي قدر وزنها بـ ١٣٧ طنًا بين أستراليا وشيلي على بعد ٥٨٠٠كم من الساحل الشرقي لأستراليا، وانشطرت إلى أجزاء تاركة خلفها ذيلاً طويلاً من الدخان.



«مير»

وكانت مير - تأكيدًا لمبدأ التعاون الدولي وبدء عهد جديد وفق مفهوم جورباتشوف - قد استقبلت رواد فضاء وفنيين من كل من فرنسا واليابان وكازاخستان والنمسا وسلوفاكيا وأمريكا، حتى بلغ عدد من استقبلتهم ١٠٤ أشخاص للعمل عليها في رحلاتها المختلفة التي دارت خلالها ٨٦ر٣٣١ دورة حول الأرض وقد غادرها آخر فريق في أغسطس/آب ١٩٩٩م.

ويعد رائد الفضاء الروسي فاليري يولياكوف صاحب الرقم القياسي في البقاء في الفضاء حيث مكث في متن مير ٤٣٨ يوماً. وعلى مدى ١٥ عاماً شهد متن مير إجراء ١٦٥٠٠ تجربة علمية في مختلف المجالات من طب وعلم حيوان وفلك وفيزياء وتقانة وغيرها.

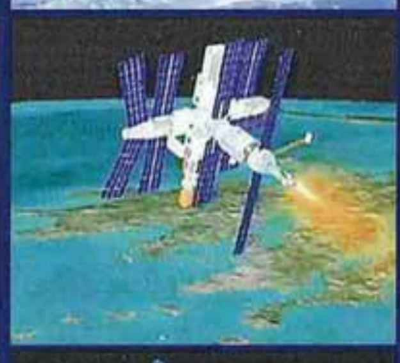
وتباينت ردود الأفعال حول هذا الحدث الفريد، فقد أعلن توني مارتن المدير الإقليمي المساعد في السلطات

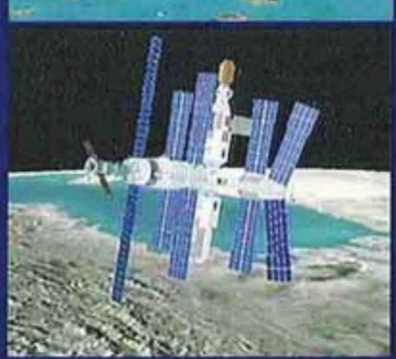
البحرية النيوزيلندية أن الحطام لم يسبب أي أضرار لأسطول سفن الصيد البحري، ولم يشعر كثير من الصيادين بهذه النهاية المأساوية لمير، بينما أعرب ألفريدو توكي حاكم جزيرة إيستر، الواقعة على بعد ٥٠٠ كيلو متر غرب العاصمة الشيلية سانتياغو عن استيائه بسبب ما قد ينتج من حطام مير من تدمير للنظام البيئي المائي والحياة البرية.

وكانت الحكومة الشيلية قد أوعزت إلى سفيرها في موسكو بالامتناع عن الذهاب إلى مركز كوروليف الفضائي لمشاهدة مير وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.

ووجه عدد كبير من رواد الفضاء الروس السابقين والنواب والعلماء انتقادات حادة لهذه الخطوة، وقللوا من أهمية المشاركة في المحطة الفضائية الدولية الجديدة لأن دور الروس سيكون هامشيًا بعد أن كانوا السباقين











في ميدان ارتياد الفضاء، إذ أطلقوا أول قمر صناعي، وكان أول رجل وامرأة وصلا إلى الفضاء من روسيا التي أطلقت أيضًا أول مركبة غير مأهولة تهبط على سطح القمر.

ولكن ماذا إذا سردنا حكاية مير من بدايتها؟!

[الفيصل].



«مير» ورحلة النهاية

على مدى ١٥ سنة كاملة.. اجتازت محطة الفضاء الروسية «مير» الكارثة تلو الأخرى.. وذلك بفضل جهود إنقاذ المحطة التي تعدّ خير شاهد على مجد قاربت شمسه الزوال، لتكون النهاية في.. أعماق المحيط الهادئ.

البداية كانت منذ أكثر من ربع قرن عندما فاجأ الاتحاد السوفييتي العالم في ١٩ أبريل/نيسان ١٩٧١م بإطلاق أول محطة مدارية Orbital Station تحت اسم «ساليوت» أي التحية. كانت المحطة خالية من الرواد، لكن بعد أربعة أيام التحمت بها سفينة فضاء من طراز «سويوز» حاملة ثلاثة رواد، سرعان ما انتقلوا منها إلى داخل المحطة عبر أنبوب التحم بفتحة خاصة بها.

وقتئذ كان الانتقال من سفينة فضاء إلى أخرى أمراً جديداً، كما تميزت المحطة الجديدة «ساليوت» بسعة غير معهودة تبلغ ١٠٠ متر مكعب، فعدّت «مستعمرة فضائية» متسعة ذات أبواب، يمكن أن يبقى بها الرواد مدداً أطول مما كان في السفن السابقة.

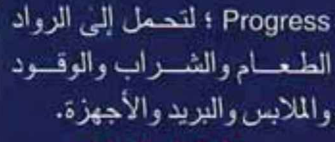


مير في الأفق



رائدا فضاء داخل مير

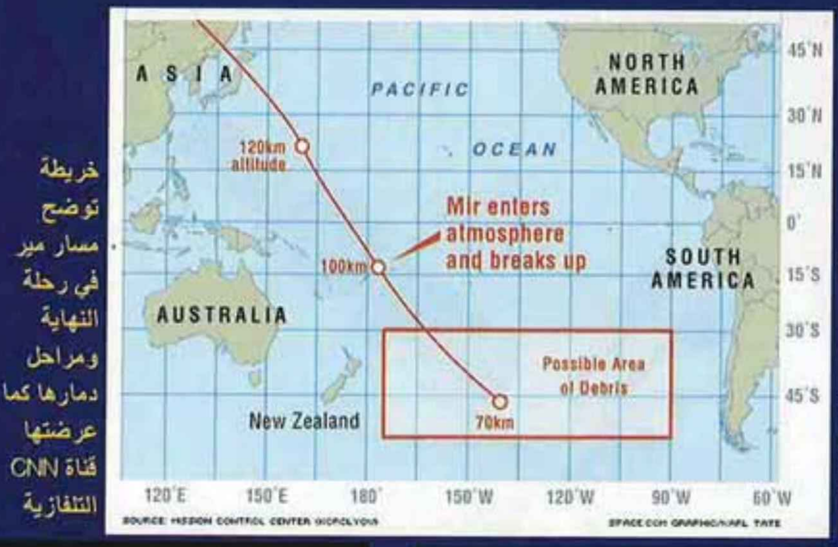
ومنذ ذلك التاريخ.. انتهج الاتحاد السوفييتي سياسة إطلاق المحطات المدارية من طراز «ساليوت» واحدة إثر الأخرى حتى عام ١٩٨٤م. وبلغ عدد هذا النوع سبعاً، وكانت تتردد على المحطات في الفضاء شاحنات فضائية ذاتية الحركة (غير مأهولة) من طراز بروغريس



Progress ؛ لتحمل إلى الرواد الطعام والشراب والوقود والملابس والبريد والأجهزة.

نظرة إلى الماضي

في عام ١٩٨٦م اشتد التنافس بين السوفييت والأمريكيين، عندما حلّ طراز جديد من المحطات المدارية محل «ساليوت»، ووضح أن تصميم المحطة الجديدة التي حملت اسم «مير» Mir أي السلام، فيه تحسينات وتعديلات في الأجهزة. واستخدمت المحطة كسابقتها لاستقبال جماعات من الرواد، يبقون في داخلها مدداً أخذت تتدرج في طولها، أكثر مما كان عليه الأمر في سابقتها.. مما أضفى على هذه الرحلات ميزة خاصة، وصفها العلماء السوفييت بأنها «سياسة البقاء الدائم في الفضاء» فقبل أن يرحل فريق المحطة «مير» يكون فريق آخر قد حل محله.



خريطة توضح مسار مير في رحلة النهاية ومراحل دمارها كما عرضتها قناة CNN التلفازية







ولقد لفتت هذه السياسة السوفييتية أنظار العلماء الأمريكيين، إلى جانب عدة مزايا أخرى أدركوها في تصميم المحطة المدارية «مير»، من أهمها: وجود ستة أبواب مخصصة لالتحام سفن «سويوز» وشاحنات «بروغريس»، إلى جانب سعة المحطة من الداخل، وعدم حاجة الرواد، وهم فيها إلى ارتداء ملابس أو أغطية رأس خاصة، وعدم حاجتها إلى مولدات كهربائية كبيرة؛ لوجود عدد كبير من مصفوفات الخلايا الكهروضوئية، فوق أجنحة متعددة للمحطة تبرز خارج جسم المحطة الأسطواني.

كل هذه المزايا نظر إليها الأمريكيون في صمت، لكن بعد وقوع كارثة احتراق مكوك الفضاء الأمريكي «تشالنجر» في يناير/كانون الثاني ١٩٨٦م، امتلك بعض العلماء ورواد الفضاء الأمريكيين ناصية الشجاعة للجهر بالتفوق السوفييتي في الفضاء، وتعدد مزاياه. ومن أشهر هؤلاء رائدة الفضاء الأمريكية الأولى سالي رايد التي أعلنت ذلك صراحة في التحقيق الذي اشتركت فيه لتحديد أسباب الكارثة.

وتأكدت النظرة إلى التفوق الفضائي السوفييتي، بالتدقيق في دراسة مزايا المحطة المدارية «مير» التي أضيف إلى مزاياها المتعددة التحام مركبة علمية تحت اسم «كفانت» Kvant بها والتي تميزت بأنها تعمل بوسيلة ذات طاقة فلكية عالية، إذ إن بها أربعة تلسكوبات فلكية، بينما كان العلماء الأمريكيون مازالوا في مرحلة التفكير في إطلاق تلسكوب فلكي إلى الفضاء، وفضلاً عن ذلك،

تميزت مير بوجود ستة أبواب لالتحام سفن سويوز وشاحنات بروغريس

فإن مير كانت مقراً مريحاً للرواد، لأن بها مكاناً مخصصاً للنوم ونوافذ للتطلع خارجها، وأماكن للتسلية أو مشاهدة شرائط الفيديو أو سماع الموسيقى، مع وسائل للاتصال بالأطباء على الأرض.

لكن هذا التفوق الفضائي السوفييتي لم يكتب له أن يستمر، بعدما انفرط عقد الاتحاد السوفييتي في عهد الرئيس جورباتشوف بل توقف كثير من مشروعاته التي لم تكتمل، وظهرت بعض بوادر النزاع على الاختصاصات بين بعض الجمهوريات السوفييتية التي استقلت، وخاصة على مسؤولية تمويل رحلات الفضاء، بل تفاقمت الأحوال - يوماً ما - حتى وصلت إلى العجز عن إرسال شاحنة بروغريس؛ لإمداد فريق الرواد على المحطة «مير»، حتى تعرضوا للجوع عدة أيام.

وألقى المناخ السياسي بظلاله على البرنامج الفضائي،



رواد الفضاء الروس ولحظة سمر على متن «مير»

الذي انتهى إلى تقليص كثير من نشاطاته، فقد كان الشغل الشاغل للقادة طلب المعونات واستجداء المساعدات من أمريكا وأوربا، ومواجهة السلبيات التي أعقبت التفكك.

لذلك لقيت سياسة التعاون الفضائي التي تصاعدت

نداءاتها في الولايات المتحدة الأمريكية، ترحيباً كبيراً لدى العلماء السوفييت. والحقيقة أن كلا الطرفين كان ينظر إلى التعاون على أنه سيحقق أهدافاً منشودة. فالسوفييت كانوا ينشدون التخلص من مشروعات ينوء بها كاهل اقتصادهم، والأمريكيون كانوا يخططون لامتلاك تكنولوجيا فيها ملامح تفوق، وسبق إعجابهم بها دون أن يعرفوا كل أسرارها.

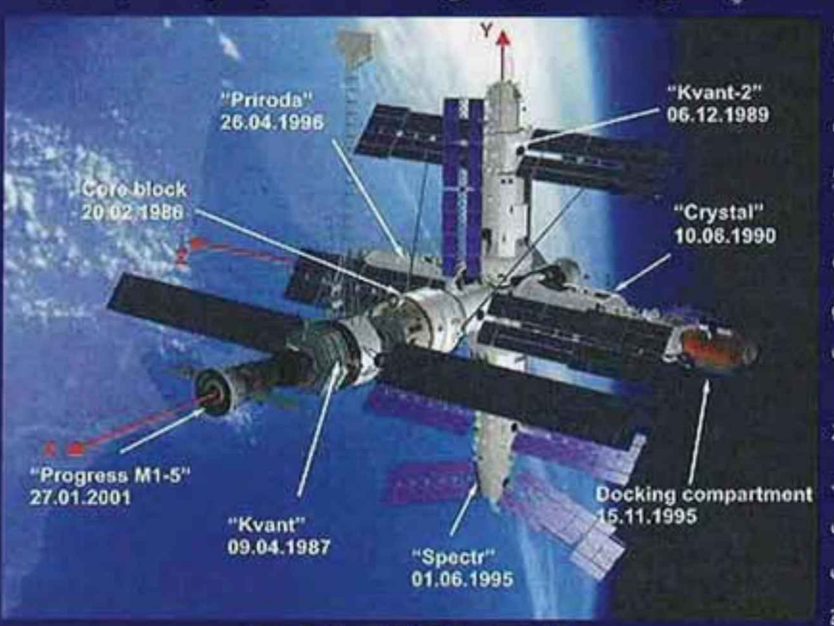
تعاون مثمر

لقد وجدت وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» في التعاون مع الروس طوق النجاة الذي يمكن أن يخلصها من مأزق تعرضت له، إذ كانت الوكالة قد تعاقدت على مدى الخمسة عشر عاماً السابقة، مع ثمان من أكبر الشركات لتصميم أجزاء وأجهزة لمحطة مدارية أمريكية تحمل اسم «الحرية» Freedom، وتحدد عام ١٩٩٠م موعداً لإطلاقها، ثم تأجل الموعد عدة مرات.

لقد كان الهدف أن تصبح المحطة «الحرية» مقراً لأفواج من رواد الفضاء، يمكن أن يبدؤوا منها رحلات إلى القمر أو كوكب المريخ، لكن تكاليف تصنيعها قفزت على مدى هذه المدة الطويلة من ٣ إلى ١٠ مليارات دولار، لذلك لم يحظ مشروعها بتأييد الكونجرس الأمريكي عام ١٩٩٣م، وتوقفت وكالة «ناسا» أمام مأزق تمويلي، ولذلك انصرف علماؤها تلقائياً إلى تأييد أفكار التعاون مع الروس، واتخذت خطوات إيجابية لتحقيق ذلك، انتهت بعقد صفقة تدفع بمقتضاها أمريكا ٤٠٠ مليون دولار لروسيا، نظير تدريب رواد أمريكيين وإشراكهم في العمل في المحطة «مير».

وبالطبع، فإن ذلك كان ينطوي على معرفة تفاصيل البرنامج الفضائي الروسي، وتمّ الاتفاق على التخطيط معاً لوضع تصميم لمحطة بديلة للمحطة «الحرية» لتكون محطة دولية، تشترك روسيا في تصنيع بعض أجزائها بالتعاون مع وكالة الفضاء الأوربية «إيسا» واليابان وكندا.

وفي أوائل فبراير/شباط ١٩٩٥م تمت أول خطوة في برنامج التعاون الأمريكي - الروسي الجديد، بانطلاق المكوك «ديسكفري» في رحلة دامت ثمانية أيام، وحملت على متنها فريقاً مشتركاً من الدولتين، وكان الهدف الرئيس من الرحلة هو اقتراب المكوك من المحطة الروسية «مير» إلى مسافة لا تتجاوز بضعة أمتار كخطوة أولى للتدرب على عملية الالتحام، وقد أمكن الاقتراب من «مير» حتى مسافة أحد عشر متراً فقط، واستمر هذا

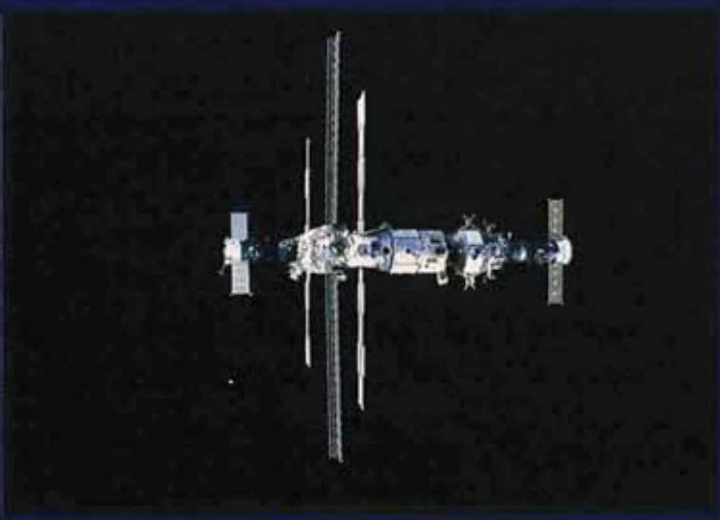


مخطط يوضح الأجزاء التي تتركب منها مير

الوضع عشر دقائق. كما سبح الرواد الأمريكيون مدة خمس ساعات حول مير لدراسة منافذها، وتبادل رواد الطرفين الابتسامات والتحيات عبر الاتصال اللاسلكي.

وفي إطار خطة التدريب المتفق عليها، فإن الخطوة التالية تمت في ١٦ مارس/آذار عام ١٩٩٥م، بصعود رائدي فضاء أمريكيين على متن سفينة فضاء روسية من طراز «سويوز» ليستقرا داخل المحطة «مير» بعد إخلاء الرواد الروس الثلاثة الذين كانوا فيها، وبقي الرائدان الأمريكيان داخل مير ثلاثة أشهر، مع زملاء روس سبق لهم التدريب معهم.

وفي ٢٨ يونيو/حزيران عام ١٩٩٥م انطلق ستة رواد



مير و ٨٦٣٣١ دورة حول الأرض



شهد متن مير تجارب علمية في مختلف المجالات

أمريكيين على متن المكوك «أطلانتس» والتحم بنجاح بالمحطة المدارية «مير» على ارتفاع قدره ٢٨ ألف كيلومتر. وكان على متن مير أربعة رواد روس، قد مضى على اثنين منهم نحو أربعة أشهر محلقين في الفضاء، وبذلك اجتمع شمل عشرة رواد على سفينة واحدة، ليشكلوا حشداً لم يسبق له مثيل في مركبة فضائية من قبل، وينتمون إلى دولتين كان التنافس بينهما قائماً على قدم وساق منذ عهد غير بعيد.

ولقد تركز التعاون المشترك بين هذا الرهط من الرواد داخل المحطة الروسية في تنفيذ برنامج علمي استمر خمسة أيام، لدراسة المؤثرات في طول البقاء في الفضاء تحت حالة انعدام الوزن، وفي علاج ظاهرة الدوار في الفضاء وبعد العودة منه؛ لذلك أجرى الرواد الأمريكيون عدة قياسات طبية على الرواد الروس الذين كان اثنان منهم قد أمضيا مئة وعشرة أيام داخلها، وعند عودتهم بالمكوك إلى الأرض حملوا معهم عيّنات مجمدة من الدم والبول واللعاب، كما تم فحص عيّنات من الهواء والمياه لدراسة احتمالات التلوث عند التعرض للإشعاعات الفضائية.

الحادث المثير

في ٢٥ يونيو/ حزيران عام ١٩٩٧م.. أخفقت سفينة الإمداد الروسية الذاتية الحركة «بروغريس ـ ٣٤» في الالتحام بالمحطة «مير» آليا على الرغم من نجاح هذا الالتحام قبل ذلك ٣٣مرة، وأسفر الإخفاق عن اصطدام السفينة بأحد أجنحة مير، وتمزّق جزء مهم من جسمها وهو غرفة «سبيكتر» التي تتجمع فيها الطاقة الكهربائية المتولدة من مصفوفات الخلايا الكهروضوئية التي كانت على أجنحة المحطة.

وكانت النتيجة المباشرة للحادث فقدان المحطة نصف الطاقة الكهربائية التي تستمدها من الخلايا الشمسية، ونقصاً في توليد الأكسيجين اللازم للتنفس داخلها، مع هبوط بعض الأجهزة وخاصة المستخدمة في التدفئة.

وفور وقوع الحادث أسرع العلماء في مركز المتابعة الأرضية إلى إصدار تعليماتهم لرواد المحطة، عن كيفية الاقتصاد في استخدام الطاقة الكهربائية داخلها، والأساليب اللازم اتباعها للحفاظ على حياة الفريق الذي يتألف من روسيين وأمريكي واحد.

وكان التصرف العاجل الذي بادروا إلى اتخاذه هو إرسال سفينة شحن جديدة «بروغريس ـ ٣٥» نجحت في الالتحام بالمحطة «مير»، ولكن بطريقة (غير آلية) ـ أي يدوية ـ وبدؤوا في وضع خطة للقيام بإصلاح الأعطال

التي سببها التصادم. وكان التفكير المبدئي قائماً على تكليف الرائدين الروسيين الموجودين بالمحطة السباحة خارجها وإجراء عمليات الإصلاح اللازمة.

ولقد نقلت وسائل الإعلام المختلفة أنباء الحادث وملابساته وآراء الخبراء، ولكن الإعلام الأمريكي تميز بموقف اتسم بالجمود، بل حمل بعض السخرية الصامتة، التي تمثلت في التفكه بأن الرائدين الروسيين سيحالان إلى التحقيق بعد عودتهما، وسيتعرضان لخصم من مرتباتهما؟

وفي المقابل، حرص العلماء الروس على الانفراد بوضع خطة الإصلاح، دون طلب مساعدة أمريكية، خاصة بعد أن ترددت بعض الآراء الأمريكية التي تنادي بهجر مير إلى الأبد، وعودة الرواد منها سالمين.

لكن بعد مرور بضعة أيام أعلن الروس جدولاً زمنياً لخطوات الإصلاح، بعد أن تغيرت الخطة، وأصبحت تعتمد على إرسال بعثة (نجدة) قوامها رائدان، ينطلقان في سفينة «سويوز»؛ وذلك لكي يحلا محل الرائدين الروسيين اللذين أصابهما الإنهاك، ولينفذا أيضاً عملية الإصلاح. وقد تم اختيار أحد هذين الرائدين بسبب خبرته العريضة، إذ سبق له القيام بخمس رحلات، وكان بعضها على مير، وسبق له السباحة مدة ٩ ساعات خارجها.



مير وتبدو مصفوفات الخلايا الشمسية



ساعدت مير على معرفة كثير من أسرار الأرض

مراحل (سيناريو) الإنقاذ

واستعداداً للقيام بمهمة الإصلاح تدرب الرائدان الروسيان على تنفيذ مهامهما في أحواض كبيرة مملوءة بالماء المقطر؛ لتماثل الظروف في الفضاء. وكان تنفيذ خطة الإصلاح بدءاً من يوم ٦ أغسطس/آب عام ١٩٩٧م، أي بعد مرور ١٢ يوماً على الحادث، وفقاً لجدول زمني لتنفيذ الخطوات الآتية:

- تنفصل سفينة الشحن «بروغريس» عن المحطة المدارية لتدور حول الأرض عشرة أيام، لتخلي واحدة من فتحات الالتحام.

- بعد يوم واحد تنطلق السفينة «سويوز - ٢٦» حاملة الرائدين الجديدين المكلفين الإصلاح، ويكون الالتحام بباب المحطة المدارية الذي في نهاية الوحدة العلمية «كفانت».

- بعد سبعة أيام يعود الرائدان الروسيان إلى الأرض بالسفينة «سويوز - ٣٥» التي كانت ملتحمة بالمحطة، بعد أن يكون قد مر عليها (١٨٠) يوماً في الفضاء.

- في اليوم التالي يقوم الرائدان الروسيان الجديدان بالسباحة خارج المحطة «مير» لفحص أعطالها، ويعودان

إليها من الباب الذي تركته السفينة «سويوز ـ ٢٥».

ـ بعد خمسة أيام يبدأ الرائدان الروسيان في إصلاح الأعطال بدخول أحدهما إلى وحدة «سبكتر»؛ ليصل الكابلات التي انفصلت عن جناح المحطة.

لكن بعد انطلاق فريق النجدة بساعات قليلة، تفاقمت الأعطال في المحطة «مير» عندما توقف الكمبيوتر عن الأداء، ولم تعد المحطة قادرة على التوجه نحو الشمس؛ لمواصلة توليد الكهرباء من الخلايا الشمسية، كما توقفت مولدات الأكسيجين، وعلى الرغم من ذلك فقد توالى تنفيذ خطوات الإصلاح.

وبعد سباق مع الزمن، نجح الرائدان الجديدان في تنفيذ أهم الخطوات وهي إصلاح عطل الكمبيوتر؛ لأنه كان من اللازم إعادة إدخال قاعدة البيانات عن الرحلة فيه؛ حتى يسهل إعادة توجيه المحطة نحو الشمس في أسرع وقت ممكن؛ وذلك حتى لا تضعف بطاريات المحطة بعد أن طالت مدة الاعتماد عليها وحدها.





مير تستكشف جغرافية الأرض وظواهرها الطبيعية

وبذلك استعاد العلماء المتابعون للرحلة السيطرة على المحطة، بعد أن أفلت زمامها من أيديهم ثلاث مرات خلال (٥٦) يوماً.

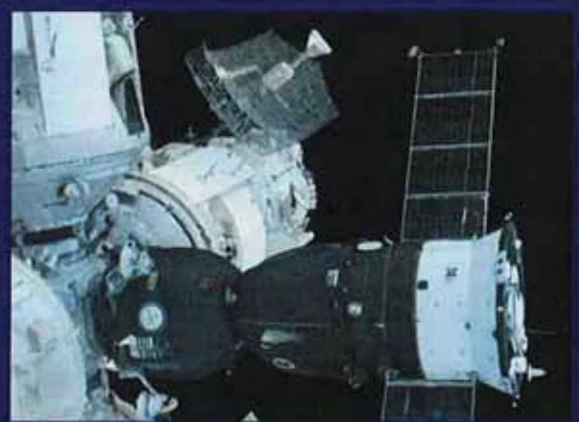
وقد كُلِّفت بعثة الإصلاح فحصَ آثار الارتطام بوحدة «سبكتر» في مرحلة تحددت بعد بضعة أيام. كما اتفق مع الجانب الأمريكي على قيام رواد مكوك الفضاء الأمريكي «أطلانتس» الذين كان مقرراً من قبل انطلاقهم للعمل في مير، بنقل المعلومات عن سطح المحطة الخارجي وآثار التصادم، لكن، وياللأسف، تأجلت رحلة المكوك، ثم توالت خطوات الإصلاح وفقًا للمخطط الروسي بنجاح يمكن أن يحسدوا عليه.

وفي يوم ٨ سبتمبر/أيلول عام ١٩٩٧م، عقد مؤتمر صحفي في موسكو، أعلن فيه العلماء الروس نجاح الرائدين في إصلاح أعطال الكمبيوتر المركزي، بعد أن قاما بإصلاح ما أصاب مصفوفات الخلايا الكهروضوئية من تمزق، وأن عمل المحطة عاد إلى طبيعته تماماً، وأن المحطة أصبحت مستعدة لاستقبال مكوك الفضاء الأمريكي، الذي سيقلّ سبعة رواد، ليصبح مجموع من سيعملون داخلها عشرة رواد. وهكذا تم التغلب على ما أصاب مير بعد ٤٥ يوماً ببعثة نجدة تتكون من رائدين.

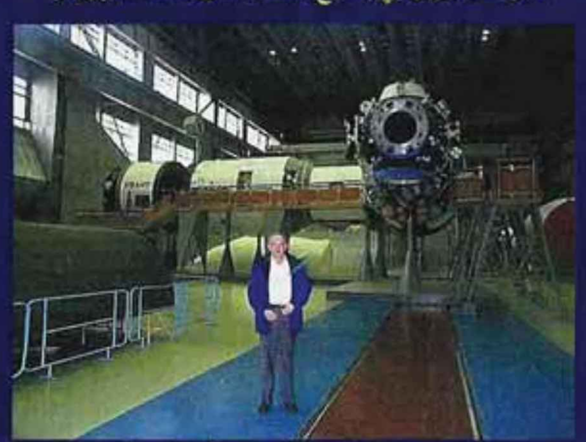
ولا شك أن قيام العلماء الروس بوضع خطة إصلاح مير قد أعاد الثقة إليهم، وأظهرهم أمام العالم بمظهر القادر على استعادة أمجادهم السابقة. وقد أوضح نجاح هذه الخطة أن إصرارهم على القيام منفردين بها دون الاستعانة بالأمريكيين، يعني قدرتهم على الأخذ بزمام المبادرة عند حدوث الأزمات الفضائية.

انفجارات حرارية

إن مشكلة المحطة «مير» تتمثل في أنها محطة عتيقة تديرها وكالة فضاء مفلسة، ولذلك يعتقد بعض مسؤولي وكالة الفضاء الروسية أنه من الأفضل لمير أن تستريح في المحيط الهادئ.



شاركت سويوز في إصلاح مشكلة فقدان الطاقة الكهربائية



مركز التدريب الأرضي في المحطة الفضائية مير

يقول سيرجي جوربونوف المتحدث باسم وكالة الفضاء الروسية: إنه «يجب إغراق المحطة «مير» في مياه المحيط حتى نوفر ملايين الدولارات التي تنفق عليها».

ولسوء الحظ فإن الطبيعة هي الأخرى تحالفت ضد مير.. فمنذ فترة كانت الشمس نشيطة جداً كما يحدث من آن إلى آخر، حيث تدفقت منها انفجارات حرارية(١) من الأشعة من فوق البنفسجية، وغازات ساخنة لمسافة ٩٣ مليون ميل في الفضاء، أثرت في الغلاف الجوي للأرض. كما أثرت في سطح كوكب الأرض، وقد ظهر ذلك في صورة شفق القطب الشمالي(٢)، وقد اقترب هذا التأثير من المحطة، وأصبح منها على بعد ٣٨٠ كيلومتراً فقط.

والمذهل حقاً أن هذا النوع من النشاط الشمسي يمكن أن يؤدي إلى سقوط أحد الأقمار الصناعية لمسافة أربعة كيلومترات أو خمسة في اليوم الواحد. وتشير الإحصاءات إلى تحطم ٤٣ قمراً صناعياً خلال السنوات العشر الأخيرة، وآخر هذه الأحداث وقع في يناير/ كانون الثاني عام ١٩٩٧م حيث تحطم قمر أمريكي.

يقول إيرنست هيلونر، مدير معمل البيئة الفضائية بإدارة الغلاف الجوي وجغرافيا المحيطات: «إن آثار النشاط الشمسي قد أدت إلى سقوط المحطة «مير» إلى الأسفل في الغلاف الجوي، إذ اضطرت إلى الهبوط مرة أخرى».

ومن ثم كانت مير معرضة للخطر كما تقول شركة أر.إس إنرجيا التي تديرها، وهي شركة شبه خاصة، وتمتلك ٦٠٪ من شركة مير، ولإنقاذ المحطة يجب أن تقوم شركة إنرجيا بإرسال سفينة فضاء لرفع مدار مير إلى أعلى بعيداً عن الغلاف الجوي، ثم تتبع برحلة أخرى، وهذا سيتكلف على وجه التقدير ٢٠ مليون دولار.

يقول يوري سيمينوف، مدير شركة إنرجيا: إن مؤسسة مير عليها أن تقدم ١٠٠ مليون دولار فوراً وإلا اضطرت الحكومة إلى وقف عمل المحطة، وإنهاء خدماتها، وإسقاطها في المحيط الهادئ لتدخل مير في ذمة التاريخ.

صفقات وعقود

في الوقت الذي أعلنت فيه وكالة الفضاء الروسية أنها ستوقف مخصصاتها المالية للمحطة، وتركيزها في بناء المحطة الدولية، ظهر مستثمرون أجانب أعربوا عن رغبتهم في تقديم الأموال اللازمة لاستمرار عمل المحطة في الفضاء، وتكونت شركة غربية يرأسها الملياردير والتر أندرسون والملياردير شرينف كاثوريا في أمستردام؛ لتسويق المحطة وتحويلها إلى أول سفينة فضاء لاستطلاع الفضاء الخارجي، واستغلالها استغلالاً سياحياً وإعلامياً.

وقد صرفت شركة أمستردام ٤٠ مليون دولار من أجل تحويل المحطة إلى فندق سياحي ومحطة تلفاز وأستوديو وموقع إنترنت في وقت واحد. وتعهدت الشركة بتخصيص المزيد من المليارات للمحطة.

وقد أعرب عدد كبير من مخرجي التلفاز عن استعدادهم، لدفع مبالغ طائلة، مقابل تصوير بعض

المشاهد على متن مير، كما كان من المقرر أن تنظم شركة أمستردام رحلات سياحية إلى المحطة، وستدفع لمواقع الإنترنت مبالغ طائلة مقابل إرسال الصور من الفضاء. يقول جيو فري مانبر رئيس شركة مير: إنه: «قد حان الوقت لاستغلال هذه المحطة في السوق التجاري بدلاً من التخلص منها كما تنوي السلطات الروسية».

ودخل سباق التنافس دينيس تيتو المهندس السابق بوكالة الفضاء الأمريكية، فقد دفع مبلغ ٢٠ مليون دولار أمريكي؛ لكي يكون أول سائح يحجز رحلته إلى المحطة، وبدأ التدريبات في مدينة «ستار» قرب موسكو استعداداً لرحلته إلى مير.

كما قدم المخرج الأمريكي مارك بورنت ٤٠ مليون دولار مقابل تصوير فيلم «رحلة إلى مير»، وهو استعراض سيشترك فيه أناس عاديون والفائز سيقوم برحلة إلى مير تستغرق عشرة أيام. وقال بورنت في حديث لمجلة «نيوزويك»: إنه يستعد لعرض هذا الاستعراض في شبكة تلفاز إن بي سي في الخريف القادم، وتوجه جيمس كاميرون مخرج تيتانيك إلى موسكو؛ لإجراء الفحوصات التي يخضع لها رواد الفضاء استعداداً للقيام برحلة إلى مير. وقد ذكر متحدث باسم شركة «ليتستورم للإنتاج السينمائي» في ذلك الوقت أن رحلة «كاميرون» ستكون بغرض البحث.

كما اتفقت شركة «لودوبس للإنترنت» على عقد عدة صفقات مع شركة «مير»، وقد وافقت شركة مير على منح الشركات الإعلامية امتياز الحصول على صور فيديو ترسل لهم في الفضاء، وعلى الرغم من كل هذه الوعود فإن شركة «مير» لم توقع سوى عقدين فقط قيمتهما ٤٠ مليون دولار مع «كاميرون» و«بورنت»، وهذا المبلغ كان من الممكن أن يحافظ على المحطة «مير» في الفضاء عدة أشهر أخرى.

محطة مير وعودة إلى العمل بعد إصلاح الأعطاب

والحقيقة أن استغلال المحطة سياحياً يواجه عدداً من المشكلات.. منها مشكلة تدريب السائحين، فكل سائح يحتاج إلى تدريب يتكلف ملايين الدولارات من أجل التكيف على معالجة بعض الأمور البسيطة في الفضاء مثل النوم، وتناول الطعام، والعمل في درجة حرارة صفر، وكيفية التغلب على التوتر الناجم عن الحياة فترة طويلة في مكان محدد.

ثم تبدأ بعد ذلك الرحلة التي تحتاج إلى صاروخ عملاق مشحون بالوقود، ومثل أي فندق فإن المحطة «مير» في حاجة إلى صيانة مستمرة، فهي تحتاج من وقت إلى آخر إلى صاروخ؛ لرفعها باتجاه السماء وإلا غرقت في الغلاف الجوي وتحطمت.. ومن ثم كان الخط الفاصل بين استغلال المحطة تجارياً وتعرضها لكارثة محققة يعد خطاً رفيعاً جداً.

الهوامش والمراجع

١. تعرف هذه الانفجارات بظاهرة العواصف أو الانفجارات الشمسية، وتتمثل في ألسنة تمتد آلاف الكيلومترات ولا تتجه نحو الأرض وحدها، بل تنتشر في الفضاء «البيكوكبي» الذي بين الشمس والكواكب.

٢. تبين أن للانفجارات الشمسية تأثيراً ضوئياً وإشعاعياً قوياً في المنطقتين القطبيتين وخصوصاً في ركاب الطائرات، وهناك أدلة مؤكدة على علاقة النشاطات الشمسية بتغيرات الطقس وبخاصة ما يطرأ عليها من ظواهر عنيفة كالأعاصير، وتحرك أحزمة الجفاف، وكثرة صواعق البرق، وتزايد هطل الأمطار.

- سعد شعبان، الفضاء عصرنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- مجلة العلم، العدد (٢٩١).

الحمّامات الاستشفائية في تونس

خليفة الخياري
سليانة - تونس



جعل الله الماء مانح الحياة ومانعها، منه الخصب والنماء ومنه الفيض والفناء، تاريخه هو تاريخ الإنسان في بحثه عن معنى وجوده، وبالمثل يحفر الماء مجاريه بمشقة ويمضي، والإنسان لا يني ينحت مساره بِعَنَت ثمّ يمضي، وكما تبقى للإنسان مآثر، فللماء مآثره الجليلة، وكما للإنسان أساطير، فللماء أيضاً أساطيره؛ وبما أن الإنسان لا يرتقي إلى مستوى العجيب الخارق إلا إذا أوتيَ من المقدرة ما ليس للغير من بني جنسه، فإنّ الماء لا يُوسَمُ بالعجيب الغريب إلاّ إذا نَبَا وشَذّ وأربك العقل بعدوله عن المألوف لدى البشر في تعاملهم مع الظواهر الطبيعية وتعاطيهم لها.

أمّا إذا شاعت بين الناس كرامات، وراجت حكايات من ماء يُعيد للمُقْعَد قدرته على السير، وللأجرب نقاوة بشرته، وللعقيم إمكان الخصوبة، فلا شك أن ذلك الماء ليس ككل الموارد، وأن شبكة المقولات السارية لا بدّ لها من أوجه طرافة حريّة بالرصد، وأنه لا مجال لفصل الحقيقة عمّا يعتريها من خيالات إلا بارتياد المواقع ومعاينة خصائصها الطبيعية، وفي تونس لا يكاد الحديث عن الماء الشافي ينقطع، ولا تزال الرِّحال تشدُّ إلى منابعه مهما نأت وتوارت في أعالي الجبال، ومن أجل ذلك يُحتمل الحرّ والقرّ وندرة المؤونة ووعورة المسالك، وللتحقيق في هذا الموضوع كان لا بدّ من ضبط بعض المعالم تُتخذ نماذج للاستطلاع والتصوير، يكون لها من الخصائص ما يكفي للاستعاضة عن غيرها. ذلك أن البلاد من شمالها الجبلي البارد، إلى جنوبها الرملي الحار تشتمل على العشرات من المناهل المائية الحارة التي تُقصد للتداوي، وبعد مشاورة العارفين واستفسار المجرّبين، ارتأينا الاكتفاء بأربعة مواقع موزعة على أربع ولايات (مقاطعات) مختلفة التضاريس والمناخ وهي: حمّام طرزَّة (ولاية القيروان) - حمّام بيّاضة (ولاية سليانة) - المجمع الاستشفائي بقُربص (ولاية نابل) - ثم حمّام بولَعابة (ولاية القصرين)، وتنطلق الزيارات في طقس خريفي ممطر حيناً ومشمس أحياناً، وما بين ماء وماء تأخذك المفاجآت عن غفلة وإن كنت تدرك أنك تتنقل بين مواقع غير عادية.

حمّام طرزَّة (١ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٠م)

لا بدّ أن تكون خبيراً بالمميزات الجغرافية لهذه المناطق حتى تبلغها آمناً من تقلبات الطقس، وخبرة الشيوخ بالمسالك هي التي تدفعني إلى الابتداء من حمّام طرزَّة بجهة حفّوز من ولاية القيروان، فهو يشبه فوهة شبه بركانية منفتحة في أعلى سفح جبل يحمل الاسم نفسه، يلتف حوله واد موسمي قد يعيق الوصول إليه في الفصول الماطرة (أواخر الخريف وبداية الشتاء)، وعلى الرغم من الاحتياط واجه مرافقي السائق البِرَك المائية الناتجة من هطل سابق أدى إلى قطع المسلك الترابي المفضي إلى الجبل، ممّا حتّم الاستنجاد بأصحاب سيارات الأجرة لنستدل بهم على معبر بديل. وثمن هذه الاستشارة ليس بالهيّن: فدليلك يحل محلك وأنت تستنجد به، وتنهمر أسئلته فتغمرك وتعجزك: «لماذا تذهب إلى الجبل؟ الحمّام لا يأتيه الناس سوى في الصيف، كيف تأتي في الخريف؟ من أين جئت؟ وممّ تشكو؟» وعليك أن تحسن التخلص كالشعراء القدامى حتى لا تثير الفضول أكثر.

وببلوغ الموقع يقابلك الجبل الشامخ متربعاً على عرش السهول الفسيحة يوحي سواده ورنوّه للسماء بمهابة، لا يستغرب السكان من حوله حلولك بينهم، فقد ألفوا وفود الصيف، واسترزقوا من ذلك. ولكن ينبغي الحذر وعدم كشف الغاية لتنفتح لك الصدور، عليك أن تحدّد مقصدك البسيط وهو الذهاب إلى الحمّام، وأن تخفي آلة التصوير لتظهر بهيئة الزائر العادي، حينها تدرك أنك في رحاب أسطوري يلف الأحياء والأشياء، فالبسملات لا تنقطع ونحن نصعد في المسلك الإسمنتي الضيق المنحوت في الجبل، وأخبار مزعومة لمن تنعّموا بفيض كرامات المكان لا تجفو ألسنةَ الناس!! بمنتصف الطريق، فيتأفف مرافقي ويجلس للاستراحة من عناء المسلك الملتوي وسط الشجيرات الغابية كالثعبان، ثم نمعن في الارتفاع إلى أن نبلغ المكان وهو فوهة صخرية لا ماء فيها، وإنما مجرد بخار ينبعث من جوف الجبل، نبلغه فلا ندري هل نفرح بالوصول أم نفكر في كيفية النزول! ويهمس مرافقي: «أعتقد أن هذه الرياضة الشاقة هي التي تخفف آلام الشيوخ وليس الحمّام»، وأنبهه على وجوب الانضباط، فيبدي من الاستقامة ما لم أعهده فيه!

البيوت المعدة للإيجار (حمّام طرزة)

وتبدو البُنَيّة (فاطمة) أمام فوهة الحمّام ترقبنا باندهاش



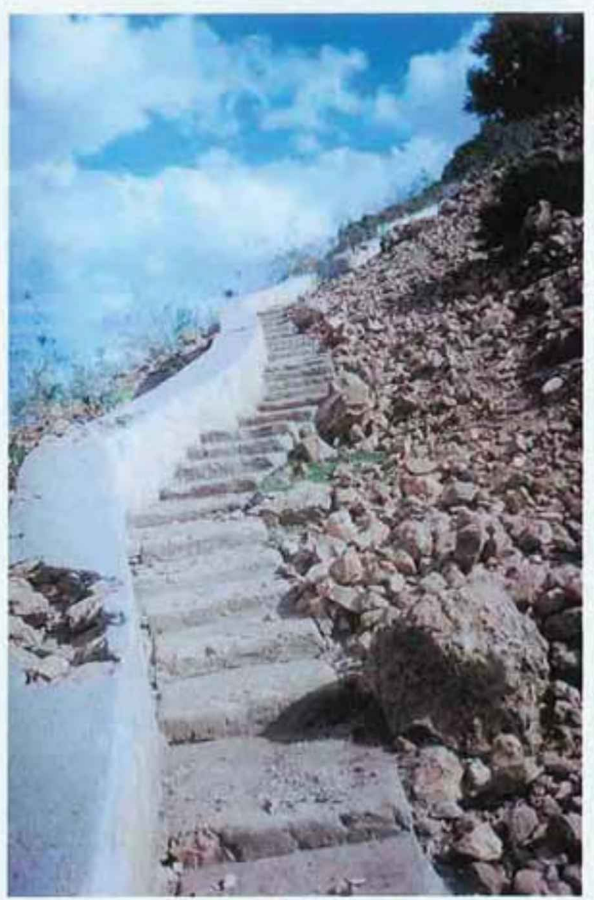
حمّام بياضة وتبدو على جوانبه آثار النقوش الرومانية

وحيرة، ويتطوع أحد الشيوخ ليفسّر لنا: «أسرع يا بنيّ، فقد اقترب موعد وصول النساء فالمساءُ لَهُنّ». فنفهم أن فاطمة هي التي تتولى إعلام الزائرات بخلو المكان من الرجال. هناك نظام اجتماعي تلقائي ينطبق على كل الزوار، مصدره اعتقاد خرافي بأن الحمّام ملكُ وليٍّ صالح لا يقبل من الإنسان أيّ شكل من أشكال التجاوز الأخلاقي، ويندفع الشيخ معقباً: «إنها بركة ينطقها (بَرَاكَة) لا مثيل لها، فما الذي يمنع هذه الصخرة من السقوط؟ وكيف يأتي البخار بلا ماء؟ إنها بركة». وهنا نلمس أصلاً من أصول الأسطورة، ودافعاً من دوافع تقديس الماء: فالحركة البركانية منعدمة في الجبال التونسية، لذلك يستعصي على التفكير الشعبي معنى أن ينبعث البخار بلا ماء، ومعنى أن يتنفس الجبل بخاراً حاراً.

ومنتهى الطرافة أن تتحمّل حرارة البخار المتصاعد وتحاول نزول درجات السلم الحديدي لترى هناك في أعماق الكهف كائنات بشرية على عمق نحو مترين تذكّر بأساطير ألف ليلة وليلة، ترى الوجوه ولا تميز الملامح، تسمع الغمغمات ولا تميز الكلام، يرمقني الشيخ وهو ينزع ثيابه ويقول: «هنا تحيطك البركة، فلا تخشى نزلة البرد وإن خرجت عارياً إلى قمّة الجبل، لا يعقل أن تأتي إلى هنا ولا تستحم، اذهب إلى مخارج الجبل الأخرى، فتلك لمداواة الرؤوس، وتلك للأمراض الجلدية، وهذه (وهي الكبرى) لمعالجة البرد (الروماتيزم)، ويتجهم حالما يرى آلة التصوير، ويبدأ في انتقاء ما يجب أن يقول، أستغل ارتباكه وأطرح السؤال الأخطر: «هل صحيح أن البخار ينقطع إذا تدنّس المكان بألفاظ نابية أو ثياب متسخة، أو سلوك مشين؟»، يرتبك فيطرق، وتسعفه الإجابة آتية من داخل الفوهة: «نعم ينقطع البخار، وتزول البركة إذا لم نحسن التصرّف، ولا يرضى ويعيد البخار (على من يعود الضمير؟) إلا بالذكر والأدعية. وهناك من يحرق البخور، والنساء يزغردن، ويبادرني مجالسي ينفي بحركة من رأسه ما يقوله المستحم ويخجل يعقب: «لعل ذلك كان يحدث قديماً، اليوم كل شيء تغيّر!» ولا تنفك المفاجآت تتوارد حتى ونحن نبدأ مسيرة النزول، أمامي امرأة في الستين تصعد المدرج بتؤدة، أسلّم وأبدي رغبة في مساعدتها، فتشكر وتبدأ في سرد مآثرها: «إني أزور الحمّام منذ سنين، أول مرة كانت مع أمي وأنا صبية كنا نرافق عروسة نفرت من زوجها ليلة الدخلة، ولم تبرأ من السحر إلا هنا (تشير إلى الأعلى)، ممّ تعاني يا ولدي وأنت في ريعان الشباب؟» وكان يكفي أن أسرد على

مسامعها بعض البركات لأتخلص، وبالقرب من السيارة كان مرافقي يساوم فتاة في الثامنة من عمرها تقريباً، وهي تعرض للبيع حرباء مكفهرة اللون، فكل ما في الجبل لا ينفصل عما يثار عن قداسته، والتجارة في كل العصور لم تنفصل عن مواقع التجمع الإنساني حيث تمارس المعتقدات.

وفي هذا المكان تباع بعض الزواحف والحشائش للتداوي، أغفل إخفاء آلة التصوير فتأخذ الفتاة في التقهقر، أساوم، فتصر على أن ثمن الحرباء دينار (من سعرها يا ترى؟) أقبل السعر وأشترط ألا يغير الكائن لونه، وإذا حدث ذلك أردها وأسترجع ديناري، وببراءة وشهامة توافق، والملاحظ أن الظاهرة الاستثمارية آخذة في النمو، ففي أسفل الجبل تناثرت بيوت متلاصقة أعدها الأهالي للكراء بمبالغ زهيدة في فصل الصيف خاصة، ووسطها تتميز المدرسة بنصاعة بياضها في وجه الجبل، لكأننا بالعلم يتوعد الخرافة ببئس المصير.



المدرج المؤدي إلى أعالي جبل طرزة

المحطة الاستشفائية بقربص
(٨ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٠م)

إن الانتقال من طرزة إلى هذا المجمع المائي المشهور حتى خارج حدود الوطن، يمثل نقلة كاملة في التعامل مع الماء، وفي التفكير المصاحب له، وفي كيفية استغلال الإنسان للثروة الطبيعية؛ فهذه المحطة الاستشفائية العريقة تخلصت من رواسب الأسطورة، للتحول إلى مركز علاج طبيعي، ومعلم استثماري، والعيون ذات المياه الحارة المنبعثة من سفح جبل قربص ليس لها أن تلتف بالأساطير وهي تندفع إلى لثم ذؤابات البحر الملتحف بالوقار ما بين عدوتي الوطن القبلي وربوة قرطاج، البحر هو سيد المكان والعيون جواريه الحسان، تسقيه أعذب الرضاب وأنقاه.

إنه من اليسير إدراك الفوارق: هنا تنقلك سيارات الأجرة (تاكسي) في طريق التفافي معبد يمتد ما بين الجبل والبحر براحة وسرعة، والتجار يستقبلون الزائر بشتى المعروضات: هدايا، تحف، مأكولات، مقاه سياحية، نزل للإقامة، والزوار مزيج من الأهالي والسياح القادمين من شمال المتوسط، وتكاد تطغى الأنشطة الاستثمارية على الأنشطة العلاجية، فالعيون تحولت إلى مستشفيات بها أطباء، ولها تسعيرات قارة، وعملة، والفضاءات على درجة عالية من التنظيم والنظافة، وحسن الوفادة، والكل منهمك في شأن يعنيه، ولن يتفرغ إليك من يرشدك إلا إذا كنت لجوجا قليلاً، وحتى البحر يبدو متغافلاً، يتماوج على أنغام ريح غريبة تداعبه بإيقاع مثير، وتعانقه وتتواضع في حضرته أشجار الصنوبر إجلالاً، مشهد من خالص الشعر يصبح إزاءه كل وصف محض تقول.

أكثر من عين في هذه المحطة، وصلاحية كل واحدة قد تكون تحددت بتجريب المستفيدين قديماً، ولكنها حالياً تخضع لإشراف طبي، وتجريب علمي طهرها من الشوائب الأسطورية العالقة، وحولها إلى ينابيع استشفاء واستجمام لائقين، وتأنقت معمارياً بمستوى من الإتقان يحميها من التلوث، على الساحل البحري تتجاوز العيون أو تتباعد قليلا: عين الشفاء - عين كنسيرة - عين الصبية - عين العتروس - عين أقطر، منابع أقيمت عليها النزل، ويباع الماء فيها معلباً بأسعار رمزية.

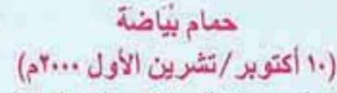
أنتحي ركناً بمقهى مشرف على البحر لا يتجاوز رواده عدد الأصابع، فالموسم ليس موسم سياحة، والنسمات الخريفية بدأ لذعها يشتد، وبالمصادفة تجلس قبالتي سائحتان ناطقتان

بالفرنسية، وبنوع من الفضول أرى أن إحداهما تستعد لالتقاط صورة، فأنظر في الاتجاه لأرى زائرتين باللباس التقليدي التونسي تأخذان الماء بأيديهما وتشربان بالتناوب من نافورة عين الصبيّة، ذلك المشهد لا يلفت إلا الغرباء، وهو مألوف لدى الأهالي، ويعود إلى توافق الناس بالتجريب حول صلاحية هذا الماء لمداواة انقباض الجهاز العصبي، كما تشتهر عين كنسيرة بمعالجة الأمراض الجلدية تماماً، ويقال: إن هذا الاسم هو اسم الرحالة الإيطالي الذي اكتشف العين.

أتذكر تعليق مرافقي إلى حمّام طرزّة حول متاعب الوصول إليه، فأراه ينطبق أكثر على هذا المكان: نعم، إن الاستجمام في هذا المقام الطبيعي المكابر هو استشفاء نفسي لا محالة، وكل استفادة تحصل بعد ذلك تكون كسباً إضافياً، هنا تستعيد الحواسّ فاعليتها وجدواها، ولها أن تتنكر لضجيج المدن، هنا ينتابك إحساس بالوجود مخالف إمّا أنك تكبته في سياق التجاوب مع تكاليف الحياة المتصاعدة، وإمّا أنه وُجد لزمن مغاير لم يعد له مكان في الحياة المعاصرة، هنا يتحضر المَعْلَم فتحتضر الأسطورة، يشتدّ الوعي فترتد الخرافة.


مصحة عين الشفاء (قربص)


حمّام بياضة، المبنى الذي كان معدّاً للنساء



حمام بَيّاضة
(١٠ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٠م)

اتسمت الرحلة في اتجاه هذا الموقع بطابع خاص، ذلك أن الطريق يمتدّ وسط سهول فلاحية تستقبل أمطار الخريف باحتفاء واستبشار، ولا يمنع الاستمتاع بهذا المنظر الجميل سوى التفكير في كيفية بلوغ الغرض المقصود في مثل هذا الطقس، فقد أصبحت متيقناً من أن المسالك المؤدية إلى هذه المعالم لا تكون في النهاية إلا ترابية، ولا مناص من أن تتخللها البرك المائية المعيقة لجولان السيارات. داخل سيارة الأجرة لا تنقطع الأحاديث الممجّدة لهذه الأمطار المبشرة بموسم فلاحي ناجح، إلى أن يقطع المحاورة أحد المتشائمين مذكراً بما كان الأجداد يحذرون منه (بَاريكْ من الخريف البَدْرِي، والنّسِيب الفقري) ومعناه احذر الخريف الذي تتهاطل الأمطار في مستهله فتلك علامة دالة على أنها ستنقطع في الفصول اللاحقة، والمقصود بالنسيب الصهر الفقير الذي يتزوج ابنة الفلاح ولا يستطيع إعالتها، ويظل الجدل نشيطاً توقد جذوته الحجج المتنوعة، إلى أن نشرف على مدينة «الكريب» التي لا تبعد عن حمّام بياضة سوى ٢٠كم حسب التقدير، ومن دواعي تجدد النشاط أن انقطع تهاطل المطر تدريجياً وأطلت الشمس حَيِيَّةً خَفِرَةً من بين السحب، أسأل السائق، وأنا أنقده أجره، عن إمكانية استئجار سيارة خاصة، فيرشدني إلى أحدهم، متمنياً لي الشفاء فأشكره وأمضي إلى مقصدي.

يتميز حمام بياضة بأنه بعيد عن الجبل الذي يحمل الاسم نفسه، نحو (٥ر١كم) والطريق المعبد يمرُّ بجانبه، ويجواره تجمع سكني فيه المتاجر وأغلب ما يحتاج إليه الزائر، ويتوارى المنبع المائي وراء جامع حديث العهد بالصيانة، اليوم الأحد لذلك يبدو الإقبال مكثفاً على الحمام، وهو مجرد فوهة صخرية يستقر داخلها الماء الساخن. أكوام صغيرة من الثياب هنا وهناك، والقيِّمُ المكلف من طرف السلطة بحراسة الموقع يشير بعصاه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وتبدو على ملامحه مظاهر الإرهاق، فالعمل يصبح شاقاً عندما يكون أغلب الزوار من شباب المدارس والمعاهد.

وأعذر الرجل الذي لم يرد على تحيتي لا بمثلها ولا حتى بنقيضها، فالتوصيات ينبغي ألاّ تنقطع: «لا تغوصوا كثيراً فمن تجاوز الحدّ لن يعود أبداً، تمسك بالحبل المشدود إلى الصخرة إذا شعرت بالإغماء، لا تشعل السجائر صاحب المقام لا يرضى بذلك، وأنت تريد التصوير. يا حسرة على ولدي، صوّروه عشرات المرّات قبلك ولا أحد منهم عاد، وعدوا ببناء الحمام وأخلفوا، فهذا الماء المبارك يغور إذا حاول الناس استغلاله للربح المالي، وفي ذلك الحين أنتبه إلى أنه يبيع معلبات الصابون السائل المركز (الشامبو) الصغيرة إلى المشترين ويتناول الأثمان دون خشية. ويواصل مخاطبتي: «الماء يأتي من ذلك الجبل، ولكن لا تذهب إلى هناك، ستفترسك الضباع والخنازير»، ويزعق من جديد في وجه بعض الشبان المتدافعين منبهاً على وجوب احترام المقام، ويعود إلى محادثتي: «هذا الماء شفى آلاف الناس من الأمراض الجلدية وفي أيام الاستعمار كان الحاكم ينطقها: الجوج، يجيء من تونس كل صيف للاستحمام هنا، الفرنسيون هم أوّل من اكتشف الحمّام»، ويتبادر إلى ذهني سؤال مشاكس وكدت أقول (هل كان الجوج مصاباً بالجرب؟) ولكن أجد من الأنسب أن أصحح المعلومة فقط حتى لا أقطع ارتياحه لمحادثتي، فأشير إلى بقايا الأبنية المحيطة بالحمام وهي من الطراز المعماري الروماني الذي يدل على أن الموقع كان مستغلاً منذ العهود التي سبقت الإسلام إلى هذه الأيام، فيحرك الرجل رأسه نافياً «لا، لا، ذلك بناء جهلي (يعني جاهليا) ليس له صلة بالحمام!» وأستحضر في ذهني المراجع التي تؤكد مسعى المستعمرين لترسيخ مقولة الأولياء، والتشجيع على بناء المقامات في المواقع الأثرية خاصة لحمايتها من الاندثار، وهم يستخدمونها ذريعة لإثبات أحقيتهم بملكية البلاد، ولكن لو صارحت الرجل بمثل هذه الحجج التاريخية فإنني لا أضمن ردّة فعله.

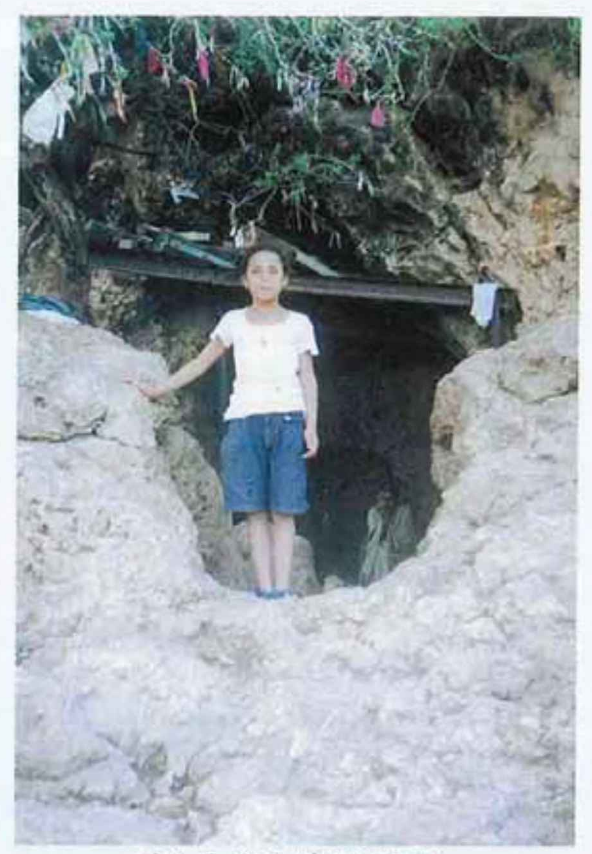
وبينما كنت ألتمس وسيلة للخلاص، والرجل يتحدث عن بعض المهندسين، وقد وعدوه ببناء الحمام وتنصيبه مديراً له... اقترب مني طالب جامعي مبتسماً ليقول: «الأمر أبسط ممّا يُروى لك، هذا الماء مشبّع بالكبريت طبيعيًا، وتلك المادة هي النافعة للأمراض الجلدية، انظر إلى لون الماء، فتلك الحمرة دليل على ارتفاع نسبة الكبريت»، ولأجنّبه مواجهةً مع الحارس قد تطول، أقترح عليه مصاحبتي إلى الجانب المخصص للنساء من هذا الحمام، والطريف أن ترى الأهالي قد استغلوا الجدران الرومانية القائمة حول النبع الثاني، وأتمّوا تغطيته بسقف من القبو، ولا صاحب المقام غضب ولا الماء خان الأمانة التاريخية، فالتدفق متواصل يغمر أسفل الغرف المهملة، ورائحة الكبريت الملوّث لا تحتمل، فإذا كانت الأسطورة الأولى القائلة بانقطاع الماء إذا بنيت له الأبنية لم تتحقق، فلا بدّ من بديل أسطوري يُشيع بين الناس فكرة انعدام صلاحية الماء للتداوي بعدما بُني،

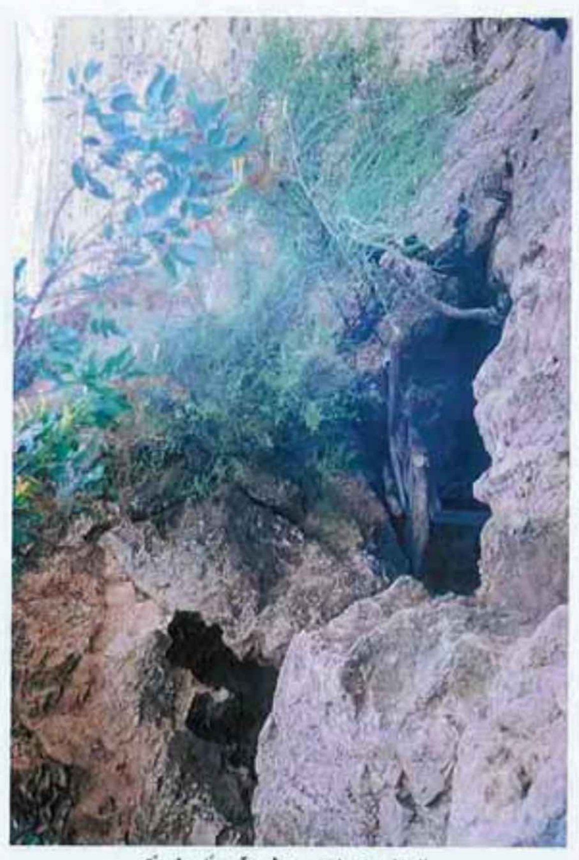


حمام بولعابة المقر الجديد وخزّان الماء



الأجهزة التي تستخرج الماء من البئر (حمام بولعابة)


فاطمة تستقبلنا أمام فوهة حمّام طرزّة


البخار يتصاعد من فوهة حمّام طرزّة

وبسريان هذه المقولة اضطرّ الزوار، وفي الصيف خاصة، إلى توزيع الوقت: الليل للنساء، والنهار للرجال واستغلال منبع واحد من المنبعين!، إنما الأسطورة سليلة غير المعتاد بالضرورة، ولها في حمّام بياضة ما يسوّغ وجودها: فالماء كما يقولون، مستقر في مستوى ثابت لا يفيض ولا ينقص، ومهما تكثفت فيه رغوة مواد التنظيف فإن العمق الصخري يستوعبها ويتجدّد الماء الصافي تلقائياً بعد دقائق، وحسب رواية الحارس فإن المصالح المختصة حاولت تفريغ المنبع تمهيداً لتحويله، واستمرّ المحرّك الآلي يعمل عشر ساعات بلا انقطاع في استخراج الماء ولم يبلغ قرارته، وحالما توقف المحرك عاد الماء إلى مستواه المعتاد، فإذا صحّت رواية الحارس، فهذا النبع أقوى حتّى من ينابيع قربص ذات العيون المتعددة، والسهول المترامية من حوله تسمح بإنشاء مركز استشفائي أكبر من مركز قربص المقام في فجوة جبلية وعرة وضيقة، الأمر لا يحتاج سوى إمكانات مادية كافية وبعض الدعاية وتوافر الإرادة الاستثمارية لدى الأثرياء من أبناء الجهة.

حمام بولعابة
(٨ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٠م)

موعد آخر يتجدّد مع أساطير الماء ونحن نستبدل الوجهة نحو الوسط الغربي للبلاد، فولاية القصرين معروفة بتناقضها الجغرافي: مخزونها المائي الجوفي معلوم منذ أقدم العصور، ولكنها أيضاً معروفة بسباسبها المترامية التي تغطيها نباتات الحلفاء المستخدمة لصناعة الورق. تدخل الولاية من جهة الشمال فتستقبلك بساتين التفاح تلتف حول مدينة سبيبة، وهي مدينة صغيرة صنع الماءُ لها مجداً فلاحياً، ثم تستوقفك عظمة الآثار العريقة حالما تشرف على مدينة سبيطلة ذات الشهرة العالمية، ولولا الماء لما بلغت العمارة الرومانية كل هذا التطور، وتنفذ إلى القصرين بين حقول شاسعة كانت تسمى «قرعة العطش» وأصبحت، لإيمان أهلها وتعلقهم بالأرض، جنّة غنّاء تغطيها أشجار الزيتون كاملة.

كان صديقي الشاعر سعيدي المنصوري أصيل هذه الجهة هو الذي نبهني على وجود معلم بهذا الاسم على بعد


بائعة الحرباء تتمسك بالثمن... طرزة

(١٠)كم من القصرين، أسفل أعلى قمة تونسية (جبل الشعانبي)، فهذا الحمام لا يتمتع بمستوى الشهرة التي نالتها الحمامات السابقة، وإن كانت القمة الجبلية التي ينتسب إليها لا يبلغها لا جبل طرزة ولا بياضة، ولمحدودية شهرة الحمّام، فقد توقعت أن ألاقي موقعاً مهملاً، منسياً، وارت الأيام أساطيره، إلا أن الأمر كان خلافاً لما توقعت، فالسلطة هناك قد وفرت الحد الأدنى المطلوب ليصبح النبع المائي صالحاً للاستغلال، أوصلت النور الكهربائي إلى البناية الجديدة، وقسّمتها غرفاً فسيحة صالحة للاستحمام بشكل مقبول، وأقامت خزاناً فاصلاً بين البئر العميقة المجهزة بمحرك كهربائي لاستخراج الماء والمبنى، وأجرت الأنابيب الواصلة بينهما، وأبدى الشاب المكلف بتسيير الأجهزة الفنية درجة عالية من الوعي، فهو يقول: «ليس المهم وصول الكهرباء وإنجاز البناية، ولكن الأهم حسن استغلال الموقع، ألم تنتبه كيف يشغّل الكهرباء المحرك ويمرّ سلكه فوق السطوح، والمنازل لم تتزوّد به؟ كيف يمكنني الاستفادة مما تسميه مشروعاً وأنا لا أستطيع بناء المساكن اللازمة للزوار؟ هذه المساحة تتحول في الصيف إلى سوق فتنتصب الخيام، وينتشر الباعة، ولا تهدأ الحركة، فمن المستفيد، أنا المقيم الساهر على الموقع أم هؤلاء التجار المتجولون؟».

لم أجد في لغته الناحية منحى التشاؤم ما يشجع على الاستفسار، فأكتفي بالتصوير. وتهجم الأسطورة بغتة من حيث لم أتوقع: ناداني سائق السيارة وكان جالسا في ظل نخلة كبيرة ليقول: «تلك الآفة العجيبة كانت تظهر من أصل هذه الشجرة»، وقبل أن أسأل، أرى على وجه الشاب خجلاً وارتباكاً ونظرة عتاب نحو السائق، ثم يشرح لي: «إنه يحدثك عن أمّ الدوالب، نعم هي موجودة فعلاً، تأتيها النساء بالكسكسي مطبوخاً باللحم لتبشرهن بالولادة»، وأسأله ما أم الدّوالب؟ وما أوصافها؟ ويتدخل السائق: «من بركات هذا الولي أن حيوانا يسكن هذه الشجرة، تأتيه المرأة التي تعاني من العقم، وتردّد (يا أم الدوالب أعطيني باش نحارب) سبع مرات = يعني أمنحيني أطفالاً أواجه بهم مصاعب الحياة، وتضع صحن الكسكسي وتنتظر، فإذا خرجت الدابة مع صغارها وأكلت من الطعام، فالمرأة ستلد، وإذا خرجت بمفردها ولم تأكل تعلم الزائرة أن العقم سيلازمها»، وأمام صمتي يدرك الشاب أنني لم أستوعب ما يُروى، فيتدخل: «أم الدوالب تظهر في شكل سلحفاة ضخمة، وهي بالفعل تقوم بدور التبشير والنذير»، أسأله: «هل شاهدتها تتقبل الولائم من النساء؟» فيجيب بوثوق: «نعم، ولكن من بعيد، لأن المرأة يجب أن تذهب منفردة»، وأقترح: «إذا جلبت لها الكسكسي هل تخرج لأراها؟» واستغرق الشاب في ضحكة مجلجلة وردّ بمكر: «المشكل ليس الكسكسي، أستطيع أن أوفر لك ذلك، ولكنك لست امرأة».

كذلك الأسطورة دائماً، سريعاً ما تجد الحصن الذي يقيها ملاحقة المتطفلين مثلي، والإنسان الذي يبتكرها هو الذي يمكنها من منافذ الخلاص لتستمر، أراني في شوق شديد لمقابلة أم الدّوالب، وإلى ملامستها، ومداعبة صغارها، وتصويرها، ولو عُرض عليّ التكفل بكامل مصاريف امرأة تعالج من هذا الداء تساعدني في استدراج أم الدوالب لأراها، لما ترددت لحظة واحدة. أول مرة أشعر فيها أن آلة التصوير محدودة القدرات ما لم تقتنص الخوارق، ولكن «ما كل ما يتمنى المرء يدركه»، أمّا وهذا الميدان أكبر وأوسع من كل أماني البشر، فيكفي الإنسان قدرته على الإدراك.

الأيِّل
الحيوان الطروب!!

منير مصطفى البشعان
الطائف - السعودية



من أطرف الأشياء وأمتعها بالنسبة إلى أي إنسان معرفة الحيوانات وطباعها ومعيشتها. ومن كمال الإيمان بقدرة الله وعظمته التفكير في خلقه والتأمل في بديع صنعه وملكوته. وقد دفعني إلى الكتابة عن الحيوانات رغبتي المُلحَّة في معرفة كل شيء عن حياتها وبخاصة أنها مثال على عظمة الخالق الكبير وقدرته العظيمة.

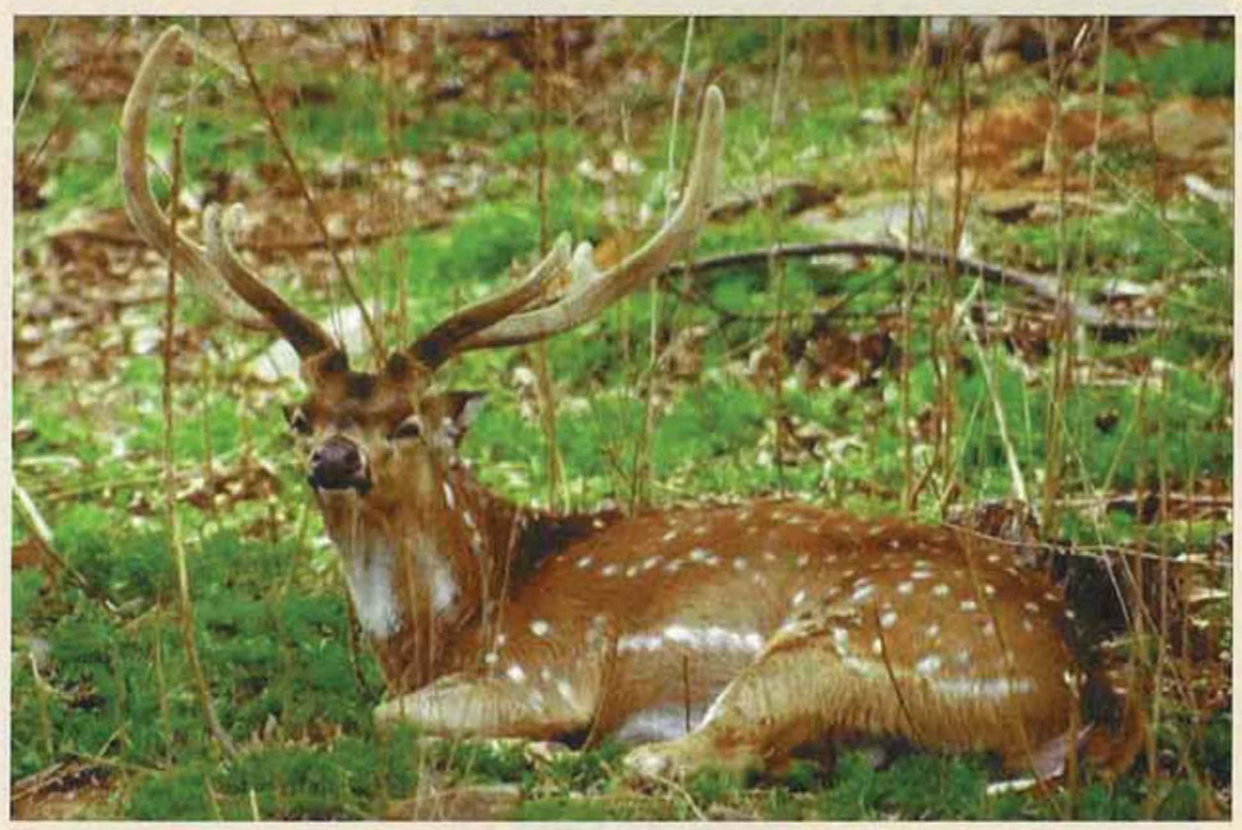
وقد اخترت اليوم «الأيّل» للكتابة عنه، وما شدَّني إليه هو جمال منظره، وعظم خلقته، وحسن تكوينه، وتناسق جسمه، وتناغم حركاته. ثم إنها لفتة مني بل دعوة ملحة عاجلة للحفاظ على نسل هذا الحيوان الجميل الأليف، الذي كان يُزيِن في سالف الأزمان ربوع بلادنا العربية الحبيبة، وهو في واقع الأمر جزء من تراثنا الخالد، ورمز من رموز أصالتنا العربية العريقة. وبما أننا بصدد الحديث عن الأيّل.. ملك الرشاقة والجمال. ينبغي أن نتعرف أولاً صفات الأيّل العامة.

فـالأُيَّل والأُيَّل، بضم الـهـمـزة وفـتح اليـاء المشـددة وكسرها، أو الإِيَّل، بكسر الهمزة وفتح الياء المشددة، أو الأَيِّل، بفتح الهمزة وكسر الياء المشددة، كما ورد في مصادر كثيرة: هو حيوان مجتر من ذوات الظلف، قرونه مـصـمـتـة، وتوجد في الذكور على الأغلب، وهو على أنواع، والصغير منها هو الذي يسمى بالإنجليزية DEER فقط. وهذا الحيوان صنف من أصناف البقر الوحشي القريب الشبه من الظباء، يعتصم بالجبال، وقليلاً ما يحل السهل، فإذا فَاجأَهُ الصياد وخاف منه رمى بنفسه من حالق الجبل من غير أن يتضرر بذلك. وللأُيَّل قرنان كالظبي إلا أنهما مصمتان لا تجويف فيهما كقرني الثور الوحشي، وهما حديدان شديدان يعتدهما للذود عن نفسه إذا رامته السِّباع، ولا تنبت قرونه إلاّ بعد أن تمضي له سنتان من عمره، فإذا نبتا كانا مستقيمين كالوتدين، وفي السنة الثالثة من عمره يتشعَّبان، ولا يزال التشعب في زيادة إلى تمام ست سنين، وحينئذٍ يغدوان كالشجرتين على رأسه، ثم يُلقي بعد ذلك قرونهُ كلَّ عام مرة. وليس



أيل المنْجَق Barking Deer

شيءٌ من الحيوان يلقي قرونه غير الأيِّل، ثم ينبت قرناه، وعند ذلك يعرضهما للشمس حتى يجفّا ويصلبا. وإذا ألقى الأيِّل قرونه علم أنه جُرِّدَ من سلاحه الذي يصول به على أعدائه، ويدفع بشَبَاته الأذاة عن نفسه، لذلك فهو يستخفي عن السباع، ويكمن في المواضع التي لا تقع عليها العيون حتى ينبت قرناه، وهو يستخفي أيضاً إذا سمن وعاقته البدانة عن الحركة. والأيِّل مشغوف



أيل المحور Axis Deer



الأيل الأحمر Red Deer

بالحيَّات، مولعٌ بأكلها، يبحث عنها في كل مكان، ويطلبها في أي موضع.

إحساس صادق

فإذا لاذت الحية بجحرها، واستكنَّت فيه أخذ الماء بفمه، ونفخه في الجحر، فتخرجُ له ذنبها، فيأكلها حتى إذا انتهى إلى رأسها تركه خوفاً من السم، وربما لسعته الحية، فتسيل دموعه إلى نُقرتَين واقعتين تحت محاجر عينيه، فتجمد تلك الدموع، وتصير كالشمع، وتُتَخَذُ درياقاً لسم الحيات.

والأيّل حيوان صادق الإحساس، فهو إذا أكل الحيَّات اعتراه العطش الشديد، فيأتي مواقع الماء، ويدور حولها، لا يشرب منها على الرغم من شدة ظمئه، والذي يمنعه من الشرب هو ما يعلمه من أنَّ حتفه كامنٌ في ذلك، لأنه إذا شرب جرت السموم مع هذا الماء في بدنه، ودخلت مداخل لم يكن ليبلغها الطعام، ويبقى على حاله هذه أربعة أيام، فإن كان اليوم الخامس، وذهبت ثورة السم شرب. وقد عرف الشعراء من الأيِّل ذلك، وأفاد بعضهم من هذا المعنى فقال:

هجرتُك لا قِلىً مِنّي ولكنْ
رأيت بقاءَ وُدّك في الصدود

كهجر الظامئات الماء لما
تيقّنَّ المنايا في الورود

تذوب نفوسُها ظمأً وتَخشى
هلاكاً، فهي تنظر من بعيد

وكثيراً ما يصاد الأيّل، فيجد الصيادون رؤوس الأفاعي والحيَّات ناشبه الأسنان في عنقه وجلده، وذلك أنه حين يهم بأكلها يبادره بالعض، فيأكل ما تدلى منها، وتبقى رؤوسها معلقة به. وإذا لدغت الأيل حيةٌ تداوى من لدغتها بأكل «السراطين» لذلك ظن الناس أن «السراطين» تُبرئ اللديغ من بني الإنسان.

صداقة وطرب

ويزعم الصيادون أنّ بين الأيل والسمك صداقة، فكلاهما يأنس بالآخر، ويرتاح لرؤيته. وصيادو الأسماك يعرفون ذلك، ويفيدون منه في صيدهم، فهم يتخذون من جلد الأيِّل لباساً لهم، ويقفون على الشواطئ، فتخرج لهم الأسماك، فيصيدون منها ما يشاؤون.

والأيِّل حيوان طروب يرتاح للصوت الحسن، ويؤخذ بالنغمة الحلوة. وهو لا ينام مادام يسمع ما يُطربه، لذلك فهو يصاد بالغناء والصفير. فإذا أراد الصيادون اقتناصه شغَله بعضُهم بالتطريب، وأتاه بعضهم الآخر من خلفه، فإذا رأوه مسترخي الأذنين عرفوا مدى تأثره بالغناء، ووثبوا عليه، وأخذوه. أما إذا كانت أذناه لا تزالان مُنتَصِبَتَيْنِ كفّوا عنه، وعرفوا ألاّ سبيلَ إلى اصطياده.

ومن جهة ثانية ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان أن أنثى الأيّل إذا وضعت ولداً أكلت مشيمتها - شأنها شأن بعض إناث الحيوانات - فَيُظَنُّ أن المشيمة شيء يتداوى به من علّة النفاس. كذلك أورد الجاحظ أن فم الأيّل صغير، مما يزيده جمالاً على منظره وحسن تكوينه.

وبشكل عام يوجد الأيل في كل مكان في العالم وبخاصة في إفريقية وأستراليا، وهو من الثدييات الكبيرة ذوات الظلف، وقليل من هذه الأيايل صغير الحجم مثل: أيائل البَرْكَتَ Brockets والبدس Pu-dus التي تُعد أيائل صغيرة. ويبلغ قياس الأيل المعروف بـ Chilean Pudu (Pudu Pudu) مثلاً ١٣ بوصة تقريباً ارتفاعاً من عند مناكبه (أكتافه). وباستثناء إيّل المسك Musk Deer وإيل الماء الصيني Chinese Water Deer، فإن جميع ذكور الأيايل تمتلك قروناً. أما أنثى الرنّة والأيّل الشمالأمريكي (الرَّنّة) Caribou فيمتلكان قروناً مثل الذكور. ومعظم الأيايل تتلون بلون بني أو أسمر ويكون قليل منها منقطاً أو مرقطاً. كذلك فإن جميع الأيايل تُعد حيوانات عاشبة نباتية، وكثير منها يرعى على الجنبات والشُجيرات، أو على الأغصان وفروع



الأيل الأسمر Fallow Deer



الأيل الأذاني Mule Deer

الأشجار المنخفضة. كما أن معظم الأيايل هي حيوانات أنيسة، اجتماعية النزعة، مخالطة، تحب الاختلاط بغيرها، وتتجمع هذه الحيوانات في قطعان، وكثيراً ما تتبع الأيل القائد في مسيرها أو تجمُّعها. ومن الجدير ذكره أن ذكور هذه الكائنات تمتلك حريماً Harems من جنسها عادة في أثناء فصل التربية.

ومن ناحية أخرى، فبالإضافة إلى الأيل العربي المؤنس، الجميل المنظر، المتناسق الجسم، البهي الطلعة الذي كان يعيش في بلادنا العربية والإسلامية فيما مضى، والذي فقدناه من ربوعنا اليوم، يمكن أن نذكر الأنواع الآتية من الأيايل المعروفة عالميًا:

أيل المحور Axis Deer (Axis Axis)

وهو أيل يعيش على مقربة من الماء في الأجمات والأدغال العشبية في الهند وسيلان، وله نقط أو بقع بيضاء واضحة على جلده البني الضارب إلى اللون الأحمر. ويمكن أن يزن أيل المحور النامي تماماً ١٥٠ إلى ٢٠٠ باوند، وقد تتضمن القطعان أكثر من ١٥٠ رأساً. وللذكور قرون طويلة حادة. ولأن هذا الأيل هو حيوان جذّاب وساحر وفاتن جداً، فقد أُدخل إلى مناطق كثيرة أخرى من العالم.

الأيل الأحمر Red Deer (Cervus Elaphus)

يزن هذا الأيل من ٢٠٠ إلى أكثر من ٥٠٠ باوند. ويوجد في كل مكان من أوربا إلى غرب روسيا وشمال إفريقية. ولكن لاصطياده المستمر على مدى مئات السنين فقد أبيد من مناطق كثيرة. ويقال: إن النُبلاء من الناس فقط مُنحوا امتياز صيد هذه الأيايل فيما مضى، كما تروي الخرافات والأساطير. وقد استخدمت الكلاب المدرَّبة خصيصى والمسماة بكلاب الصيد المقتصرة على الرجال فقط في مطاردة هذه الأيايل وصيدها. ويسمى لحم الأيل بـ لحم الغزال (لحم الطرائد).

أيل المُنْجَق (أيل النباح والعُواء)
Barking Deer,or Muntjacs
(Muntiacus Spp.)

وهو أيل صغير، وأنواعه مختلفة صغيرة، ويزن ٤٠ باوندًا، ويوجد في الهند وجنوب آسيا. وهذا النوع من الأيائل يُصدر أصواتًا صاخبة مدوية عنيفة. وتمتلك الذكور قرونًا مثل المسامير متشعبة ومتفرعة في أطرافها، كما تمتلك أيضًا زوجًا من الأنياب في فكوكها العلوية. وتعيش هذه الأيايل في الأدغال والأجمات الكثيفة، وخصوصًا على طول الأنهار، أو بموازاة الجداول والنُهيرات. وتنتقل أو تتحرك أو ترحل بمفردها أو في أزواج، وليس في شكل قطعان أو جماعات. وعلى الرغم من أن هذه الأيايل



الأيل الأبيض الذيل White-Tailed Deer

أيل الجزيرة المنْخفضة Key Deer



أيل المسك Musk Deer



من الأيائل الفأرية المائية Water Chevrotains

تعد من الحيوانات الخجولة أو الجبانة فإنها تقتل من قبل الكلاب والسنَّوْر أو الهر البرّي الأهلي، وأحياناً يقوم الصيادون البشر بصيدها أو قتلها.

ومن ناحية أخرى، فإن الشيء الذي يلفت النظر في هذه الكائنات الحية، هو أنها تسير بطريقة متكلفة أو بطريقة متميزة من بقية أشقائها من الأيايل، كما تجري ورؤوسها تظل على نحو منخفض.

أيل المستنقع (أيل السبْخة)

Marsh Deer, or Swamp Deer (Blastocerus dichotomus)

وهو الأيل الأكبر والأضخم في أميركا الجنوبية، إنه يعيش في المستنقعات (السبَخات)، والأدغال وأجمَات البلاد المنخفضة على طول الأنهار. وقد تزن الذكور الكبيرة أكثر من ٢٥٠ باونداً. ويكون لون جلد الأيل المستنقعي أحمر صارخاً في الصيف، ولكنه يصبح بلون أكثر سمرة (بلون بني أكثر) في الشتاء. ويختفي هذا الحيوان أو يختبئ في أجمَات الأراضي العشبية الرطبة وأدغالها، إذ يخفيه لونه ويحجبه عن الرؤية، حتى إنَّ قرونه الطويلة تمتزج أو تنسجم مع أماليد وغُصينات الشُجيرات والجنَبات والأشجار الصغيرة. وهذا الحيوان هو من الحيوانات الأقل خوفاً من الإنسان من بين الثدييات الجنوب أمريكية الضخمة الأخرى. ويرعى هذا الأيل كثيراً مع الماشية والخيول، ويتجول أحياناً على مقربة من



أيل المستنقع (أيل السبْخة) Marsh Deer, or Swamp Deer

المنازل والبيوت، مما يجعل أمر قتله سهلاً، أو يكون اصطياده أو قنصه في متناول اليد، وهكذا يصطاد هذا الحيوان من أجل الانتفاع بجلده ولحمه.

الأيل الأسمر أو الآدم

Fallow Deer (Dama dama)

يُميّز هذا الأيل بقرون ذكوره العريضة المسطحة، أما لون جلده فهو أحمر بني أو ضارب إلى السمرة، ومبقع أو منقط ببقع ونقط بيضاء، ومع ذلك تكون بعض هذه الأيايل - من ناحية ثانية - بيضاء تقريباً، ويكون بعضها الآخر بنياً أدكن وغير مبقعة أو منقطة كأشقائها. ويعيش الأيل الأسمر في جنوب أوربا وفي آسيا الصغرى، كما أدخل مناطق كثيرة بما في ذلك نيوزيلاند والسويد، وقد جُلب إلى الجزر البريطانية بوساطة الرومان.



وهذا الأيل على وجه الخصوص هو حيوان وثّاب جيداً وبشكل بارع، ويمكن أن يقفز فوق الأسيجة العالية. ويوجد بشكل وافر في بيئة الأقاليم المناخية من شمال إفريقية، وإلى مناطق بعيدة في الشمال كالسويد. ويعيش أيضاً على ضروب كثيرة من الأغذية مثل غُصينات الأشجار وأماليدها وثمار الجوز أو البندق والنباتات العشبية، وحتى على التبن والقش والحشيش المجفف، ويرعى الأيل الأسمر في أحوال كثيرة مع المواشي المستأنسة الأخرى.

الأيل الأذاني (الأيل البغلي)

Mule Deer (Odocoileus Hemionus)

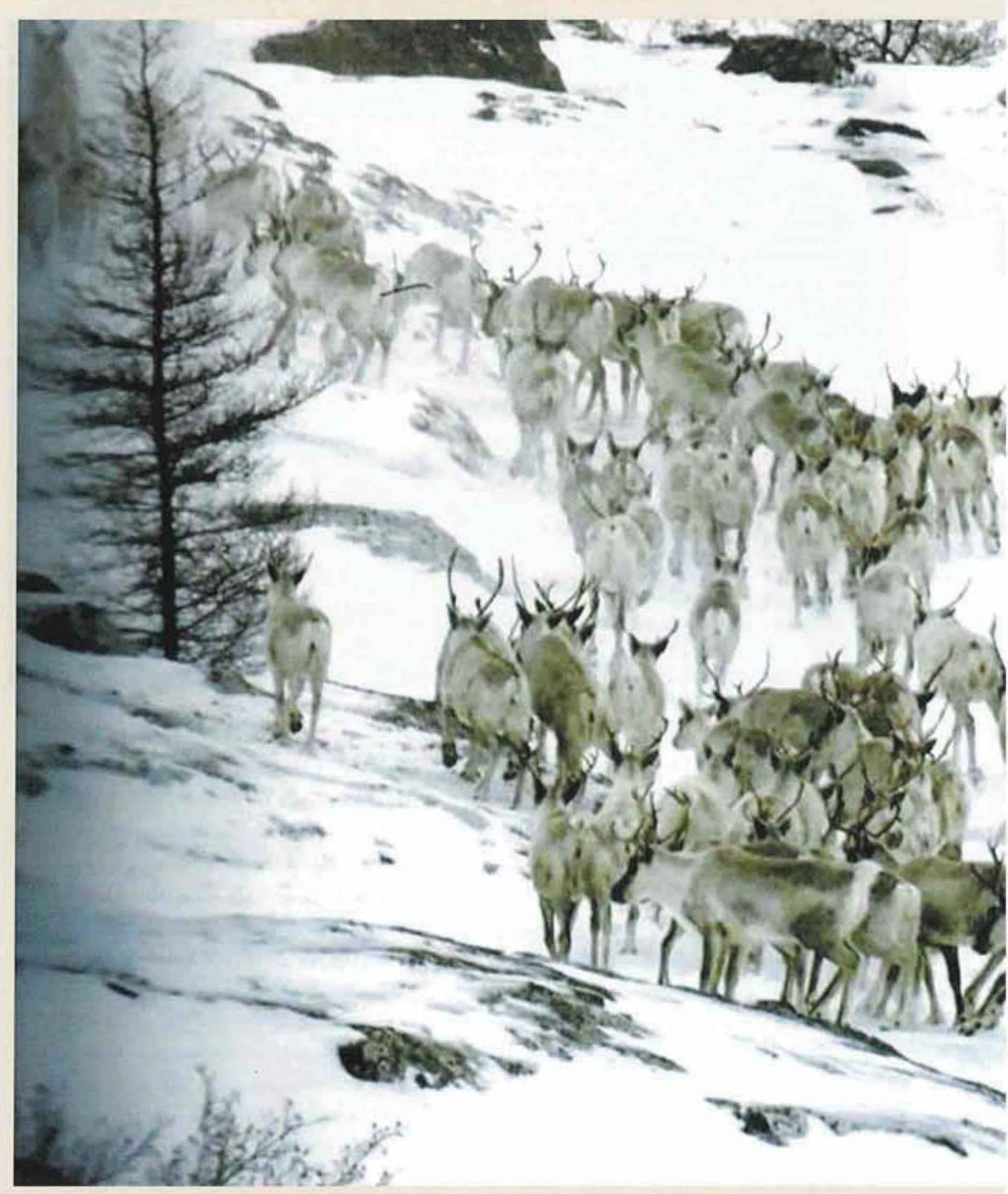
وهو أيل كبير ضخم يوجد في الولايات المتحدة الغربية وكندا، ويمتلك آذاناً كبيرة كتلك الآذان التي يمتلكها البغل، ولهذا السبب سمي بهذا الاسم، وتكون القطعان الطوّافة لهذا الأيل - في أحوال كثيرة - كبيرة تماماً. ويمكن أن يُميَّز هذا الأيل من الأيل ذي الذنب الأبيض وذلك عن طريق ملاحظة اللون الأسود على ذنبه والرقعة الكبيرة الضاربة إلى البياض في كفله، كما أن قرون هذا الأيل متفرعة ومتشعبة على نحو مُميَّز، وبطريقة غريبة. ويمكن أن تزن الذكور الكبيرة (الضخمة) أكثر من ٢٠٠ باوند، ونادراً ما تكون الإناث أصغر من الذكور.

وهناك ضرب من الأيل البغلي يتواجد على الساحل الغربي للولايات المتحدة وهو أصغر بكثير من الوزن المذكور آنفاً، كما أن هذه الأنواع من الحيوانات لها رقعة سوداء على أذنابها.

الأيل الأبيض الذّيل

White-Tailed Deer (Odocoileus irginianus)

يوجد في شرق الولايات المتحدة ووسطها وجنوب كندا، وباتجاه الجنوب نحو جنوب أمريكا ووسطها. ويزن الواحد من هذه الأيائل عادة أقل من ٢٠٠ باوند، مع أن بعض أفراد هذه الحيوانات المعدة لأغراض التربية تزن ما يقارب الـ ٣٠٠ باوند أو أكثر من ذلك. ويكون الجانب السفلي من ذيل هذا الأيل أبيض ثلجياً كما أن للجزء الأعلى منه تخطيطاً أو تقليماً واضحاً (عريضاً) بلون رمادي أو أسمر (بني) أسفل وسطه (تحت مركز الذيل)، وله حواف أو جوانب باللون الأبيض. والشيء الغريب الذي يميز هذا النوع من الأيَل أنه عندما يتنشط أو يُنبَّه أو يحذر من غارة



قطيع من أيائل الرنة Caribou, or Reindeer



أيل الرنَّة - آلاسكا Caribou, or Reindeer

أو هجـوم قـريب منـه، فـإنه (أي الأيل ذو الـذيل الأبيض) يُبقي ذيله منتـصبًا قائمًا، وهكذا فـإن اللون الأبيض على ذيله يظهر مثل العلم أو الراية. كذلك فإن ما يُميز هذا الأيل أن قرونه تنحني نحو الأمام.

وعـمومًا يوجـد هذا الأيل في الغابات المفتـوحة الحـرة وعلى طول حدود الغابات أو الأحْراج. وفي بعض المناطق اصطيـد هذا الحيوان علـى نحو كثـيف وشديد إلـى أن أبيد بشكل كـبيـر وأفنيت قطعـانه، ومع كل هذا فـإنه أدخل من جـديد إلـى المناطق الغـابيـة، وحـمي تمامًـا مـن قنص الصـيادين وفقًا لقوانـين صـارمة أصـدرت بصدده .وبـعد فترة مـن تطبيق قانون منع صيـد هذا الأيل، وبعد زمن من حمايته، فإنه في الوقت الحـاضر يوجد بأعداد غزيرة جدًا، وأصـبح وافـرًا في كل مكان، ولهـذا فـقد أجـازت القـوانين صيده وطرده من جـديد ورخص لكل إنسان يريد اصطياد هذا الحيوان الجميل.

أيَل الجزيرة المُنْخفضة

Key Deer (Odocoileus Virginianus Clavium)

وهو أيل قزم أبيض الذيل يوجد فقط فـوق الجزر البعيدة عن قـمـة فلوريدا. ويزن هـذا الحـيـوان أقل من ٥٠ باوندًا، وبعض هذه الأيائل يكون ارتفـاعـها قـدمين اثنتين فـقط من عند أكتافها.

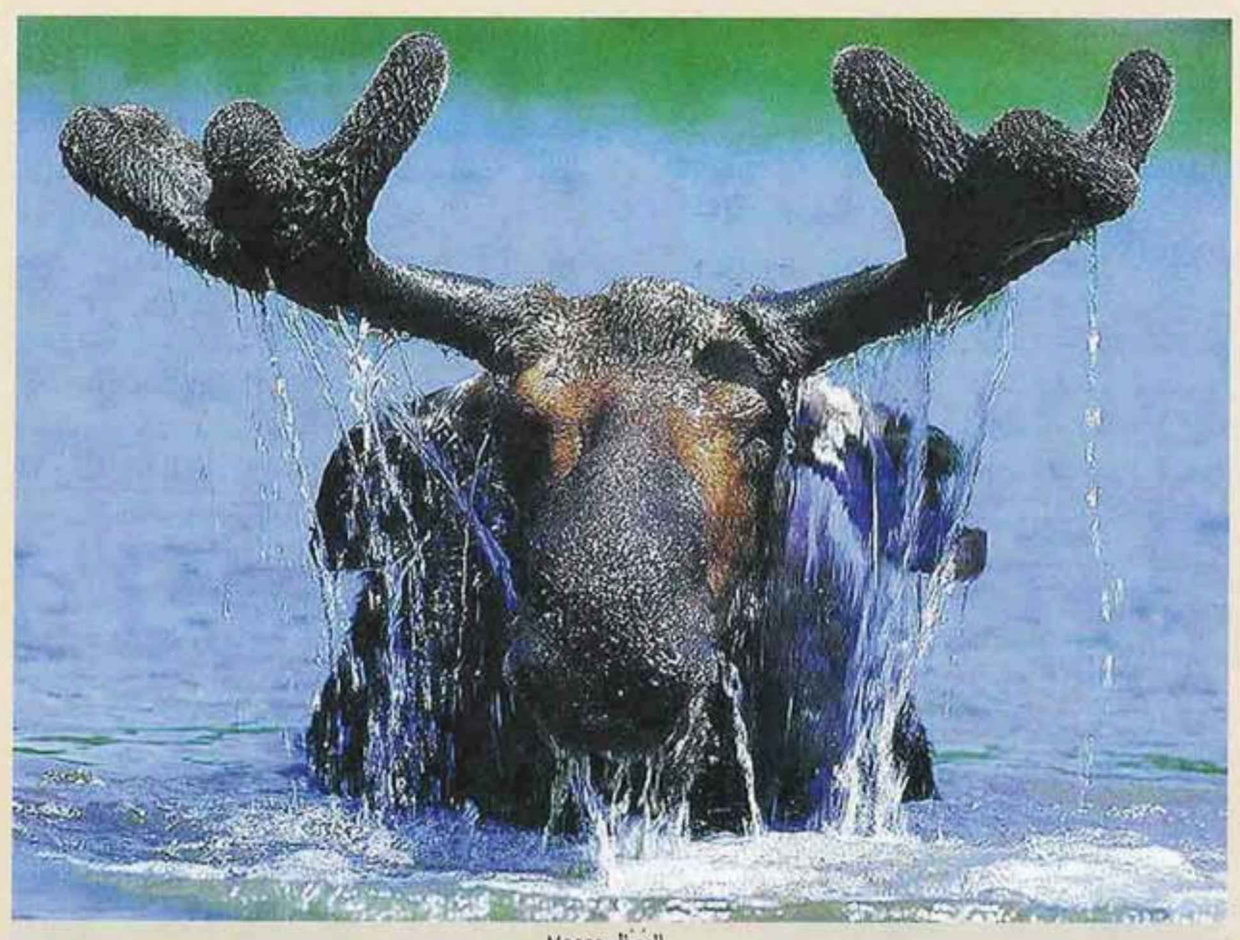
أيَل كوويز

Coues Deer (Odocoileus Virginianus Couesi)

ويوجد في الولايات المتحدة الجنوبية الغربية، ووسط مكسيكو، وهو الآخر أيل قزم صغير نسبيًا ذنبه أبيض.

أيَل المسْك Musk Deer (Moschus Moschiferus)

وهو العضو الأكثـر نُدرة في فصيلة الأيائل Deer Fami-ly. ويعيش هذا الأيل الصـغير بـلا قرون في الغابات العـالية وسط وشرق آسيا. ولذكور هذا الحـيوان أنياب طويلة تشـبه الخنجـر يستـخـدمهـا الحيـوان ذاته للدفـاع عن نفسـه لأنه لا



الموْظ Moose

يمتلك قروناً، ولهذا تعد هذه الأنياب سلاحاً وقائياً عندما يحس الحيوان بالخطر. وتمتلك الذكور أيضاً غدد طيب أو مسك (قدّ الغدة تقريباً بحجم البرتقالة) تحت جلد البطن تماماً. ويستخدم المسك الفعال القوي المستخرج من هذه الغدد العطرية كأساس للكثير من العطور والطيب.

الأيلُ الفأري (فصيلة تراغيوليدي)
Deer (Tragulidea Family)

ويسمى هذا الأيل أيضاً بشفروتين Chevrotains، وهو ليس بأيل كما يقال، لكنه يتصل بقربى إلى حد بعيد بفصيلة الأيل. أما قدُّ هذا الأيل فصغير، ولهذا لُقب بالأيل الفأري، وهو يزن عادة أقل من ٣٥ باونداً. أما الحجم الكلي لهذا الحيوان فلا يكون أكبر كثيراً من الأرنب. وتمتلك ذكور هذا الأيل أنياباً علوية طويلة، ويعيش الأيل الفأري عموماً في ضرب من المواطن والأماكن بدءاً من الجبال العالية إلى الأراضي المنخفضة في الهند والملايا وسومطرة وجاوا وبورنيُو. أما الأيائل الفأرية المائية Water Chevrotains (Hyemoschus Aquaticus) فتوجد في الغابات الاستوائية لغرب إفريقية ووسطها، وهي حيوانات سباحات من الطراز الأول، وتقفز نحو الماء عندما تشعر بالخوف والرعب هرباً من بطش الأعداء من الحيوانات والبشر. وعلى الرغم من أن أنواع الأيائل الفأرية معروفة من قبل الناس إلاّ أنها نادراً ما تشاهد، فهي من الحيوانات الحيِية الخجولة الليلية التي تختبئ دائماً، ولا يعرف عن طباعها وسلوكها إلا القليل، ويُقال: إن الضروب الإفريقية تتسلق شجرة منحدرة لتأخذ حماماً شمسياً أو لتهرب من الضواري، وتدوم فترة حمل إناث هذا النوع من الأيائل ١٥٠ يوماً يولد بعدها صغير واحد أو توأم. وأخيراً يمكن أن نذكر أن ضروب الأيائل الفأرية صلة وصل بين المجترات ذات المعدة الرباعية الأقسام والمزدوجة ذات المعدة غير المجترة التي لها معدة ثلاثية الأقسام.

بعض مميزات الأيائل وطباعها الأخرى

يمكن القول: إن الأيائل تنفرد بمزايا وطباع عن غيرها من الحيوانات الأخرى، فإلى جانب ما ذكرناه في المقدمة عن سلوكها وحياتها، فهي، كمعظم أصناف البقر الوحشي، من الحيوانات الرشيقة الجميلة التي تركض بسرعة، لكنها تتفاوت في سرعاتها وفقًا لأنواعها، وبحسب الموقف الذي تكون فيه في مكان عيشها. والأيل يمكن أن يعيش منفردًا أو في قطعان من الذكور خلال الربيع والصيف، أما في الخريف فتصبح قرون الأيايل عديمة الخملات، ويتوردُ إهابها، وتُنشئ إذ ذاك أقاليم تجمع فيه حريمها، وتأتي الدورة النَّزْوية (النَزَاء) Rut في هذا الوقت بالذات، وتُصدر الأيائل نفخة قوية عميقة لتنشئ الأقاليم وتجذب الإناث، وتحدث غالبًا معارك عدوانية شرسة بين الأيائل الخصوم، ويمكن سماع طقطقة القرون من مسافة كبيرة. وإذا حصل حمل هذه الإناث واستمر بشكل طبيعي فإن ولادة هذه الإناث تكون في أيار/مايو، أو حزيران/يونيو التالي، ويكون المولود الوحيد مرقطًا. أما فترة حمله فتبلغ ٢٥٠ يومًا، وقد تتفاوت مدة الحمل بحسب نوع الأيل فتطول أو تقصر.

ضروب الأيائل الأخرى

هناك أنواع أخرى من الحيوانات تدخل في فصيلة الأيائل ومن هذه الأنواع الحيوانات الآتية:

الرَّنَّة Caribou, or Reindeer
(Rangifer Tarandus)

هي أيل بري ضخم يزن أكثر من ٣٠٠ باوند من نصف الكرة الشمالي. وتعرف هذه الحيوانات محليًا في شمال أوربا وسيبيريا عادة بالرنة، وقد استؤنست وصارت حيوانات أليفة أهلية. أما في أمريكا الشمالية فتسمى بكاريبو Caribou. وتمتلك ذكور الكاريبو والرنة وإناثها على حد سواء قرونًا، مع أن قرون الإناث تكون أصغر على نحو طفيف. وعمومًا فإن هذه الحيوانات هي حيوانات أنيسة مخالطة على نحو شديد، وتنتقل على شكل قطعان كبيرة، وقد تتحرك وتهاجر مئات الأميال. وفي أراضي التُّنْدرَة القُطبية الشمالية العديمة الأشجار حيث تعيش حيوانات الكاريبو والرنة، فإن المصدر الوحيد للغذاء خلال فترة الشتاء هو الأُشْنة المسماة بطُحْلُب الرَّنَّة، ولكي تحصل هذه الكائنات على هذه الأشنيات فإنها



الإلكة الأوربية European Elk



أيل كوويز Coues Deer

تستخدم أظلافها الحادة لكي تكسر الجليد وتخترق الثلج.

وتأكل هذه الحيوانات أيضاً النباتات العشبية والكلأ والبَرْدِي (السُعَادَى) وأوراق نباتات الصَفْصَاف والبَتُولا. ومن جهة ثانية فإن أكثر ما يُعذِّب قطعان الرنة هو قلة الغذاء ونقصه والطاعون والمرض والحشرات، كما أن هذه الحيوانات تُهاجم من الذئاب، وتُطرد من شعوب الأسكيمو، وتتعرض للاصطياد دائماً. كذلك يستخدم الناس هذه الحيوانات لجر مركبات الجليد (عربات الجليد) وينتفعون من ألبانها ولحومها وجلودها من أجل اللباس.

المُوْظ Moose (Alces Spp.)

وهو حيوان أكبر وأضخم من الأيل، وقد يزن تقريباً نصف طن أو أكثر من ذلك. وبشكل عام فإن حيوانات الموظ هي من كائنات المناطق الشمالية، وتألف العيش في المناطق السبخة أو المستنقعية وغابات التَنُّوب والبيسية المجاورة لها. وتتغذى عادة على أوراق النباتات ولحاء أشجار الصنوبريات، والأشجار ذات الأوراق العريضة على السواء، كما تتغذى على النباتات المائية أيضاً. ولأن عنق الموظ قصير جداً فإنه يمكن أن يرعى الأعشاب والنباتات والشُجيرات الخفيضة فقط وهو جاثٍ أو راكع. وتطرح ذكور الموظ قرونها المسطحة الضخمة كلّ عام، أما الإناث فلا تمتلك قروناً. ولعل أهم ما يميز حيوانات الموظ وجود سدْلة جلد كالجرس أو الناقوس تتدلى تحت حُلوقها أو حناجرها. وإناث الموظ ـ من جانب ثانٍ ـ تضع مولوداً واحداً أو مولودين نادراً في أواخر فصل الربيع، ويبقى المولود الصغير مع أمه سنة واحدة تقريباً ترعاه خلالها إلى أن يتمكن من العيش بمفرده.

الإلكة الأوربية European Elk

وهو حيوان من جنس الأيل، ويشابه الموظ في مظهره الخارجي وهيئته وعاداته وسلوكه، وحتى في تركيبه الجسماني. ويُعد الإلكة أكبر الأيائل الموجودة في أوربا وآسيا.

أخيراً هذا ما أحببنا أن نذكره لك ـ عزيزي القارئ ـ عن الأيل وضروبه وعن حياته وطباعه وصفاته وطرائق معيشته، وختاماً ألا يستحق هذا الحيوان الأليف الجميل الرشيق منا كل الرعاية والعناية والاهتمام، سؤال نوجهه للمهتمين بتربية الحيوان في بلادنا العربية والإسلامية، ونأمل أن يلقى آذاناً صاغية.

المراجع

1 - The Hamlyn Children,s Animal World Encyclopedia in Colour. Thirteenth Impression, The Hamlyn Publishing Group Limited. London... etc. 1981.

2 - Bouchner, M: A Field Guide in Colour to Animal Tracks and Traces. First Published, Octopus Books Limited. London, Artia Praque, Czechoslovakia, 1982.

٣. الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقه ـ حيوانه الصائد والمصيد، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ دار النفائس ـ بيروت، ص (٢٠٣ ـ ٢٠٥)، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، الجزء الرابع، الطبعة الثامنة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البامي الحلبي وأولاده بمصر، مصر، ١٣٨٥، ١٩٦٨.

٥. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، الجزء السابع، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مصر، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

٦. موسوعة الحيوان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ مؤسسة جوزيف، د. الرعيدي للطباعة والنشر ـ بيروت، لبنان، ص (٢٩٤ ـ ٢٩٧)، بلا تاريخ.

٧. كمال الدين محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، الجزء الأول، دار الألباب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ دمشق، ص (١٣٣ ـ ١٣٥)، بلا تاريخ.

٨. معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية (إنجليزي ـ عربي) مع مسرد عربي ـ إنجليزي، إعداد: أحمد شفيق الخطيب، نواة المادة العربية في المعجم هي من وضع وتحقيق الأمير مصطفى الشهابي، الطبعة الثانية ـ مكتبة لبنان، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٢م.

٩. منير البعلبكي، المورد (قاموس إنجليزي ـ عربي) ـ الطبعة التاسعة عشرة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان، ١٩٨٥م.



إلى الطفلة هديل

محمد بن عبدالله الهويمل
الرياض. السعودية

إنّي أتيتك يا «هديلُ» فلم أجد ... لي موضعًا في زحمة العشّاق
حجبوك عنّي.. ما ظفرتُ بقبلةٍ ... ورحلتُ عنكِ ولم أفز بعناقِ
ظهري غدا مُحدودبًا إذ إنّني ... حمّلته بعضًا من الأشواقِ
ودموعُ أحداقي تَصبُّ جوانحي ... فكأنّ جسمي سالَ من أحداقي
قالوا بأنّك واحةٌ فأتيتُها ... وعلى شواطئها أنختُ نياقي
وبأنّ خدّك جمرةٌ مشبوبةٌ ... كادتْ تُصيبُ الرّمشَ بالإحراقِ
والكنزُ في فمها يزيدُ بريقُه ... حتّى أثار مطامعَ السُّرّاقِ
أخرجْتِ من رئة الربيع كنسمةٍ ... فجَريّة تنداحُ في الآفاقِ؟
أقطفتِ من ضلعِ ابنِ آدم ثمْرةً ... وحُملتِ للدُّنيا على أطباقِ؟
وألذُّ من تفاحةِ الأغصانِ تُف ... فاحُ نمّا.. لكنْ على الأعناقِ
غصبتْ من الأعوام كلَّ جمالِها ... ظلمًا ولمْ تتركْ لهنّ بواقي
سكنَ الربيعُ بخدّها وكأنّما ... ثلجُ الشتا في ثغرها البرّاقِ
وكأنّ دفءَ الصيفِ في أحضانِها ... و أزاهرًا ذهبيّةَ الأطواقِ
وكأنّما يأتي الخريفُ إذا بكتْ ... فدموعُها كتساقُطِ الأوراقِ
أ «هديلُ» يا عزفَ الحمامةِ في الضُّحى ... غنّي على قيثارةِ الإشراقِ
غنّي «الوداعَ».. فقد أتيتُ ولم أجدْ ... لي موضعًا في زحمةِ العشاقِ



ماذا عن دمي؟

عبدالهادي الشهري
جدة. السعودية



كنت اشتهيتك بالمدينة
مرةً
وعشقتني يوماً
بقارعةِ الطريقْ
كنّا التحمْنا بالصدورِ
وبالتَّرائبِ..
واشْتَبكْنا القَيْظَ في عين النّهارِ
فسلْتِ ماءً في العروقْ
وغفوْتِ..!
- ماذا عن دَمي؟
• قد كان يلهثُ
- والشوارعُ؟
• في خُطا الأسفَلْتِ تَقْفو
- والبيوتُ؟
• تنامُ تحت سقوفها القرْميد.
والشمس المعتّقة الرَّحيقْ
- والبحرُ؟!
• أسلَمهُ إلى الرّملِ
المَضيقْ..

•••

وفاء على العهد

ابن زيدون°

بنتم وبنّا، فـمـا ابتلّت جـوانحنا
شـوقًـا إليكم ولا جـفّت مـآقـينا

نكاد حين تناجـيكم ضـمـائرنا
يقـضي علينا الأسى لولا تأسّـينا

حـالت لفـقـدكـمـو أيامُنا فـغـدت
سـودًا، وكـانت بكم بيـضًـا ليـالينا

إذ جـانبُ العـيشِ طلْقٌ من تألفنا
ومـوردُ اللهـو صـافٍ من تصـافـينا

وإذ هصـرْنا فنونَ الوصل دانيـة
قطافـهـا، فـجَنَيْنا منه مـا شـينا(١)

ليُسقَ عـهدُكمو، عهدُ السرورِ، فما
كـنتم لأرواحنـا إلا ريـاحـينـا

لا تحـسـبـوا نَأيَكُمْ عنّا يُغـيِّـرنا
إن طالما غـيَّـرَ النأيُ المحـبـينا

والله مـا طلبتْ أهواؤنـا بدلاً
منكم، ولا انصـرفتْ عنكم أمـانينا

ولا اسـتـفـدْنا خليـلاً عنك يشـغلنا
ولا اتخـذْنا بديلاً منكِ يُسْـلِينا

يا ساريَ البرقِ غادِ القَصْرَ واسقِ به
من كان صِرفَ الهوى والودَّ يسقينا(٢)

واسـألْ هنالك هل عَنَّى تذكُّـرنا
إلفًـا تذكُّـرُهُ أمـسى يُعنِّينا(٣)

ويا نسـيمَ الصَّـبـا بلِّغ تحـيـتَنا
مَنْ لو على البعدِ حَيًّا كـان يحـيينا

فـهل أرى الدهرَ يقـضينا مسـاعـفـةً
منـه، وإن لم يكن غِـبًّـا تقـاضـينا(٤)



الهوامش

° هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب المخزومي الأندلسي. وزير كاتب شاعر من أهل قرطبة هام بحب ولادة بنت المستكفي، وخلّدها في قصائده. كان يلقب بـ «بحتري الأندلس». له ديوان شعر مطبوع ورسائل نثرية.

١. هصرنا: جذبنا وأملنا.

٢ ـ غاد القصر: اسقه وأمطره غدوة (أول النهار). صرف الهوى: خالص الهوى.

٣ ـ عنّى: أهمّ وأضنى.

٤ ـ الغِبّ: الزيارة بعد أيام (المتقطعة).

ما يلزم صبرة

الصامت يوسف السويسي
الروحية - تونس

باع العباءة والبرنس ومحصول حب الصنوبر ثم الأتان فجحشها وكل الأرانب والديك والدجاجات واشترى تباعاً أكياس العلف للقطيع، ثم قلب بصره فما أعلن فيها الرعد دوياً ولا السحاب غيمة فنكس رأسه إلى الأرض فألفاها عطشى وأجابته لا شيء فوقها ولا شيء تحتها جرداء كجلد الطبل فعوذل وطلب اللطف والستر ثم زفر فحشرج منه الصدر غير أن القطيع أحاطه ثاغياً متوسلاً أن مدني بحفنة شعير، لقد جف الضرع والسنة لاحسة حالقة حراق لصقنا فيها بالتراب فما أصبنا.

وأحاطت النعاج بالرجل وأصبح الثغاء في قراره على لوعة النواح ورتابة النحيب فلعن المكان والزمان وتعجب من انقلاب الحال وتساءل: أويعمينا العجاج في عز الشتاء ويهجرنا الغيث في فصل الغيث! لم تترك له الحيوانات وقتاً أكثر للشرود أو الذهول، بل زادت حوله التفافاً واستجداء، فاندفع داخل الكوخ وأخرج لها آخر كيس شعير، وصبه في المعالف مردداً: لم يبق غير رأسي فكليه يا معيز ويا نعاج الهم، ثم التفت إلى شبه حبل بقي على المحراث منذ أعوام الخير فانتزعه، وأسرع إلى تيس فلفه حول رقبته، والتفت إلى الكوخ ليرى زوجته وقد أقعت حذو مدخله تنشد دفئاً وعليها صفرة النفساء وبها هزال أتى على خصرها، فما قدرت خيوط حزامها على الاستقرار، وانخرمت كل عقده. إنها تخطت العتبة اليوم وبعد تقلب على حصيرها البالي دام أسبوعين وآلام الوضع مازالت تعاودها من حين إلى حين، والحزن على الوليد الذي ما إن رأى النور حتى بات في المقبرة مازال يمزق كل كيانها، يطوف ويطوف ثم يعود إلى القلب أين يستقر.

وقع بصره عليها فهل وفرح وحمد الله على سلامتها والتيس يتبعه في عنت، ثم جثا أمامها وقال: لا تيأسي، إنه حكم الله والله وحده المعطي وسيرزقنا أطفالاً آخرين، لا تيأسي سأبيع التيس هذا المساء لجزاري القرية، وأعود لك وللقطيع بالقوت وحتى التمر وزيت الزيتون، نعم التمر يا صبرة، وترقب منها انفراجاً في الأسارير أو رقة على الشفاه فما قابلته بغير صمت مقيت وشحوب في الوجه وزيغ في البصر لا ينبئ لا بالرفض ولا بالإيجاب. فأعاد عليها الحكاية نفسها، وأضاف للتمر شاياً وسكراً، وترقب فما أنبأ



اللسان وما أشارت اليد وما عاد العقل غير أن العين همت فأرسلت على أطلال خد ذاو دمعتين، فعج في الرجل كل حس وشعور وهرول والتيس خلفه حتى اختفى بين الوهاد. وصل السوق فباع واشترى وعمد إلى الجبل عائداً فما إن أشرف على كوخه حتى اعترضه القوم. كان يسرع إليهم وهم على دبيب النمل نحوه فما إن التقاهم حتى بادره كبيرهم:

- لقد تأخرت كثيراً هل أتيت بما يلزم صبرة؟

- قال: الشعير مفقود، وقد يأتي الشعير إلى القرية غداً!

- فأعاد الشيخ: هل أتيت بما يلزم صبرة؟

قال: نعم أتيت لها بحناء لكعيبيها، وعطر وسواك لثغرها، وتمر وشاي وسكر.. أتيت لها بكحل لجفنيها.. أتيت لها بمغزل له قرص أخضر لون الجنة ومراعي الجبال لتغزل صوف الشياه. أتيت لها بعقد من الودع اتقاء العين.

وبصوت هدجته الأيام، وأخنى عليه الدهر أعاد الشيخ: هل أتيت بما يلزم صبرة؟ هل أتيت بالكفن والإبرة والخيط؟

فانهد الرجل على الأرض ونزع المخلاة من عنقه، ودفع بها إلى فتى كان حذوه قائلاً: بها بقية مال، أسرع بني إلى القرية فهات كفنين إن جسمي منه بدأت الروح تنز نزاً.. هات كفنين!... كف...! وما أكمل إذ أغمضه الشيخ وغربه. وقال للفتى: أسرع هات كفنين، وأردف للقوم أعدوا محملين ورمسين متجاورين.

الذي جاء لينقذني

بير خيليو بينييرا

ترجمة: محمد القاضي

طنجة - المغرب

صاحبني دائماً خوف كبير لأنني لم أكن أعرف متى سأموت، زوجتي كانت تؤكد أن الذنب ذنب أبي، كانت أمي تحتضر فأجلسني بجانبها، وأرغمني على تقبيلها. في تلك الفترة كان عمري عشر سنوات وكلنا يعرف أن وجود الموت يترك أثراً عميقاً في الأطفال.

أنا لا أقول: إن التأكيد خاطئ، غير أن حالتي كانت تختلف، وما تجهله زوجتي هو أنني رأيت رجلاً يُعدم، ورأيته بمحض المصادفة، إعداماً شاذاً، رجلان ينصبان فخاً لرجل آخر في مرحاض إحدى القاعات السينمائية ثم يذبحانه. كيف؟ كنت في المرحاض أتغوط، ولم يستطيعا رؤيتي، كانا في المكان الخاص بالبول، كنت أتغوط مطمئناً، وفجأة سمعت: «ولكنكما ستقتلانني..» نظرت من خلال فرجة وحينئذ رأيت موسى تقطع عنقاً. سمعت صراخاً، دماً يفور، أقداماً تبتعد بأقصى سرعة، عندما وصل رجال الشرطة إلى مكان الحادث وجدوني مغمى علي، شبه ميت، بذلك الذي يسمونه صدمة عصبية. قضيت شهراً كاملاً بين الحياة والموت.

طيب، لا يجب أن تفكروا أنني بعد ذلك كنتُ أخاف أن أموت مذبوحاً، حسناً، تستطيعون أن تفكروا ذلك، لكم الحق في أن تفعلوا. إذا رأى أحد رجلاً يذبح فمن الطبيعي أن يفكر أن الشيء نفسه يمكن أن يحدث له أيضاً، ولكن من الطبيعي كذلك أن يفكر أن الزمن لن يترك المصادفة الملعونة تختاره هو لكي يكون من حظه المصير نفسه الذي كان للرجل الذي ذُبح في مرحاض القاعة السينمائية.

لا، لم يكن ذلك هو الخوف الذي كنت أحس به، إن الخوف الذي استولى علي في اللحظة التي كان يذبح فيها ذلك الشخص بالضبط، يمكن أن يعبر عنه بهذه الجملة: متى ستكون الساعة؟ لنتخيل شيخاً في الثمانين من عمره، مستعداً لمواجهة الموت، أعتقد أن تفكيره لن ينصب في هذه الأسئلة: سيحدث ذلك هذه الليلة؟.. سيحدث غداً؟. سيحدث في الثالثة من فجر بعد غد؟ سيحدث الآن في هذه اللحظة بالذات التي أفكر فيها أن ذلك سيحدث بعد غد في الساعة الثالثة صباحاً. بما أنه يعرف ويحس أنه لم يبق له في الحياة سوى مدة قصيرة جداً، يظن أن تقديراته حول ساعة الهلاك ليست بعيدة عن الدقة، ولكن في الوقت نفسه، عجزه عن تحديد اللحظة يعود بتلك التقديرات إلى الصفر، على عكس الشخص الذي اغتيل في المرحاض، فقد عرف هكذا فجأة، متى ستكون ساعته في اللحظة التي لفظ: «ولكنكما ستقتلانني» كان قد عرف أن ساعته قد حانت، بين صيحته اليائسة واليد التي كانت تحرك الموسى لتقطع عنقه، عرف بالضبط الدقيقة التي سيموت فيها. أي إنه إذا كانت الصيحة قد حدثت، مثلاً في الساعة التاسعة وأربع دقائق وخمس ثوان ليلاً، والذبح في التاسعة وأربع دقائق وثماني ثوان ، فسيكون قد عرف بالضبط ساعة موته بتسبيق ثلاث ثوان. وعلى العكس، فأنا الراقد هنا في الفراش، الوحيد (زوجتي ماتت في السنة الماضية، ومن جهة أخرى لا أدري كيف كان يمكن للمسكينة أن تساعدني فيما يتعلق بساعة موتي)، فإنني قد تعبت من كثرة التفكير، وكما هو معلوم أن المرء عندما يصل إلى التسعين من عمره (وهذا هو سنّي) يصبح كالمسافر، لا يفكر سوى في الساعة، مع فارق وهو أن المسافر يعرفها أما هو فيجهلها، ولكن يجب ألاّ نسبق الأحداث.

لما وقعت حادثة الشخص الذي ذبح في المرحاض، كانت سنّي عشرين سنة تقريباً، وهي مرحلة مملوءة بالحياة، كما أنها كانت تبدو أمامي كأنها أبدية، كل هذا محا بسرعة تلك اللوحة الدموية وذلك السؤال الضايق.

عندما يكون المرء مملوءاً بالحياة لا يفكر في شيء آخر سوى أن يعيش ويتمتع، يحس بأنه يعيش فيقول: إني أتمتع بصحة جيدة.

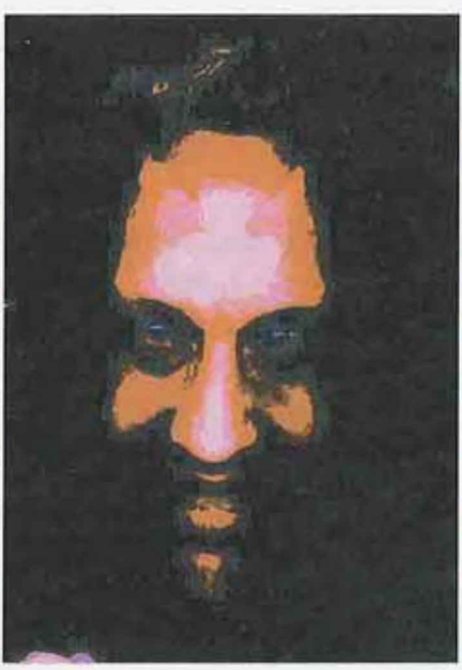
حقاً قادر على أكل ثور بكامله.. وأن أعمل دون كلل عشرين ساعة متتابعة!! وحينئذ لا يمكن للمرء أن يعرف ما معنى الموت، وما معنى أن يموت؟ ولكن بمجرد ما بلغت الخمسين، بدأت أكتشف معنى أن أكون شيخاً، وبدأت أفكر أيضاً في قضية الساعة.

حقاً كنت مازلت حياً، ولكن في الوقت نفسه، كنت قد بدأت أموت، وكان فضول مرضي يضع أمامي اللحظة المهلكة. بما أنني كنت سأموت، كنت أريد على الأقل أن أعرف في أية لحظة سيأتي موتي. كما أعرف مثلاً اللحظة التي أغسل فيها أسناني. وكلما كنت أزداد شيخوخة كانت هذه الفكرة تزداد سيطرة على عقلي حتى بلغت إلى ما نسميه التثبيت. وأنا في السبعين سافرت بكيفية غير منتظرة ولأول مرة بالطائرة. توصلت ببرقية من زوجة أخي الوحيد تعلن فيها بأنه يحتضر. استقلتني إذاً الطائرة، وبعد ساعتين من الطيران ردؤ الجو، وكانت الطائرة كريشة وسط العاصفة، وأصبحت الطائرة مهددة بالسقوط: المسافرون يسيطر عليهم الخوف، المضيفات يذهبن ويجئن، الأشياء تتساقط فوق أرضية الطائرة، صراخ النساء والأطفال مختلط بالبكاء والأصوات، وفي الأخير تلك لحظة موت على ارتفاع أربعة آلاف قدم. شكراً لله - قلت لنفسي - شكراً لله على أنني لأول مرة أقترب من دقة معينة فيما يتعلق بلحظة موتي. على الأقل في هذه الطائرة التي يخيم عليها خطر الاصطدام، أستطيع أن أبدأ في تقديراتي حول اللحظة عشر دقائق، خمس عشرة دقيقة، ثمان وثلاثون دقيقة، لا يهم، إنني قريب، وأنت أيها الموت لن تحقق مفاجأتي. أعترف بأنني استمتعت بوحشية.

ولم يخطر ببالي في أية لحظة أن أستعرض حياتي أو أندم وأتوب أو على الأقل أقوم بتلك الوظيفة الفسيولوجية التي هي التقيؤ.

لا، فقط كنت منتبهاً، أنتظر سقوط الطائرة الوشيك، لكي أعرف، في أثناء الاصطدام أن تلك هي لحظة موتي...

لما مضى الخطر، قالت لي إحدى المسافرات: «كنت أراقبك عندما كنا على وشك السقوط، ولكنك بقيت هادئاً، وكأن شيئاً لم يحدث» ابتسمت، لم أرد عليها، كان الخوف لا يزال منعكساً على وجهها. كانت المسكينة تجهل كربي الذي تحول للمرة الوحيدة في حياتي، وعلى أربعة آلاف قدم، إلى حالة يمكن أن تقارن بالتي يحظى بها أكثر القديسين المنعوتين في الكنيسة. ولكننا لا نجد أنفسنا كل يوم على ارتفاع أربعة آلاف قدم، وعلى متن طائرة مهددة بالسقوط من طرف العاصفة. الفردوس الوحيد الذي لمحت في حياتي الطويلة. بل العكس، كل واحد منا يعيش في الجحيم الذي يبنيه لنفسه: جدرانه أفكار، سقفه رعب، ونوافذه هوى... وبالداخل كل واحد منا يتجمد في النيران البطيئة، أعني يفقد حياته شيئاً فشيئاً وسط اللهب الذي يتخذ أشكالاً غريبة: في أية ساعة؟ هل يوم الثلاثاء أم يوم السبت؟ في الخريف أم في الربيع؟ وأنا ازداد كل يوم تجمداً واحتراقاً تحولت إلى نموذج منته لمتحف مختص بغرائب الطبيعة، وفي الوقت نفسه أنا صورة حية لنقص التغذية: الشيء المؤكد عندي أن في عروقي لا يجري دم بل قيح يجب أن نروا ندوبي مقيحة، في لون أزرق رصاصي، وعظامي التي يظهر أنها أضفت على جسمي شكلاً آخر، عظام ردفي كالنهر فاضت، الترقوتان وقد خلتا من اللحم، صارتا تشبهان المراسي المعلقة في جانب باخرة. أما عظام قذالي فقد جعلت من رأسي جوزة هندية مفلطحة بفعل ضربة مطرقة ضخمة. ومع ذلك فما يحتويه رأسي مازال يفكر ويفكر في فكرته الثابتة الآن. في هذه اللحظة، وأنا في غرفتي، مستلق على الفراش. والموت من فوقي، الموت الذي يمكن أن تكون تلك الصورة لأبي الذي مات، أفكر أنها تنظر إلي وتقول: سأفاجئك، لن تعرف ذلك، إنك تراني ولكنك تجهل متى سأصوب لك الضربة. من جهتي أمعنت النظر أكثر في صورة أبي وقلت: لن يحدث ما تريد، أنا سأعرف اللحظة التي ستنقض فيها علي، وقبل أن تفعل سأصرخ، الآن!



ولن يبقى لك غير الاعتراف بأنك هزمت. وفي تلك اللحظة بالذات، تلك اللحظة التي اشتركت فيها الحقيقة بالوهم؛ سمعت خطوات جمعت بدورها بين الحقيقة والوهم. أزلت نظري عن الصورة، وبطريقة لا شعورية، نظرت إلى مرآة خزانة الملابس الموجودة أمام سريري، رأيت فيها انعكاس وجه رجل في سن الشباب، وجهه فقط لأن بقية الجسم كان يحول بينها وبين نظري حجاب كان موجوداً بين السرير والمرآة. ولكني لم أهتم بالرجل كثيراً. سيكون غير معقول ألا أهتم به ولو كنت في سن أخرى، أعني السن التي يكون فيها المرء حياً حقيقياً، والوجود غير المتوقع لغريب في غرفتنا، سيبعث فيه إحساساً يراوح بين المفاجأة والرعب. ولكن، في سني، وفي حالة الخمود التي كنت فيها لم يكن غريباً، ووجهه ما هو إلا جزء من الحقيقة. الوهم التي كنت أعاني منها. بمعنى أن ذلك الغريب ووجهه كانا إما شيئاً من الأشياء الكثيرة التي تعمر غرفتي، وإما شبحاً من الأشباح الكثيرة التي تعمر رأسي. وعليه فقد عدت بنظري إلى صورة أبي، وحين نظرت إلى المرآة ثانية كان وجه الغريب قد اختفى. عدت من جديد أنظر إلى الصورة فبدا كأن وجه أبي غاضب، أعني وجه أبي، لأنه وجهه، ولكن في الوقت نفسه بوجه لم يكن وجهه، بل كان ذلك الوجه طلي بالمساحيق لكي يمثل دور شخصية مأسوية. ولكن من يستطيع اكتشاف الحقيقة؟!

في ذلك التخم بين الحقيقة والوهم كل شيء ممكن، وما هو مهم أكثر، كل شيء يحدث ولا يحدث. حينئذ أغلقت عيني وبدأت أقول بصوت: الآن، الآن... وفجأة سمعت وقع أقدام بالقرب من ظهر السرير، فتحت عيني، كان الغريب هناك، قدامي، بجسمه الطويل جداً كأنه كيلو متر واحد. فكرت: با (BAH) نفس ما رأيت في المرآة، وعدت أنظر إلى صورة أبي. ولكن شيئاً كان يقول لي عليك بالنظر إلى الغريب، لم أعص صوتي الداخلي، ونظرت إليه كان يشهر موسى وقد بدأ يحني جسمه ببطء، بينما كان ينعم في بنظرة، حينئذ فهمت أن ذلك الغريب هو الذي جاء لكي ينقذني، عرفت بتسبيق عدة ثوان اللحظة التي سأموت فيها بالضبط، لما غرقت الموسى في أوداجي نظرت إلى الذي أنقذني، وبينما كان دمي يفور قلت له: شكراً لأنك جئت.

الهوامش

- ولد بينيرا في كارديناس (كوبا) عام ١٩١٢م ويعد من الكتاب المشهورين في أمريكا اللاتينية. درس في جامعة هافانا وحصل على الإجازة في الفلسفة والأدب. مارس الكتابة الأدبية بأنواعها: القصة والمسرح والشعر والنقد. كما عمل في الصحافة.
من أعماله الأدبية: «الغضب» صدرت في هافانا عام ١٩٤١م، و«لحم نبي» صدرت في بوينس أيريس عام ١٩٥٢م، و«حكايات باردة» عام ١٩٥٦م، وغيرها من الأعمال الأدبية الأخرى.
-- القصة المترجمة من كتاب بالأسبانية:
NARRATIVA CUBANA DELA REVOLUCION ALIANZA EDITORIAL/ PS.69 - 74



عبدالله محمد حسين
الرياض - السعودية

سمعت النبأ مقتضباً:

حريق في خيمة عرس. عدد كبير من الموتى والجرحى..

تجلدت بالصبر، لملمت شتات العزم. مهيئًا القلب لاندلاع الحزن، ثم اتصلت بصديق ممن أوتي قدراً أوفر من رباطة الجأش عند الملمات، فبادرني صوته واهنًا بالعزاء.

شممت في الصوت المشروخ رائحة احتراق الأجساد وهو ينبئني:

- مصاب جلل، كومضة برق تقوضت الخيمة على من بداخلها، انقلب العرس إلى مأتم.

ثم تكسر الصوت في حشرجة مرت عبرها بقية النبأ دون تفاصيل:

- الله في عون صديقك نزار.

وأغلقت السماعة مخلفة وراءها صمتًا أكثر وحشة من صمت القبور، ومهمة ثقيلة على القلب هي زيارة صديق العمر.

في المساء قادتني خطاي المتعثرة إلى منزل الصديق، كل ما بحوزتي بضع كلمات مرتجفات تحفظتها، نضدتها في جمل قصيرة مقتضبة عتادًا للمواجهة الأولى الصعبة.

كنت أخشى أن تخونني قدرتي أمامه، ويثقل لساني عندما يستقبلني بوجه خالٍ من ابتسامته المشتهاة فتفر مني تلك الكلمات، سأحرف عيوني عن وجهه إلى أن ينجلي عنه رماد الحريق، ويعاود احتراف صياغة الضحك التي يملأ بها مجالس الأصدقاء وعنابر مرضى القلب متصديًا لضجر وحزن الجميع بلا استثناء فيحيلها إلى حديقة للفرح. نبرات صوته اليوم تقطر حزنًا لا ينتمي إليه، أفرغ قدرًا منها في رده الواهن على التماسي:

- نزار أريد أن أراك.

- سأكون في البيت بعد التاسعة.

بعد التاسعة ارتجفت يداي وأنا أمد إصبعي إلى زر جرس بابه مترددًا، كأنني سألامس اتقاد جمرة: تأخر قليلاً، رحت أستعيد بعض توازني.. حزمت من جديد أمري. كيف سأدخل منزله خلسة دون أن تصافحني ابتسامته.. سمعت خطاه تقترب ثقيلة متباطئة كأنه غير راغب باقتحام ساحة أحزانه. انفرج الباب ليطل وجهه متغضنًا، لم تمتد إليّ عيونه، اكتفى بمد يده حارفًا إلى موطئ قدميه نظراته وهمس:

- من هنا؟ لا أحد في البيت.

كم هي جارحة «لا أحد في البيت»! أدخلني من باب النساء، الأحذية مبعثرة عند العتبة كأنها للتو لفظتها الأقدام. أجلسني في الصالة المعتمة، ثم دخل المطبخ ليحضر ما يضيّفني به، لا أحد سواه يقوم بهذه المهمة، لم تستقبله الزوجة بصينية الشاي والحلوى، أفردني مع وحشة لعب أطفاله المهملة، عاد وجلس بجواري. تجاسرت عند انشغاله بالرد على هاتفه واختلست نظرة مواربة إلى صفحة وجهه، لم يكن حليقًا. استقرت عيناي عند سوالفه التي فضضتها متاعب أربعين عامًا، ياله من طود شامخ! كم بحور من الشقاء والتعب خاضها! فهل يعبر هذه اللجة محافظًا على روحه المرحة؟ هنا تحفز سؤال أرجأته مرارًا: كيف تدير أحزانك؟

أخفيت عنه السؤال.. كم هو تافه الكلام أمام مصاب

بذلك القدر! تلبسني صمت القبور. أدرك بفطنته ما أعاني فيادر كعادته إلى هدم جدار الصمت، إنه لا يحتمل مجلساً لا ترفرف في سمائه النكات وتعربد فيه الضحكات. مجلسه دائماً مهرجان بهجة. مساءاتنا تتفتح بين يديه أحاديث وطرائف وليزيح الصمت قال بصوت واهن:

- إذا واجهتك مصيبة فأنت مجبر أن تواجهها.

من جديد استبد بنا الصمت فليس لدي ما أضيفه هل أقول له:

- دعنا نتقاسم الأحزان؟

ولأن الصمت هو الأقوى عند الفواجع عاد ليطبق علينا.. وتمادى، فرأيت فيه حقل النخل، وقد بعثت فيه الحياة فانجلت من أرجائه الوحشة، وفاض بأنس هجره منذ زمن، منذ وهنت عين «سـاداس»(١) ويبس ماؤها وتكسر، ثم ضاع في مجراه قبل أن يمتد خضرة وظلاً ويستوي سلال تين وليمون ورطب. وقد تحدر إليه من القرية رتل الأهل والأحباب ينساب حكايات وغناء احتشد بهم.. حددوا الموقع في فسحة بين النخيل، ثم شرعوا في نصب خيمة العرس، كان النخل مثلهم فرحاً سيفيض بالبهجة، وينضو عن سعفاته شحوب العطش والنسيان، ليلة الغد ستتمايل طرباً عندما تتسلقه أغنيات تنافس بهجتها أغنية فلاح انهمر بين كفيه وافر الثمر، فراح يجلي به عروسه عقود فل وعناقيد رطب.

نصبت الخيمة بإحكام. فالحضور صبايا وعذارى ونساء. بخور وعطور وغناء. وللنخل عيون زائغات، والليل مسكون؛ لذا استبد بالعقول هاجس الستر والأمان فشدت الخيمة بقوة الأوتاد، وأسدلت السدف، وسدت المنافذ بإتقان لم يبق للحياة إلا باب كسم الخياط، ثم مدت داخلها الأسلاك. علقت في السقف المصابيح ولمواجهة حر صيف شديد ورطوبة ينفثها الخليج، ولكي لا يسيل في العيون النُّجل كحلٌ، ولا يسيح على تفاح الخدود مكياج زرعت الخيمة بأجهزة للتكييف. في قلب الخيمة وضعت منصة العروس، حيث سينقش الحناء وكثفت حولها الأنوار.

أضيئت الخيمة فغدا الليل نهاراً، وبدأ تدشين



مشروع العرس زغاريد وغناء. تصاعدت خيوط دخان البخور بيضاء، طافت به أم العروس تستقبل به الضيوف، ثم أدارته قرب بطلة الحفل، كالبدر هي العروس في ثوب النشل المطرز بالقصب والزري، تطل على الحضور الكرام من المنصة فتجود على الجميع بابتسامة ساحرة رسمها على محياها الفرح بوقار، وقد أسلمت كفيها بحياء إلى من تخضبها نجوماً وأزهاراً، منتشية ببرودة الحناء الرطب فتسري رعشة من الكف إلى القلب، فيشط الخيال يتجاوز حمى الخيمة، ويعبر سياج النخل حتى يقترب من مجلس الزوج المكتظ بالرجال يقرؤون «المولد». ليلة الغد سيأخذها بين

ذراعيه بعد طويل انتظار، كيف سيكون؟ طويل الأناة ليقرأ تفاصيل نقش الحناء على الكف؟ أم سيكون متلهفاً نافد الصبر فيندفع في الحال إلى الثغر والصدر.

أعادها إلى خيمة الفرح رذاذ ماء الورد الذي ترشه أمها بسخاء.. العروس غالية فهي بكارة العمر، والفرح كبير. نهضت أغنية من التراث العريق، ماجت بها الخيمة:

مـا حـلاها بيـدها نقـشة الحنة
والحبـايب ملتمـة من حواليـها
عـوّذوها بالله وصلوا على النبي الهـادي
حنة وخلخـال ذهب لايق عليـها

فاضت الخيمة بالأغنية وسالت فرحاً في سواقي النخل حتى بلغت «الوادي»(٢) فملأته طرباً، ثم تراخت لتحلق أغنية أخرى قادمة من عمق الزمان جذرها البحر والنخل، رقصت على الأكف والشفاه، فرقصت لها الشموع في الصواني. اجتاح الخيمة فرح طروب حرر أم العروس من رزانتها فاندفعت لساحة الرقص. تمايلت كنخلة في حضن رياح «البارح»(٣) هزت جوانحها فاهتزت قامتها. اختلج ثوبها الأخضر كشراع يهم بالإبحار في زرقة سماء زاخرة بالنجوم، عاد النخل كما كان عشاً لمرح الصبايا وعريشاً لحكايات الجدات. سرب الأغاني يوشك أن يتقاطر لولا شرارة هوت فوق منصة العروس، وصرخة لا تشبه زغرودة فرح ولا آهة طرب دوّت، كمن لسعتها عقرب أو من أدخل في عينها شواظ من لهب صرخت أم العروس:

- حريق.

تكسر الصوت واستحال نشيجاً، سارعت الأم تصد بجسدها ناراً نهمة تتشهى جسد ابنتها، ساندت تلك الصرخة صرخات مفزعات شقت عنان المكان، بعضها خنق في الحناجر ففاض كحشرجة النزع الأخير. تعاضدت سواعد ذات أسوار يربكها الهلع وراحت تهز جدار الخيمة المنيع فلم يستجب. انهمر السقف المشمع كسفاً من اللهب تتلظى على الرؤوس. تدافعت المتقدات يبحثن عن مخرج. الباب كسم الخياط لا يسمح بتمرير أكثر من جسد مذعور. أدركته واحدة حالفها الحظ، لكن هالها أن النار قد عرت جسدها مما يستر فارتدت على الأعقاب تفتش عن ستر حتى وإن كان وشاحاً من لهب، وأخرى راحت تزحف منكفئة على الوجه والنار تنهش الظهر لاذت بجدول لتبترد فلم يكن في الجدول ماء، صرخت في منقذها:

- استرني.

تطاولت ألسنة اللهب لتلتهم من أطبقت عليهن الخيمة كشباك صيد محكم. دهمت الصرخات مجلس الرجال فخفوا مسرعين كفريق إنقاذ يسوقهم الفزع.. بلغوا خيمة الفرح التي شيدوها بالأمس وقد تقوضت. فرشت ساحتها بأجساد هامدة تنتظر أن تلحد وأخرى على الرمق تتوسل أن تسعف. كان من بين الرجال العريس المفجوع يعضده الأصدقاء، تداعى أمام أنقاض خيمة فرحه، هوى رأسه في حضن صديق منتظراً زفاف عروسه إلى الثرى.

ردد النخل الواجم أصداء أنين سيارات الإنقاذ والنحيب المتصاعد من زواياه. وشح جسد العروس بثوب عرس لم يأت يوم ارتدائه فامتد سحابة مدلهمة فوق رؤوس الرجال وهامات النخل لتنسكب دمعاً هتوناً.

أمام موجة الألم الصاعدة تراجعت كلمات العزاء. ترددت أن أهمس وأنا أودع الصديق أن الغابة تحترق وتنهض من رمادها أزهار وأعشاب. وتنبت في الجذوع الجرداء غصون أشد بريقاً وأكثر نضارة.. فبادر الصديقُ وهو يودعني قبل أن يسلمني للطريق:

- سنواجه الألم وإذا أغلق الحريق نافذة فرح مفتوحة على النخل سنشرع نافذة تطل على البحر.

طمأنتني كلماته بأن طائر العنقاء سينفض عن جناحيه رماد الحريق ليحلق من جديد فوق نخيل «الوادي» ويعانق السماء مبتعداً عن أنقاض العرس.

الهوامش

١. «ساداس» عين كانت تسقي بساتين النخل في القديم.
٢. «الوادي» حي قريب من العين.
٣. «البارح» رياح شديدة تهب في بداية الصيف على الجزء الشرقي من المملكة.

جديد مسابقة الفيصل

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وقرعة أخيرة للفائز الأخير.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من هذا العدد(٢٦٩) لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٩٣)

ذو القعدة١٤٢١هـ ـ فبراير٢٠٠١م

الفائز الأول: **عبدالرحمن محمد أبو أحمد ـ السودان.**

الفائز الثاني: **بلقيس عبدالوهاب شرف المنصور ـ اليمن.**

الفائز الثالث: **زكريا أحمد عبدالمطلب ـ مصر.**

الفائز الرابع: **عبدالعزيز جميل قبش ـ سورية.**

حل مسابقة العدد (٢٩٣)

١ ـ روبرت كوخ: عالم بكتيريولوجي ألماني اكتشف الجراثيم التي تسبب التيفوئيد والسل والكوليرا.

٢ ـ فيا لك من ليلٍ تقاصر طولُه

وما كان ليلي قبل ذلك يقصرُ

قائل البيت هو: عمر بن أبي ربيعة.

٣ ـ الأوبال: حجر كريم تتغير ألوانه تغيراً جميلاً.

٤ ـ الكوكلوكس كلان: جمعية سرية أمريكية، عنصرية النزعة، نشأت بعد الحرب الأهلية لترسيخ سيطرة البيض على الزنوج.

٥ ـ «الاستشراق» كتاب شهير من تأليف: إدوارد سعيد.

أسئلة مسابقة العدد ٢٩٦

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) خورخي لويس بورخيس:

☐ أرجنتيني، يعد من أشهر كتاب القصة المعاصرين

☐ ملاح برتغالي، اكتشف الجزر العذراء.

(٢) ميثاق جنيف:

☐ اتفاقية دولية تم بموجبها إنهاء حرب فيتنام

☐ اتفاقية دولية خاصة بمعاملة الأسرى أو الجرحى في الحرب.

(٣) الزِّيليم:

☐ أيونٌ ذو شحنتين موجبة وسالبة

☐ الجزء الخشبي من النبات.

(٤) الباشتو:

☐ لغة إيرانية ينطق بها في أفغانستان وبلوخستان وجزء من باكستان

☐ رتبة عسكرية تمنح للمقاتلين الشجعان في فارس القديمة.

(٥) من قائل هذا البيت:

وإن سُؤْتَني يومًا صفحتُ إلى غدٍ

ليُعْقِبَ يومًا منك آخَرُ مُقْبِلُ

☐ معن بن أوس

☐ المقنّع الكندي.

الاسم: ________ **المدينة:** ________ **ص.ب:** ________ **هاتف:** ________

العنوان: ________ **الدولة:** ________ **الرمز البريدي:** ________ **ناسوخ:** ________



تعقيبًا على:



رسالتي هذه تأتي تعقيباً على مقال نشر في العدد رقم (٢٨٩) رجب ١٤٢١هـ/سبتمبر ٢٠٠٠م، بعنوان «تهويد القدس.. سياسة إسرائيل لتغيير تركيبة القدس السكانية)، للكاتب محمد أحمد صالح.

وهي تعقيب على المقال من عدة زوايا:

الأولى: كان بودنا أن يتناول المقال تاريخ بناء القدس، ومن ثم تاريخ بناء الأقصى المبارك الذبيح الذي يئن تحت نيران الاستعمار الإسرائيلي الصهيوني البغيض، حتى يستطيع القارئ للمقال أن يستوعب ويلم بهذا التاريخ؛ لأن التاريخ بوثائقه يعدّ تراثًا على المكان والأرض، وحتى يكون شبابنا وأجيالنا الحالية على دراية بما يحدث في هذه البقاع المباركة، وتصل إلى قناعة بأن اليهود والصهيونية العالمية ليس لهما أسانيد ومسوغات في الوجود في هذه الأراضي لأنها فلسطينية.. عربية وإسلامية.

والثانية: كان يجب على الكاتب أن يعطي فكرة عن «هيكل سليمان» الذي تحاك من أجله تمثيليات هزلية ومزعومة من اليهود، حتى إنهم درجوا في كل مرة أن يقوموا بالحفر تحت جدران الحرم القدسي الشريف محاولين القضاء عليه بالهدم والنخر في الجدران حتى يتصدع ويصير أنقاضا على مرأى ومسمع من المسلمين.. والعرب!!.

وعن هاتين النقطتين نحاول أن نجلو بعض الحقائق التاريخية القديمة عن إنشاء القدس. وكذلك المسجد الأقصى.. وأيضا عن عدد المستوطنات الموجودة على الأرض حاليًا في الضفة الغربية والقطاع..

ونقول: إن المدن التي حظيت بشرف المكان والمكانة.. وعلو المنزلة ومحبة القلوب المؤمنة.. مدينة القدس والتي تشرفت بوجود المسجد الأقصى الشريف فيها.. وهي التي كانت مسرى النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الذكرى العطرة. وقد حظيت القدس بولاء كامل من المنتمين إلى رسالات السماء جميعا ذلك؛ لأن كل الرسالات لها سبب وثيق يربطها بها؛ فموسى عليه السلام حث قومه بني إسرائيل على دخولها لإقامة دين الله فيها، ولتعلو فوقها راية الإسلام، دين الله الذي اصطفاه للبشرية كلها. فأبوا وتقاعسوا، وقعدوا عن الجهاد، وقالوا لنبيهم موسى: *فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهُنا قاعدون*. المائدة: ٢٤.

ولم تقم للإسلام دولة على يد بني إسرائيل إلا في عهد الرسولين الكريمين داود وسليمان عليهما السلام، إذ ساد في عهدهما التزام دين الله، والاستمساك بشرعه، ومحاربة الأهواء فأعطاهما الله العزة والتمكين، وحقق لهما الاستخلاف.. وبعد وفاة سليمان عليه السلام ـ حلت ببني إسرائيل الفتن والمصائب والنكبات والمفاسد، فقد انقسمت مملكتهم قسمين:

ـ مملكة إسرائيل في الشمال: وكانت عاصمتها في معظم أيامها «شكيم» أي نابلس الآن، وأول ملوكها يربعام بن سليمان ـ عليه السلام.

وقد تعاقب عليها من بعده نحو تسعة عشر ملكًا. وكانت نهايتها على يد سرجون ملك آشور عام ٧٢١ق.م.

ـ مملكة يهوذا بالجنوب وعاصمتها «أورشليم» أي القدس وأول ملوكها رحبعام بن سليمان عليه السلام، وقد تعاقب عليها من بعده أي من بعد «رحبعام» عشرون ملكًا. واستمرت حتى عام ٥٨٦ق.م، حيث سقطت هذه المدينة في يد بختنصر البابلي الذي أنزل بهم الضربات الموجعة، وألحق بهم التشريد والسبي الكبير إلى بابل، وكانت النهاية لهذه المملكة، وإذا قلت النهاية فإنها كانت النهاية المؤلمة الساحقة والماحقة في الوقت نفسه.

وتوالى بعد هذه الحقبة من الزمان حكام على هذه الأراضي الفلسطينية من كل البقاع من البابليين والفرس واليونان والبطالمة والسلوقيين والمكابيين ثم الرومان الذين حكموها من عام ٦٣ق.م إلى ٦١٤م.

وقد امتد حكم الرومان لهذه البلاد ما يقارب سبعة قرون، وهي مدة ليست بالقليلة.. ساموهم سوء العذاب، وقتلوا وشردوا منهم الكثير.. فهم خلال هذه الفترات لقوا من الحكام أسوأ صور العذاب، وأشنع صنوف سفك الدماء والسبي والطرد.. وأعتقد أنهم قد توارثوا من هؤلاء الحكام هذه الألوان القاسية من ضراوة التعذيب وبشاعة الإذلال التي يمارسونها الآن مع إخواننا الفلسطينيين والعرب، إذ يقومون بإيقاع المجازر اليومية والمذابح العشوائية في الصغار من أطفال الحجارة تحت سمع المجتمع الدولي الظالم وبصره، وأمام هيئة الأمم المتحدة التي تحركها أمريكا التي تحيطهم بكل عنايتها وبكامل دعمها لهم.. ولكن نصر الله قريب إن شاء الله.

وأخلص إلى القول بأن مدينة القدس قديمة قدم المسجد الأقصى الذي أجمع المحققون على أن بانيه هو نبي الله يعقوب عليه السلام، وهذا المسجد هو ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال، بنص حديث رسولنا العظيم عليه الصلاة وأزكى السلام.

قال الله تعالى: *إنَّ أوَّلَ بيت وضع للناس للذي ببَكة مباركًا وهدًى للعالمين*. آل عمران: ٩٦. فأول بيت وضع للناس في الأرض هو في مكة، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض، قال: المسجد الحرام. قلت ثم أي، قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما؟ قال أربعون عامًا.. ثم الأرض لك مسجد، فحيثما أدركتك الصلاة فصل. رواه الشيخان والنسائي.

ووفقًا لهذا الحديث يقول إن المنشئ للمسجد الأقصى هو يعقوب عليه السلام، كما ذكرت آنفًا ويعقوب هو ابن إسحق بن إبراهيم عليه السلام، وإذا كان إبراهيم هو الذي رفع قواعد البيت الحرام الذي بمكة ومعه ابنه إسماعيل، وهذا البيت هو أول بيت وضعه الله تعالى لعبادته في الأرض فإنه من المعقول أن يكون حفيده يعقوب عليه السلام هو الذي أنشأ المسجد الشريف، وأنشأه بأمر الله في الأرض التي بارك فيها، مصداقًا لقول الله سبحانه: *سُبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير*. الإسراء: ١.

وأن تكون هذه المدة بين إبراهيم - عليه السلام - الجد وبين حفيده يعقوب عليه السلام، أربعين سنة كما جاء في الحديث النبوي الشريف الآنف ذكره.. هذا بالنسبة إلى النقطة الأولى. أما بالنسبة إلى النقطة الثانية، وهي نقطة جديرة بالاهتمام - والخاصة بالتمثيلية الهزلية الخاصة بهيكل سليمان ومحاولة الحفر تحت جدران الحرم القدسي الشريف بين الفينة والفينة، فنقول، وبالله التوفيق، القصة الحقيقية حتى يتفهمها اليهود ومن والاهم والتابعون لهم من الصهاينة المنتشرين في بلاد العالم المختلفة..

ونسأل كيف كان الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام؟ وكيف تم بناؤه؟ وهل بقي منه شيء غير تلك الشطحات الأدبية الأسطورية التي يغص بها الأدب اليهودي، الديني منه والعلماني؟ وهل قامت على أنقاضه هياكل أخرى؟

أسئلة في غاية الأهمية، وتستوقف النظر منذ أقدم العصور. وسنقف عندها علّنا نجد بصيصًا من النور يساعدنا على تبين بعض المعالم.

جاء في الكتاب المقدس أن داود كان يريد أن يبني هيكلاً للرب في أورشليم، ولكن النبي «ناتان» أبلغه - من لدن الرب - أن يترك هذا المشروع لابنه سليمان (صموئيل الثاني الآية ٧).

يشرح داود هذا لابنه سليمان «وقال داود لسليمان: يا بني كان في خاطري أن أبني بيتًا لاسم الرب إلهي، فكان إلي كلام الرب قائلاً: قد سفكت دمًا كثيرًا، وقمت بحروب كبيرة فلن تبني بيتًا باسمي، لأنك سفكت دماء كثيرة أمامي على الأرض، وها هو ابن يولد لك، يكون رجل سلم أسلمه من جميع أعدائه الذين من حوله، إذ سيكون اسمه سليمان، وسأعطي سلامًا وهدوءًا لبني إسرائيل في أيامه وهو يبني لاسمي بيتًا» (أخبار الأيام الأول - ٢٢).

ومع ذلك فإن داود، أراد قبل موته، أن يسجل معاونته الفعالة لابنه في إقامة الهيكل فأخذ يجهز المواد اللازمة للبناء. وكان اليهود في عصره مازالوا في بداوة بدائية يندر فيهم من يعرف أصول حرفة أو صناعة أو علم من علوم الدنيا.. أما مكان البناء - فالإجماع منعقد - بناء على عنعنات شفوية، يقال إنها الهضبة المسطحة التي تتوج جبل (موريا) المكان الذي وجد فيه إبراهيم، قبل سليمان بألف سنة، الرجل الفلسطيني الأصيل «ملكيصدق» ملك أورشليم يعبد الله تعالى، ويقوم بقرى الضيوف، فيقدم لإبراهيم الخبز والنبيذ، ثم يباركه باسم الله العلي، أيضًا.

وظل هذا المكان فلسطينيًا قحًا في أيدي اليبوسيين على الرغم من الضغط الإسرائيلي المتكرر حتى جاء داود. فوجده ملكًا لفلاح فلسطيني يبوسي اسمه «أورنا» أو «أورنان» وقد جعله بيدرًا فاشتراه منه.

أما عدد الصناع الذين اجتمعوا في أورشليم لينفذوا لسليمان المشروع الذي أوصى به أبوه داود فضخم جدًا يزيد

على ١٥٠ ألف عامل. والهيكل بناء صغير طوله ٣٢ متراً وعرضه ١١ متراً بالتقريب مما يدعو إلى التساؤل.. هل كانت كل مواد البناء التي أعدها داود، وهذا العدد الضخم من العمال والفنيين مخصصة للهيكل وحده؟ أم لمبانٍ أخرى؟ منها القصر الملكي لسليمان، وقصر زوجته ابنة فرعون، والصروح البديعة، والدارات (الفيلات) الأنيقة التي أعدها لنسائه الكثيرات جداً والأبنية الحكومية المختلفة، وحتى المعابد الوثنية التي أقيمت خصوصاً لمن رفض التهود من النساء الأجنبيات اللاتي أحبهن سليمان (الملوك الأول)؟.

وفي ربيع السنة الرابعة من جلوس سليمان على العرش وضع حجر الأساس للمشروع بعد خمسمئة سنة من خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام. وتم البناء بعد سبع سنين في خريف السنة الحادية عشرة من ملك سليمان أيضاً.

وهناك ملاحظة جديرة بالتسجيل وأمر يستحق الانتباه، هما أن الحرم القدسي الشريف مستطيل واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (في اتجاه القبلة بمكة المكرمة)، أما معبد سليمان فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس) وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في بابل أو في مصر أو في غيرهما من أقطار الشرق الأدنى والأوسط. إذن فلا يمكن التسليم بسذاجة برأي من يدعون أن الحرم يقوم تماماً على ما كان يسمى سابقاً هيكل سليمان. حتى لو سلمنا أن هيكل سليمان كان في هذا الركن بالذات من الجبل، وهذا لا دليل عليه إلا العنعنات التي اتخذت في نفوس بعض اليهود منزلة مقدسة لتكرارها عبر الأجيال، والذي يستفاد من أوثق النصوص..

هذا من ناحية تمثيلية الهيكل المزعومة من قبل اليهود التي لا يقبلها عقل ولا يستسيغها منصف.. حتى يقوموا بالحفر تحت الجدران المقدسة بدعوى وجود الهيكل. وحتى لو سلمنا بوجود هذا الهيكل في هذا المكان، فهل هذا مدعاة لدخول الإرهابي والسفاح الغادر أرييل شارون المسجد ووراءه ثلاثة آلاف من جنود العصابات اليهودية حتى يستثيروا مشاعر المسلمين والعرب، وتقوم القائمة حتى يعصف بعملية السلام المزعومة، والتي تعد حبراً على ورق في اعتقادي؛ لأن هذه الدولة التي غرست في المنطقة لا تحترم العهود والمواثيق الدولية، هذا لأنهم في تاريخهم الطويل قاموا بقتل الأنبياء، وها هم أولاء الآن يقتلون الأطفال الصغار دون العاشرة من العمر.. وما أشبه الليلة بالبارحة!!.

وأما من ناحية الاستيطان فنقول: إنهم يقيمون تلك المستوطنات حتى يغيروا الطبيعة الديموجرافية (السكانية) لهذه الأراضي التي تقام فيها، ويكفي أن نقول: إنه في الفترة من منتصف عام ١٩٧٧م حتى بداية عام ١٩٨١م وهي فترة حكومة الليكود الأولى أقامت إسرائيل ١٤٤ مستوطنة في الأراضي المحتلة موزعة على النحو الآتي:

«٥٥» مستوطنة في الضفة الغربية.
«٦» مستوطنات في قطاع غزة.
«٥٥» مستوطنة في الخليل.
«٥» مستوطنات في عرابا.
«١٠» مستوطنات في إقليم باشور.
«٨» مستوطنات في منخفضات جبل الخليل وهضبة النقب.
«٥» مستوطنات في هضبة الجولان.

هذا في أربع سنوات فقط ـ فكيف يكون الحال منذ عام ١٩٦٧م حتى الآن ـ أي منذ احتلال هذه الأراضي حتى الآن يعني في مدة قدرها ثلاث وثلاثون سنة؟!!

ـ ويرمي الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة إلى:

ـ فرض سياسة الأمر الواقع الذي يضمن لإسرائيل الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من الأراضي العربية.

ـ أن تكون المستوطنات ورقة لدى إسرائيل تمكنها من المساومة والضغط في أية مفاوضات خاصة بإحلال السلام بين إسرائيل والدول العربية.

ـ تكثيف عدد اليهود في الأراضي العربية لكي يتمكنوا من التأثير في الانتخابات المقترح إجراؤها في حالة إقامة حكم ذاتي في هذه الأراضي.

ـ العمل على عدم قيام دولة فلسطينية، وذلك بإقامة المزيد من المستوطنات وتكثيف اليهود فيها.

ـ يعتقد المسؤولون الإسرائيليون أن الاستيطان، بقدر ما يتوسع ويتطور، تكون هنالك فرصة أكيدة إلى تسوية سلام مع الدول العربية والموضوع بصدد هذا طويل ويحتاج إلى أبحاث.. إلا أن التعقيب على المقال سيطول وستزداد المساحة. ولهذا نكتفي بهذا القدر علّنا نكون قد وفقنا إلى إضافة شيء عن موضوع القدس. موضوع الساعة في المنطقة العربية والدول الإسلامية، وكذا في المحافل الدولية والمنظمات العالمية كهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

إبراهيم عبدالوهاب شرف
جامعة المنصورة
الرمز البريدي ٣٥٥١٦ ـ المنصورة ـ مصر.

ثقافة الموريسكيين العلمية من خلال كتاب الحجري

مراجعة: لطف الله قاري
ينبع الصناعية - السعودية

يعرَف الموريسكيون Moriscos أنهم المسلمون الذين بقوا في شبه جزيرة الأندلس بعد سقوط آخر معاقلها (غرناطة) سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. وقد أثبتت الحوادث والثورات مرة بعد مرة، طوال أكثر من قرن، أنهم تظاهروا بالتنصر، ولكنهم كانوا يمارسون شعائر الدين الإسلامي سراً، هم وأبناؤهم من الأجيال التي جاءت بعدهم. وظلوا في اضطهاد ومطاردة، ومنعوا من التحدث بالعربية، أو اقتناء كتب بهذه اللغة، أو ممارسة أي عبادة إسلامية، تحت طائلة القتل حرقًا، إلى أن تم طردهم بشكل جماعي سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٩م.

وفي السنوات الأخيرة نشطت الدراسات حول هؤلاء وثقافتهم وحياتهم الدينية والعلمية في الأندلس، وفي البلاد التي هاجروا أو فروا إليها، وبخاصة تونس والمغرب. فنستعرض في هذه المقالة شيئًا عن حياتهم العلمية، خاصة في مجال العلوم الطبيعية والثقافية، وتأثيرهم الحضاري في تونس والمغرب. ثم نعرِّف بعض علمائهم ممن تركوا آثارًا تلقي الضوء على تاريخهم العلمي. ثم نركِّز الضوء في أحد أولئك العلماء الذي ألَّف كتابًا، فيه الكثير من المعلومات.



غلاف كتاب «ناصر الدين على القوم الكافرين»

الحياة العلمية للموريسكيين تحت الحكم الكاثوليكي

معلوم أن سكان الأندلس الإسلامية من مسلمين وغيرهم كانوا متفوقين على من سواهم من الممالك المجاورة من ناحية العلوم. وكان الأوربيون يأتون إليهم للتعلم. وعلى الرغم من أن النصارى الكاثوليك حكام البلاد الجدد كانت لديهم علومهم التي كانت امتداداً لعلوم الأندلس الإسلامية، إلا أن الموريسكيين ظلوا يكافحون لنيل العلم بما توافر لديهم من وسائل، على الرغم من الاضطهاد والتفرقة. فهناك بعض الوثائق الإسبانية المنشورة تمثل إجازة منحت لموريسكيين بممارسة الطب، وذلك بناء على تعلم الطب العربي. أما الجامعات الإسبانية والتعلم على يد الأطباء الإسبان فقد امتنع الموريسكيون عنها، ومنعوا منها، لأنها كانت خاضعة لسيطرة الكنيسة التي كانوا يقاطعونها؛ ولذلك نجد سجلات محاكم التفتيش فيها قضايا تتعلق بممارسة الطب العربي أو طب الأعشاب، مع ممارسة الجراحة من خلال تعلمها من الكتب العربية. وكان الإسبان بدورهم يحاربون الأطباء الموريسكيين ويمنعونهم من ممارسة مهنتهم، بزعم أنهم يقتلون مرضاهم المسيحيين في أثناء العلاج؛ ولذلك تدهور الطب عند الموريسكيين كما تدهورت جميع أحوالهم.

واشتهر من أطباء الموريسكيين ألونسو ديل كاستيلو

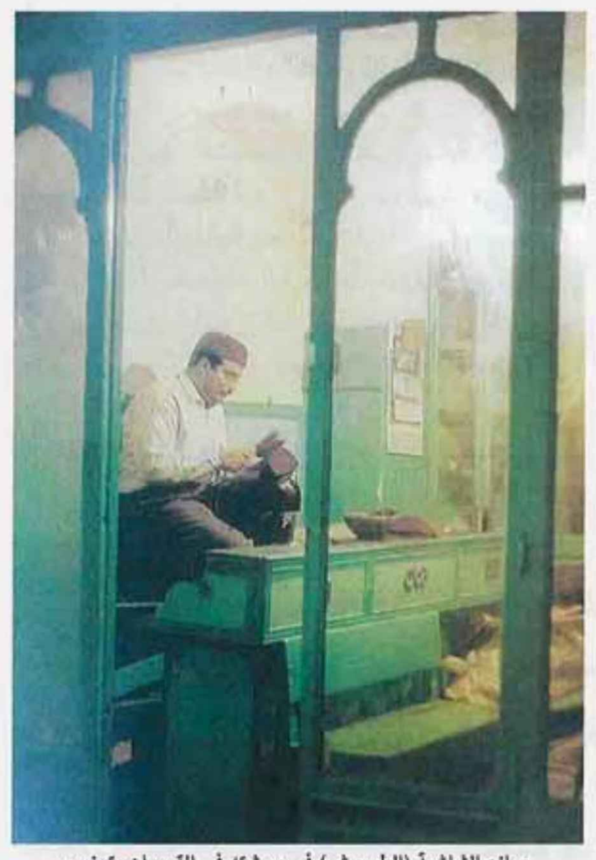
Alonso del Castilloالذي درس الطب من الكتب العربية، وكان على اتصال مباشر بتلك الكتب، مما جعله يتفوق على الذين تخرجوا في الجامعات. وأما الذين مارسوا الطب الشعبي فكانوا يعتمدون على كتاب ديسقوريدس اليوناني الذي عُرِّب في عهد الدولة الأموية الأندلسية، ثم تُرجم إلى الرومانسية (اللاتينية الإسبانية لغة ذلك العهد). وعندما لم يجدوا فرصة لقراءة كتب الطب العربي وتعلمها اتجهوا إلى العلاج بالنشرة والرقية، ثم بالتمائم والتعاويذ. هذا في إسبانيا، أما في البرتغال فقد برز بعضهم بوصفهم أطباء ومترجمين في بلاط ملوك البرتغال.

وقد عُثر على بعض المكتبات الصغيرة للموريسكيين في عصرنا الحالي. فكان من ضمن كتبهم مصاحف شريفة، وكتب إسلامية، وكتب في العلوم مثل المجسطي لبطليموس وبعض الكتب الطبية. وفي بعض المخطوطات الموريسكية المكتوبة بلغة ألخميادو نجد بعض علومهم، مثل الطب الشعبي الممزوج بالتعاويذ والتمائم، ونجد كتبًا أخرى في التنجيم. ولغة ألخميادو هي اللغة القشتالية مكتوبة بحروف عربية.

والكلمة محرّفة من كلمة الأعجمية. فكلمة «الأعجمية» تنطق بعامية الأندلس والمغرب هكذا لعجمياتو. ثم أبدلت الجيم خاء بالإسبانية الحديثة، فصارت الكلمة «ألخميادو». وكان أغلب الموريسكيين لا يتحدث إلا الإسبانية، ولا يقرأ ويكتب إلا بها، لتسلط الإسبان ومنع اللغة العربية. إلا أنهم كتبوا مؤلفاتهم تحت حكم الكاثوليك بحروف عربية لإخفائها عن غيرهم. ولكنهم عندما نزحوا إلى شمال إفريقية صاروا يكتبون الإسبانية بالحروف اللاتينية كما يكتبها غيرهم. فكتاباتهم في المهجر إسبانية عادية، وليست «ألخميادو».

وكان الموريسكيون أصحاب السبق في الزراعة والصناعات الغذائية والري؛ ففي مرسوم الطرد الجماعي الذي أصدره الملك الإسباني استثنى من الطرد عددًا من أصحاب الخبرات في زراعة الأرز وصناعة السكر ومهندسي الري، وسيرد نص تلك الفقرة من المرسوم في آخر المقالة.

وفي عام ١٥١٣م ظهر بالإسبانية كتاب عنوانه «تأليف في الزراعة» Obra de Agriculturaمن



صانع الشاشية (الطربوش) في ورشته في القيروان بتونس

تأليف كبريال هريرا Gabriel Herrera. وكان يعدّ من أهم الكتب الزراعية الإسبانية في ذلك العهد، حتى عصرنا الحاضر. طبع في لغته الأصلية نحو خمسين طبعة حتى عام ١٨٥٨م، كما ترجم إلى عدد من اللغات الأوربية. وكان المؤلف قد أقام في غرناطة عشر سنوات من ١٤٩٣ ـ ١٥٠٣م بعيد سقوطها، يخالط ويعاشر الفلاحين المسلمين. ثم تلتها عشر سنوات من الرحلات في مدن بإسبانية وخارجها. فكانت مصادره في الكتاب ثلاثة: خبراته الشخصية مع المسلمين، ورحلاته الطويلة في بلاد الأندلس وبعض المدن الأوربية، وكتب الأقدمين، ومنها كتب ابن وافد الأندلسي وابن سينا والرازي. ويظن أن المؤلف هريرا من اليهود أو المسلمين المتنصرين.

وأجمعت الدراسات حول تاريخ الموريسكيين أن الطرد الجماعي أدى إلى اختلال في الحياة الاقتصادية لإسبانيا. فتأثرت صناعة قصب السكر والحرير وزراعة

الأرز والقمح، وأغلقت المصانع والورش. وحرمت تلك البلاد من الثروات العقلية والفنية والصناعية التي ميّزت مسلمي الأندلس. وبعد قرون عندما اختلفت العقلية الإسبانية وخف التعصب الكاثوليكي بعد النهضة الأوربية نجد سجلاً لزوار قصر الحمراء في القرن التاسع عشر (أول تواريخه ١٨٢٩/٥/٩م) يكتب فيه الإسبان من الشخصيات البارزة هذه التوقيعات:

«إنها همجية القرن الخامس عشر التي أخرجت العرب من إسبانيا، وإنه لتعصب كارلوس الخامس الذي دفن نفسه حياً».

«متى أبدع الصليب قصراً كقصر إشبيلية، وجامعاً كجامع قرطبة، وحمراء كحمراء غرناطة».

«أبرأ من جهل الملوك الذين قرروا طرد الموريسكوس».

«ليس هناك فنان لا يصرخ وقلبه جريح: ملعون هو كارلوس الخامس، آمين».

تعميرهم لتونس والمغرب

إذن كانت حياتهم مزيجاً من الاضطهاد والقمع، لا يسمح لهم بغير الكاثوليكية ديناً، ولا بغير الإسبانية لغة وإلا تعرضوا للقتل حرقاً على يد مجرمي محاكم التفتيش. ولذلك لا نجد منهم من اشتهر بعلم قبل هجرتهم إلى شمال إفريقية، وإلى إستنبول فيما بعد. فكانت هجرتهم إلى تونس والمغرب نهضة عمرانية وزراعية وعلمية بتلك الديار، فنشطت حركة بناء قنوات الري والسدود والآلات الميكانيكية والمنشآت العمرانية البارعة التي مازال يكتشف المزيد منها حتى اليوم. ففي تونس مثلاً نجد الدراسات الحديثة توضح أنهم استوطنوا قرى صارت بعد تعميرها مدناً أندلسية، مثل زغوان وطبربة وغار الملح وتستور، وغيرها مما يزيد على عشرين مدينة، نرى اليوم آثارها المعمارية تشهد على تفوق بناتها، وتعدّ من المفاخر لتونس الحديثة. وانتشرت بين التونسيين مأكولات وملابس وعادات تأنق جديدة، مثل العناية بالأزهار وتصفيفها في البيوت، وأساليب جديدة في الفلاحة أدت إلى ازدهار في هذا المجال. وانتشرت بقدومهم النواعير، والعربات ذات العجلات التي عبدت من أجلها الطرقات، ونشأ أسلوب جديد في تخطيط المدن، بحيث تتقاطع الأنهج الفرعية بزوايا مستقيمة مع الشوارع الرئيسة بشكل متواز. واشتهر منهم مهندسون أندلسيون كثيرون ينسب إليهم إنشاء عدة معالم معمارية بتونس. وبرزوا في الجهاد والصناعات الحربية لقتال الإسبان الذين كانوا يحتلون عدداً من مدن شمال إفريقية. وانتشرت صناعات جديدة، مثل صناعة الشاشية (وهي القلنسوة أو الطاقية الحمراء) وتجليد الكتب والعطور والخزف. وصارت هذه المنتجات تصدر إلى خارج تونس، مما أدى إلى ازدهار الحالة الاقتصادية.

> كان سكان الأندلس من المسلمين متفوقين على من سواهم من ناحية العلوم، وكان الأوربيون يأتون إليها للتعلم

وأما في المغرب فتأثيرهم كان أقل بسبب عدم الاستقرار السياسي، وعدم توافر الأمن، وكثرة قطاع الطرق، والحروب الأهلية. فالسعديون الذين حكموا أجزاء من المغرب حكماً هشاً لم يوفر له الأمن وكانوا يضعون نصب أعينهم المصالح الشخصية فوق كل اعتبار قومي أو ديني. فالعثمانيون كانوا في نظرهم أعداء لهم، والإسبان الذين كانوا يحتلون أجزاء كبيرة من الشواطئ المغربية كانوا حلفاء لهم. والموريسكيون الذين تحالف بعضهم مع المجاهدين الأتراك في الجزائر حوربوا لأنهم تحالفوا مع هؤلاء الأتراك. والغريب أننا نجد في بعض مؤرخي المغرب اليوم من يسوّغ هذه الخيانة للدين والأمة. فنقرأ لهم عبارات مثل «كان يريد الحفاظ على كيان مستقل للمغرب بأقل قدر ممكن من الخسارة. أي في النهاية التنازل عن نقاط معينة للمسيحيين، أو احتواء المغرب بأكمله من طرف الأتراك» محمد رزوق، (الأكاديمية، انظر المراجع). ونقرأ أيضاً: لماذا لم يستغل المعتصم هذه الجالية الأندلسية الضخمة لتقديم المساعدة للموريسكيين بإسبانيا؟ إن الجواب واضح، وهو يتكرر دائماً... ألا وهو الضغط التركي، إذ سعى عبد الملك كسابقه إلى عقد محالفات مع الإسبان ضد الأتراك (المصدر نفسه). «هكذا ضاعت على المنصور، أمام ضغط الأتراك، فرصة تقديم المساعدة للموريسكيين بإسبانيا، بل وتحرير ما تبقى من الثغور المحتلة، إذ

اضطر للتقارب مع الإسبان». ويقول باحث آخر (محمد حجي، جولات تاريخية، انظر المراجع): «وظهر طموحه في إقامة خلافة إسلامية إفريقية بزعامته تناهض الخلافة العثمانية التي لم يعترف بها السعديون قط، وعدّوها غير شرعية».

وإذا سئل هؤلاء المؤرخون الذين يسوغون التغاضي عن المحتل وعقد التحالفات معه ضد المسلمين والمجاهدين الأندلسيين: ما رأيكم في تصرف المعتمد بن عباد حين دعا يوسف بن تاشفين لإنقاذ الأندلس؟ فسيكون جوابهم بأنه موقف مشرّف... مع أن هذا أدى إلى فقدان المعتمد لملكه ولحريته. ولكن النظرة الإقليمية الضيقة تتغاضى عن السعديين الذين قام ملكهم على ارتكاب المذابح التي يشيب لها الشاب ويندى لها الجبين، والذين لم يستقر ملكهم يوماً. فسرعان ما قضت الحروب الأهلية بين الأشقاء من الأسرة الحاكمة على هذه الدولة التي امتلأت كتب التاريخ المغربي بذكر فظائعها في بلاد السودان وغيرها، ومحاربتها للمجاهدين الأندلسيين.

ثم إن الذي يراجع تاريخ شمال إفريقية يجد أن الولاة العثمانيين ما كانوا يرون أنفسهم إلا رسلا مؤقتين مهمتهم الجهاد فقط. فعندما عزم الوالي المجاهد خير الدين بربروس على ترك الجزائر تصدى له علماؤها وقالوا له: لا يحل لك ترك البلد وأنت تعلم حاجتها إلى أن تبقى فيها للجهاد. وأهل بجاية نادوه وأخاه عروجاً لإنقاذهم من المحتلين الإسبان.



جسر وسد الباطان في طبربة، من آثار الموريسكيين بتونس

وللحقيقة يجب أن نذكر أن الخيانة وموالاة الإسبان ومحاربة العرب بعضهم بعضاً لم تكن من صفات السعديين وحدهم؛ فكتب التاريخ ملأى بأخبار الخونة في ذلك الزمن الذي ضاعت فيه الأندلس، وحكام شمال إفريقية يقتتلون فيما بينهم. ومساحة ملك الواحد منهم لا تتعدى مدينة واحدة في أكثر الأحيان.

أما المجاهدون الأندلسيون فما تركوا مجالاً للجهاد إلا ساهموا فيه، تارة تحت لواء السعديين كما حصل في معركة وادي المخازن ضد البرتغاليين، وتارة تحت لواء مستقل، في الحملات البحرية لجمهورية سلا الأندلسية. وعمّرت من هجراتهم مدن كانت مدمرة أو خاوية، مثل تطوان والرباط وشفشاون. وهنا نجد التأثير الأندلسي في بيوت منظومة ضمن مدن مخططة ذات متنزهات أنشئت لنزهة عموم السكان، كما كانت الحال في مدن الأندلس، حيث كانت الحدائق العمومية من مبتكراتهم؛ ولذلك نجد اعتناء خاصاً بوصف الحدائق والطبيعة في الشعر الأندلسي.

وساهم الموريسكيون في تطوير بعض أساليب الري بالمغرب، إذ ساهموا في هذا المجال في تركيب عدة نواعير، وخصوصاً بفاس. كما ساهم أندلسيو مراكش بمد عدة قنوات انطلاقاً من نهر تانسفيت، وعمّروا الأراضي الزراعية التي منحت لهم من الدولة، واهتموا بغرس أشجار الزيتون، وتربية دودة القز، وتحسين الإنتاج الزراعي. ومن الصناعات التي أدخلوها إلى المغرب الشاشية «الطربوش الأحمر» وصندوق العروس المزخرف. وفي مجال البناء أدخلت صناعة الفسيفساء ونقش الحجر والجبس والخشب والفسقيات المائية. فكانت أجمل مدن المغرب هي التي زينها الموريسكيون وجملوها. وكانوا هم القائمين على الصناعات الحربية، ومنها البارود والمدافع.

من علماء الموريسكيين

نبغ من هؤلاء عدد ممن نعدهم مفخرة للعرب والمسلمين، منهم من طبعت كتبه وأصبحت معروفة، ومنهم من كتب عنه الباحثون ولم تطبع مؤلفاته بعد. وأكثرهم ما تزال كتبه مخطوطة، وهو بعيد عن الشهرة.

فنعرّف هنا بأشهرهم، أما الآخرون الأقل شهرة فنكتفي بالإحالة إلى المراجع لمن أراد معرفة المزيد. وتقتصر مقالتنا هذه على مجال العلوم الطبيعية والتقانية، مع أن هؤلاء برزوا في أكثر مجالات التأليف:

ـ ليو الإفريقي: ظل الحسن بن محمد الوزان، المعروف باسم ليو الإفريقي شخصية مرموقة في الأوساط العلمية الأوربية منذ منتصف القرن العاشر الهجري (أواسط القرن ١٦م)، بينما بقي مجهولاً في العالم العربي والإسلامي حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري (١٩م). فكتابه المعروف «وصف إفريقية» ظل منذ نشره باللغة الإيطالية سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠م يترجم إلى مختلف اللغات الأوربية حتى عصر قريب. ولم يترجم إلى العربية إلا عامي ١٩٧٩ و١٩٨٠م حين نشر في ترجمتين مختلفتين في الرياض والرباط.

الحرف التي أتى بها الموريسكيون إلى تونس

ولد الوزان في غرناطة سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، ولكنه انتقل مع أسرته إلى فاس التي درس فيها. ثم قام برحلات مع عمه الذي كان موفداً من السلطان الوطاسي حاكم فاس. وفي سنة ٩٢٦هـ/١٥٢٠م أسره قراصنة إيطاليون أهدوه إلى البابا ليو العاشر، فتظاهر الوزان بالتنصر، وتسمى باسم البابا. ولكن كتابه يعتمد التواريخ الهجرية، وفيه صبغة إسلامية تتجلى في حماسة المؤلف عند حديثه عن عادات المسلمين وأعيادهم. وفي آخر حياته هرب إلى تونس وعاد إلى إسلامه.

وكتابه مرجع قيّم في الجغرافيا والتاريخ وعلوم الأناسة «الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا وما يتصل بها».

وبقيت من مؤلفاته الأخرى: «معجم طبي عربي عبري لاتيني» منه قطعة محفوظة بالأسكوريال، و«كتاب في تراجم الفلاسفة والأطباء العرب» باللاتينية. طبع في زيورخ عام ١٦٦١م.

ـ إبراهيم الرباش: ولد الريس إبراهيم بن أحمد غانم الرباش نحو عام ١٥٧٠م. وقام بعدة سفرات بين إشبيلية وأمريكا الجنوبية. وكان خلال عمله بالسفن المسلحة يدرس آلات البارود والمدافع فأتقنها. ووقع في السجن لاكتشاف أمر إسلامه أو كونه موريسكيا، ولكنه خرج من السجن بواسطة أصدقاء له، ثم غادر بلاده باستعمال الرشوة، وذهب إلى تونس، فصار قائد أسطول يغزو بلاد الإسبان. فجرح خلال ذلك وأسر. وسجن سبع سنوات. وبعد فك أسره تولى قيادة قلعة حلق الواد التونسية، لخبرته في المدفعية. وفي عام ١٦٣١م ألّف كتاباً متقناً في المدفعية، وذلك بالإسبانية التي لم يكن يجيد القراءة والكتابة بغيرها. ثم تم تعريب هذا الكتاب سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م بواسطة أحمد بن قاسم الحجري الذي هو محور هذه المقالة. ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة في مصر وليبيا وتونس والمغرب، منها النسخة الأم بالرباط.

ـ الوزير الغساني: كان أشهر طبيب في تلك الفترة أبو القاسم بن محمد الأندلسي الغساني الشهير بالوزير، وكان نقيب الأطباء بفاس، لا يمارس طبيب هذه المهنة إلا بعد أن يجتاز اختباراً ويجيزه النقيب. والنقابة من التنظيمات التي جاء بها الموريسكيون إلى المغرب. وكان إضافة إلى ذلك يقوم بتدريس الصيدلة والأعشاب.

قال المستشرق هنري رينو H.P.J. Renaud حول

كتابه المطبوع «حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار»: يعد الغساني ذهناً متميزاً إذا قيس بعصره وبيئته. والحكم على آثاره لا يتأتى دون موازنتها بعدد من مصنفات المادة الطبية لمؤلفين عرب آخرين. صحيح أنه لم يصل بعلمه إلى حد يجعله يتبين بوضوح تام ما للزهرة من أهمية راجحة، ولا سيما أعضاء الإخصاب التي تكمن في أحشائها، حتى يتمكن من وضع قاعدة صحيحة لنظام التصنيف النباتي، فهو يطلق اسم الخيوط على المدقات والأسدية (أي أعضاء الذكورة والأنوثة في النبات) ويخلط بينهما. إلا أنه استخلص بوضوح فكرة التسلسل في خصائص النبات من جهة، كما أدرك من جهة أخرى مفهوم القرابة القائمة بين أنواع النبات، بحيث يضمها تحت تسمية واحدة بواسطة تلك الجموع الطريفة التي اصطنعها.

وقال المستشرق ألدو ميلي Aldo Mieli: امتاز أبو القاسم الغساني الوزير بتصنيفه للنبات، فجاء كتابه فريداً من نوعه بين المصنفات العربية.

ولد الغساني سنة ٩٥٥هـ، وتوفي سنة ١٠١٩هـ/١٦١١م. ونشأ في فاس حيث تلمذ لعلمائها. ولكنه على الأرجح كان من مواليد الأندلس، وسليل أسرة موريسكية. والدليل على ذلك إتقانه للإسبانية التي عرّب منها كتاب «مغني الطبيب عن كتب أعداء الحبيب صلى الله عليه وسلم». وهذا الكتاب مفقود الآن. أما كتابه الثالث «الروض المكنون في شرح أرجوزة ابن عزرون» فبقيت منه نسخ في المغرب وإسبانيا وبريطانيا وهولندا.

نبذة من حياة الحجري ومؤلفاته

ولد أحمد بن قاسم الأندلسي، المعروف عند الباحثين في عصرنا بالحجري سنة ٩٧٧هـ في الأندلس تحت حكم الكاثوليك. وتعلّم العربية وتعاليم الدين الإسلامي سراً من والديه، كما ذكر هو في كتابه موضوع هذه المقالة. وقد جاء في كتاب «الأنوار النبوية في آباء خير البرية» -المخطوط حاليًا بالرباط- لمعاصره الموريسكي الإمام الشريف محمد بن عبد الرفيع كيف كان الأب يخفي تعليمه الإسلام لابنه حتى من أقرب المقربين، خوفًا من التعرض للقتل حرقًا على يد مجرمي محاكم التفتيش. ونشأ في إشبيلية في كنف والديه. وعمل فترة في غرناطة. ولكنه عاد إلى إشبيلية، وفيها ودّع أصدقاءه، وخرج مهاجراً إلى المغرب عن طريق شنتمرية بالبرتغال سنة ١٠٠٧هـ/١٥٩٩م. واستقر في مراكش مقر حكم السعديين. وفي عهد زيدان بن أحمد المنصور السعدي عمل مترجماً في بلاطه، ثم عند أبنائه من بعده، وذلك حتى سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م.

في سنة ١٠١٩هـ/١٦١٠م قام برحلة إلى فرنسا وهولندا. وكان هدفه من الرحلة محاولة استرجاع أموال سلبت من الموريسكيين عند الطرد الكبير، حين أخذهم ربابنة فرنسيون في سفنهم. وبدلا من أن يوصلوهم بسلام إلى المغرب سلبوهم أموالهم وتركوهم في جزيرة قرب الشواطئ المغربية، يعانون الجوع والعطش، ومات منهم أربعون بسبب ذلك، إلى أن سخّر الله لهم سفينة إنجليزية أنقذتهم وحملتهم إلى المغرب الذي أكرم مواطنوه وفادتهم.

> كان الموريسكيون ينصّرون قسراً، فيظهرون النصرانية، ويمارسون شعائرهم الإسلامية سراً

في سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م رحل إلى مدينة سلا (المجاورة للرباط). وكانت يومها جمهورية موريسكية مستقلة. وبعد أن أقام فيها فترة قصيرة غادرها في السنة التالية إلى المشاعر المقدسة لأداء الحج. وخلال طريق الذهاب والعودة أقام فترة في مصر، حيث جالس فيها فقيه المالكية علي بن محمد الأجهوري (ت:١٠٦٦هـ). فطلب منه المذكور أن يدوّن تجاربه ومشاهداته ومناظراته مع أهل الملل الأخرى. فكتب كتابه «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب». ثم اختصره في كتاب عنوانه «ناصر الدين على القوم الكافرين».

وبعد مصر سافر إلى تونس سنة ١٠٤٧هـ. وهناك التقى الفقيه الموريسكي محمد بن عبد الرفيع وبالريس إبراهيم غانم الرباش السابق ذكرهما. وأنجز تعريب كتاب الرباش سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م. وقد أتم تأليف كتابه «ناصر الدين على القوم الكافرين» في تونس سنة ١٠٤٧هـ، وكتب منه نسخاً أخرى. والنسخة التي وصلت إلينا كتبت بخط المؤلف في تونس سنة ١٠٥١هـ. وفيها زيادات كثيرة، منها قوله بأنه بلغ من العمر ٧٤ سنة قمرية، ومنها أن ابنه المقيم في تستور

(بتونس) قام مع زوجته بزيارة والده –أي المؤلف– سنة ١٠٥٠هـ. فيبدو من هذه التواريخ أن المؤلف استقر مع عائلته في تونس منذ عودته من الحج، وتوفي بها بعد سنة ١٠٥١هـ/١٦٤١م.

وقد ترك من المؤلفات والمترجمات باللغة العربية:

- رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب: السابق ذكره. ولم تبق منه إلا فقرات صغيرة، اقتبسها محمد بن العياشي في كتابه «زهر البستان».

- ناصر الدين على القوم الكافرين: مختصر الكتاب السابق، وهو موضوع هذه المقالة.

- تعريب كتاب الريس إبراهيم الرباش السابق ذكره، بعنوان «العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع». من هذا الكتاب، كما ذكرنا، نسخ مخطوطة في مصر وليبيا وتونس والمغرب، منها النسخة الأم بالرباط.

- تعريب كتاب «الرسالة الزكوطية». وهي رسالة في الفلك والتنجيم، ألفها اليهودي الأندلسي إبراهيم بن السموأل بن زكوطة السلمنقي (هاجر إلى تركيا العثمانية بعد سقوط غرناطة، وتوفي بها بعد عام ١٥١٠م). وقد ترجمت رسالته من العبرية إلى اللاتينية في إسبانيا نفسها، ثم عربها الحجري بمساعدة راهب أسير عند الملك زيدان بمراكش. منها نسخة في المكتبة الحسنية بالرباط.

- كتاب في الجغرافيا اسمه «دراني»، ذكر في كتاب «ناصر الدين» أنه عربه بناء على طلب الملك زيدان، وهو مفقود لم يصل إلينا.

- قام بترميم مخطوطة «المستعيني في الطب» للطبيب اليهودي الأندلسي يونس بن إسحاق بن بكلارش. وكانت بعض أوراقه مهترئة فأعاد كتابتها. وضم الأوراق الجديدة إلى القديمة. والصفحات التي كتبها بخط يده عليها تعليقات مفيدة بالإسبانية. والكتاب نفسه بالعربية، ولكنه يحتوي على ثروة من الألفاظ الرومنسية أو الإسبانية القديمة. وكان مصدراً مهماً لمؤلفي المعجمات من المستشرقين. وقد أهدى الحجري هذه النسخة إلى صديقه المستشرق الهولندي خوليس Golius، وهي محفوظة الآن في مكتبة جامعة ليدن.

- عبارات تذكارية بالعربية والإسبانية، على أوتكراف لفتى هولندي، مؤرخة في ١٦١٣/٩/١١م. فيها نصائح بتقوى الله والابتعاد عن المحرمات.

- رسالة بالعربية إلى المستشرق الهولندي إربنيوس، كتبها في أمستردام سنة ١٠٢٢هـ/١٦١٣م. وكان قد عرفه في باريس. وهي محفوظة في مكتبة جامعة ليدن.

- رسالة بالعربية إلى المستشرق الهولندي خوليس Golius الذي كان مقيماً يومها في ميناء أسفي (صافي) بالمغرب، يرد فيها على رسالة من المذكور. وفيها نجد أن الحجري أهدى المستشرق كتابين: أحدهما «مروج الذهب» للمسعودي. إلا أن هذا الكتاب سلبه الأعراب في الطريق بين مراكش وأسفي. والآخر «المستعيني في الطب» السابق ذكره. والرسالة مؤرخة في ١٠٣٣/٥/١٠هـ. وهي محفوظة في مكتبة جامعة ليدن.

الطرد الجماعي للموريسكيين أدى إلى اختلال الحياة الاقتصادية في الأندلس بعد أن حرمت البلاد من الثروات العقلية والفنية والصناعية

ومن مؤلفاته ومترجماته بالإسبانية:

- ترجم رسالة من الملك زيدان إلى الحاكم العام بهولندا. وهي مؤرخة في ١٠٢٨/١٢/١٣هـ (١٦١٩/١١/٢١م)، محفوظة في مكتب السجلات العمومية بلاهاي.

- عند زيارته لمدينة سلا ألقى أحد الموريسكيين بها قصيدة ترحيب له بالإسبانية. فألف الحجري قصيدة مدح لذلك الشاعر باللغة نفسها. والقصيدتان محفوظتان ضمن مجموع في مكتبة جامعة بولونيا بفرنسا.

- ترجمة عدة فصول من كتاب «الشفاء» للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت:٥٤٤هـ)، ضمن المجموع السابق ذكره في بولونيا. وهذا أحد كتب كثيرة كتبها الحجري وغيره بالإسبانية، ليقرأها المهاجرون الموريسكيون الذين كانوا لا يجيدون العربية.

- رسالة طويلة كتبها من باريس إلى أصدقائه الموريسكيين في مدينة إستنبول. يذكر فيها أخباره ومشاهداته منذ خروجه من الأندلس. وفيها ما يبكي القلب ويدمي الأعين مما حصل لهم من الفواجع. وفيها


دار عثمان داي بتونس

يقول: إنه كتب الرسالة إليهم سنة ١٠٢١هـ/١٦١٢م. وبعد أن قرئت في إستنبول أخذها الشيخ محمد بن عبد الرفيع السابق ذكره إلى تونس. وفي تونس نسخ المؤلف منها نسخة، أي بعد عودته من الحج سنة ١٠٤٧هـ/١٦٣٧م. ولكن أحد الموريسكيين المثقفين ممن كانوا لا يجيدون العربية طلب منه ترجمتها إلى الإسبانية. فنستنتج أن الرسالة كانت أصلاً بالعربية. وتوجد نسخة منها حالياً ضمن المجموع السابق ذكره في بولونيا. وقد نشرت مترجمة إلى الإنجليزية في كتاب Wiegers المذكور في المراجع.

ـ ترجمة إسبانية لخطبة ألقاها المؤلف في عيد الفطر بعد عودته من الحج. والترجمة من عمل المؤلف. وهي أيضاً ضمن المجموع السابق ذكره في بولونيا.

كتاب «ناصر الدين على القوم الكافرين»

يعد هذا الكتاب من أهم المصادر حول أحوال الموريسكيين وثقافتهم، فهو مكتوب من قبل أحد علمائهم البارزين، يتحدث فيه بملء حريته، بعيداً عن محاكم التفتيش، ويروي ما فعله الإسبان وغيرهم بالموريسكيين. وفيه وصف مجادلاته مع اليهود والنصارى في أمور الدين. ونجد فيه الكثير من الفوائد عن العلوم التي توافرت لمؤلفه في ذلك الزمن. وقد اكتشفه بعض المستشرقين الإيطاليين عام ١٩٦٦م. ونشر بعض أبوابه بالتصوير مع ترجمة إيطالية. ثم قيض الله له الباحث المغربي محمد رزوق الذي أخرجه إخراجاً جيداً عام ١٩٨٧م، مع شرح كلماته التي ورد كثير منها بالعامية المغربية. فبالإضافة إلى تشابه عامية الأندلس والمغرب فالمؤلف كتب كتابه بعد إقامته أربعين عاماً بالمغرب.

ويشتمل الكتاب على الفصول الآتية:

ـ في ذكر ما وقع لي في مدينة غرناطة.
ـ في قدومنا إلى بلاد المسلمين.
ـ في بلوغنا إلى مدينة مراكش.
ـ في قدومنا إلى بلاد الفرنج (فرنسا).
ـ في قدومنا إلى بريش (باريس).
ـ في قدومنا إلى قاضي الأندلس بفرنجة.
ـ في رجوعنا إلى مدينة بريش.
ـ في رجوعنا إلى أولونة Olonne.
ـ في قدومنا إلى مدينة برضيوش بوردو Bordeux.
ـ في مناظرات اليهود.
ـ في بلاد فلنضس فلاندس Flandesوهي هولندا.
ـ فيما اتفق لنا في مصر مع راهب.
ـ في ذكر ما أنعم الله تعالى علي.

وفي الكتاب عدد من الفوائد نستعرض منها ما يأتي:

معلوماته الجغرافية

ذكرنا في الأسطر السابقة أنه كان يترجم ويعرب عدداً من الكتب العلمية. ومنها كتاب كبير الحجم في الجغرافيا. فيذكر في كتابه أن السلطان زيدان أمره بترجمة كتاب عجمي كبير اسمه «دراني»، سمي باسم أكبر جبال العالم. ولم ير الحجري في كتاب الجغرافيات مثله. وكان مؤلف الكتاب فرنجياً «أي فرنسياً» اسمه القبطان. ونقل عنه أن منابع الأنهار تختلف من نهر إلى آخر، وأنه ليس صحيحاً أن منبع جميع الأنهار واحد.

وفي الكتاب يحدثنا الحجري أنه قرأ كتاباً عن رحلة حول العالم قام بها رحالة اسمه بدرو طشابر. وفي رسالته الطويلة إلى الموريسكيين في إستنبول يقتبس شيئاً من كتاب مارمول الإسباني حول إفريقية. وهو كتاب طبع أول مرة في غرناطة عام ١٥٧٣م. وتم تعريبه في عصرنا (انظر المراجع).

ولهذا نجد معلومات الحجري حديثة بالنسبة إلى غيره من المؤلفين العرب المعاصرين له. فهو مثلا يذكر (ص ١٨ و٤٣) أن تدريج خطوط الطول يبدأ من الجزر

الخالدات المسماة الآن «بقنارية»، أي جزر الكناري.

وفي مواضع أخرى يذكر ما وصل إليه من معلومات عن العالم الجديد. فيقول عنه (ص ٩٥): «الدنيا الجديدة التي ظهرت بعد ذلك بالمغرب البعيد، حيث هي الهنود المغربية التي لم يدخلها الإسلام، وجميع سكانها القدماء مجوس، يعبدون الشمس لكفرهم، إلى أن أدخل فيها سلطان بلاد الأندلس أصنامه وشركه» .

وفي موضع آخر يذكر حادثة واحدة من حوادث الغدر الكثيرة التي ارتكبها البيض ضد زعماء الهنود الحمر وأبطالهم، فيقول (ص ٩٩) إن ملوك أوربا النصارى يرتعدون خوفا من العثمانيين المجاهدين، إلى درجة أنهم يبعثون سفراء مقيمين «يقعدون على الدوام والاستمرار في القسطنطينية العظمى، يطلب منهم الصلح والرضا عنهم. وهم (أي العثمانيون) نصرهم الله وخلّد ملكهم وجعل النصارى والكفار الأعداء تحت أقدامهم، لا يبعثون رسولاً لكافر على وجه القعود في بلادهم». ثم يذكر أن ملك إسبانيا أراد إرسال سفير دائم، ولكن العثمانيين لم يقبلوه، لأنه معاد للإسلام من جهة معاملته الوحشية للموريسكيين، ولسبب آخر هو «غدره فيما مضى، مما صدر منهم مع سلطان الهنود المغربية بمدينة ميشق (يعني مكسكو) المسمى مُتشُمه (اسم الملك المكسيكي)، إذ مشوا إليه بهدية وقتلوه».

ويتحدث في الكتاب عن دول أوربا وممالك إفريقية وآسيا. وبعد إسهاب في ذكر الدول المختلفة يقول (ص ٩٧): «وكم من أقطار وبلاد للمسلمين غيرها ما ذكرنا، لجهلي بها. وكل ما ذكرناه فهي في الأرض الكبرى المتصلة للمسلمين (يقصد أنه لم يذكر الجزر البعيدة مثل بلاد الملايو والمالديف) وفي المبَات (جمع Mapa أي خارطة جغرافية) التي تصور النصارى ...الخ».

وفي أكثر من موضع يتحدث عن أرخبيل الملايو، وذلك لأنه قابل هولنديين في المغرب وفي هولندا. وهؤلاء الهولنديون كانوا يحتلون تلك الجزر. وفيها قابلوا مسلمين عرباً أو يتقنون العربية، فتعلموا منهم لغة القرآن، وأحضروا منها بعض الكتب العربية. فأحد الرسل إلى بلاط الملك زيدان أخبره قائلاً (ص ٩٧ و ٩٨): اعلم أنني كنت في جزيرة كذا من جزر الهنود المشرقية التي يأتون منها بالقرفة والقرنفل والجوز وغير ذلك من الأبازير، وهي للمسلمين. وهناك تعلمت نقرا (أي يقرأ بالعربية). وأخبره السفير أن عدد الجزر أكثر من عشرة آلاف، وأن بكل جزيرة سلطاناً مسلماً أو سلطانين. فاستغرب الحجري هذا الكلام، ولم يتقبل العدد. وقال من جملة تعليقه على كلام السفير: «وإذا قلنا هذا زاد كثيراً، فنأخذ العشر مما قال. ويبقى في الحساب ألف جزيرة، كل واحدة بسلطان مسلم. وقرأت في بعض كتب النصارى أن جزر الهنود المشرقية هي أكثر من ألف وثلاثمئة جزيرة». وبعد هذه العبارة يذكر كتاب رحلة بدرو طشابر حول العالم فيقول (ص ٩٨): ومن جملة ما ذكر في كتابه أن في جزيرة كبيرة من جزر المشرق دخل الإسلام إليها قبل هذا العهد بنحو مئة وثلاثين سنة. والجزيرة تسمى بجاوش (يقصد جاوة)، وصاروا مسلمين. وكانوا قبل ذلك يأكلون لحم آدم.

كانت هجرة الموريسكيين إلى تونس والمغرب بداية نهضة عمرانية وزراعية وعلمية فيهما، وكان تأثيرهم في تونس أقوى من تأثيرهم في المغرب

وفي أثناء إقامته بمدينة ليدن المشهورة بجامعتها العريقة أحضر له بعض العلماء كتاباً بالعربية وسأله: أتعرف تقرا هذا؟، فطالعه الحجري وأخبرهم بمحتوياته، وأن بإمكانه أن يترجمه إلى الأعجمية (أي الإسبانية). فتعجبوا فيما بينهم، وقالوا له بأن الكتاب أحضروه من جزيرة كذا من الهنود المشرقية التي يصل إليها المسافر في ذلك الزمن في مدة تقارب السنة. وهذا شيء عجيب. (ص ١٠٧): وهذا يدل على أن العربية لسان واحد عام في كل بلد. وكلامنا في هذه البلاد مختلف لسائر الألسن، لأن في بلاد الانجلز (كلام واحد)، وأهل فرنجة بلغة أخرى، وكذلك ببلاد الأندلس عجمية أخرى، وكذلك في أطالية والامانية ومشقُبية (يقصد روسيا التي عاصمتها موسكو). وكل لسان مختلف عن غيره.

وفي موضع آخر يتحدث عن رأس الرجاء الصالح، وأن القارة الإفريقية يصغر عرضها إلى أن يصبح مثل

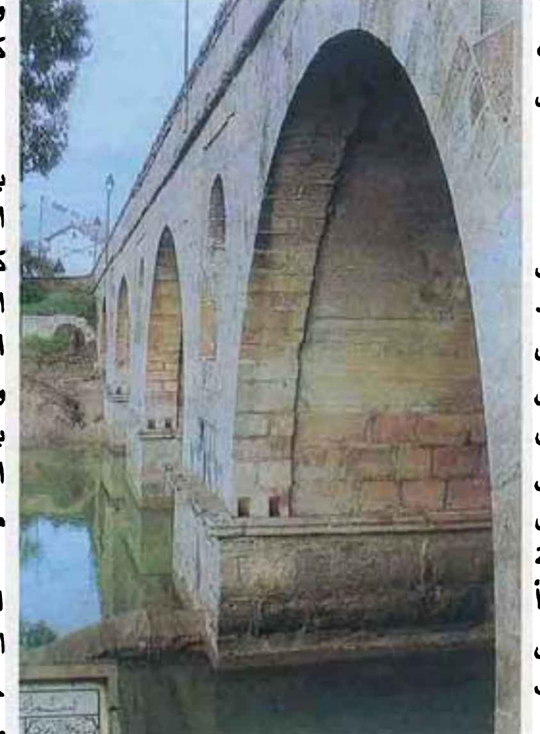
ركن تلتف السفينة حوله. فيقول (ص ٩٦): ويمتد هذا الربع الأفريقي إلى طرف رأس الرجاء الذي هو سبع وثلاثون درجة إلى الجنوب من خط الاستواء. ويضيق للأرض من الجانبين، إلى أن يكون كركن، والبحر المحيط دائر به.

وفي أثناء إقامته في هولندا لاحظ طول النهار الذي يمتد سبع عشرة ساعة، والشفق يمتد إلى منتصف الليل. وبعد اختفائه بساعة ونصف الساعة يطلع الفجر. والتقى في تلك البلاد بستة رجال جاؤوا من شمال الكرة الأرضية، حيث ستة أشهر لا تغرب الشمس عنهم في الصيف، وستة أشهر يكون الليل متصلا في الشتاء. (ص ١١٠).

الدراسات العربية في فرنسا وهولندا

التقى الحجري في المغرب وفي فرنسا وهولندا مستشرقين، نجد أسماء بعضهم في الكتاب الذي بين أيدينا. وآخرين لم يسمهم في الكتاب، ولكننا نعرفهم من خلال رسائله المذكورة من قبل. ففي حديثه عن باريس يقول (ص٥٠): والتقيت في تلك المدينة رجلاً من علمائهم كان يقرأ بالعربية، وبعض النصارى يقرؤون عليه، كان يسمى بأبرت أبير Hubert، وعرض عليه أبير أن يساعده في مهمته التي جاء من أجلها إلى فرنسا، مقابل أن يشرح له الحجري كتباً بالعربية كانت لدى المستشرق. ومنها مصحف شريف، وقانون ابن سينا في الطب، وكتاب إقليدس في الهندسة، وغير ذلك من كتب النحو والمناظرات. وكان الاثنان يبتدئان كل جلسة بالعلم، ولكنهما سرعان ما يتحولان إلى الجدال والمناظرة في الديانات.

وفي هولندا يتحدث عن المستشرق إربنيُس Erpenius دون أن يذكره بالاسم، قائلا (ص١٠٦): ولما دخلنا مدينة ليدا (ليدن) رأينا فيها مدارس لقراءة العلوم. ووجدت فيها رجلاً كان يقرأ بالعربية، ويقرئ بها غيره، ويأخذ راتبًا على ذلك. وكنت عرفته بفرنجة. وحملني إلى داره، وكان يتكلم معي بالعربية، يعرب الأسماء ويصرف الأفعال. وكان له كتب كثيرة بالعربية، ومن جملتها القرآن العزيز. وفي المدينة نفسها التقى الحجري رجلاً حكيماً، مشهوراً في الطب والعلوم، وناظره في أمور تتعلق بالمعجزات عند الأنبياء والخوارق عند الدجالين. والتقى كذلك عالمًا أحضر له كتابا في التصوف باللغة العربية، وكان الكتاب من جزر الملايو كما مرّ بنا.



قنطرة مجاز الباب بتونس

صلاته بالعلماء العرب

مرّ بنا أن الكتاب تم تأليفه بطلب من الفقيه علي بن محمد الأجهوري المالكي بمصر. حيث كتب المؤلف كتابه المطول «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب»، ثم اختصره بالكتاب الذي بين أيدينا. والأجهوري (ت ١٠٦٦هـ) عالم بالفقه والحديث من ذوي المؤلفات الكثيرة التي بقي عدد منها مخطوطًا إلى يومنا.

ومن أصدقائه في مراكش الفقيه أحمد بابا السوداني (أي من السودان الغربي، أو غرب إفريقية حاليًا) التنبكتي (ت ١٠٣٦هـ). وهو مؤرخ فقيه محدث، وأيضا من المؤلفين الذين تركوا عددًا من المؤلفات. وكان الحجري في وداعه عندما خرج من مراكش إلى بلدته تنبكتو الواقعة في مالي حاليًا. وقد راسله الحجري بعد أن سافر إلى بلاده، فأرسل إليه رسالة يذكر له فيها رحلته إلى فرنسا وهولندا (ص١٣٦).

ومن أصدقائه بالمغرب القاضي المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الرجراجي (ت ١٠٢٢هـ) الذي اشتهر بعلمه في مراكش وفاس. ومنهم الفقيه المقرئ محمد بن يوسف الترغي (ت ١٠٠٩هـ) الذي كانت تشد

إليه الرحال لأخذ القراءة المجودة عنه. ومنهم الفقيه القاضي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني (ت ١٠٦٢هـ) الذي جمع الانشغال بمنصب قاضي الجماعة إلى التدريس والإفتاء بفتاوى جديدة ذات اجتهادات فريدة. وقد جمعت نوازله (أي فتاواه بالاصطلاح المغربي) في مجموع بقيت منه عدة نسخ مخطوطة، (ص ١٣٧).

وتلمذ في التنجيم وخط الرمل والجداول العددية والحرفية للفقيه الفلكي أحمد بن قاسم المعيوب الفاسي الأندلسي نسباً (ت ١٠٢٢هـ). وكانت له من الكتب في تلك الفنون شيء كثير، لأن السلطان مولاي أحمد رحمه الله (يقصد المنصور الذهبي) ظهر أنه كان يمده بالكتب من خزانته التي قالوا: إن نهاية كتبها اثنان وثلاثون ألف كتاب (ص ١٠٣).

وفي تونس كان من أقرب أصدقائه الموريسكي الإمام محمد بن عبد الرفيع (ت: ١٠٥٢هـ) السابق ذكره (ص ٣١).

الكتب الرصاصية

في عام ١٥٩٥م بدأ اكتشاف ألواح من الرصاص في كهوف جبال بالباريزو Val-paraiso الذي سمي فيما بعد «الجبل المقدس» ساكرو مونتي Sacro Monte وهو جبل قريب من تلة الحمراء. وكانت كتب مبهمة مكونة من ألواح رصاصية منقوشة بحروف عربية، تحتوي على كتابات دينية تحاول التقريب بين المسيحية والإسلام. وسرعان ما شكك القساوسة في كونها أصلية. ولكن الجدل حول أصالتها استمر حتى عام ١٦٨٢م حين أعلن البابا أنها مزيفة. نذكر من ضمن الجهود التي بذلت لدراستها أن المستشرق إربنيوس صديق الحجري دعي في عام ١٦٢٣م للسفر إلى إشبيلية لقراءتها، ولكنه لم يلبِّ الدعوة.

وقد أخذت هذه الكتب الرصاصية إلى الفاتيكان، وظلت هناك إلى الشهر السادس من هذا العام (٢٠٠٠م) حين أعيدت إلى غرناطة وعرضت على الجمهور، بعد أربعمئة عام قضتها في الفاتيكان. علماً بأن محتواها درسه باحثون إسبان وغيرهم قبل عودتها إلى مكانها الأصلي.

في كتاب الحجري نجد النص العربي المعاصر الوحيد حول هذه الكتب الرصاصية، حيث يذكر المؤلف كيف تم العثور عليها، ثم يقول (ص ٢٤): وأما الكتب التي وجدت في الغار في خندق الجنة فكانت اثنين وعشرين كتاباً، وهذا العدد هو الموجود حتى اليوم. والورق كما قلنا من الأسرب «أي الرصاص». ونادى القسيس الكبير الصياغ والمذوبين لعلهم يصنعون مثلها، فلم يقدروا على ذلك بوجه ولا بحال ولا تدبير. وعلموا بذلك أن الرصاص مزج معه معدن آخر، ولم يعرفوه. ثم يذكر ما عرفه من محتويات الكتب، نقلا عن مترجم موريسكي معتمد عند الإسبان، هو «الفقيه الأكيحل المترجم الأندلسي»، وأيضا نقلا عن اثنين آخرين، أحدهما قائد حربي بمدينة مراكش من الموريسكيين كذلك، اسمه فارس بن العلج، وكان من أهل الورع والدين. وقد شارك هذا القائد في ترجمة تلك الكتب حين كان أسيرا في غرناطة. والموريسكي الآخر -واسمه يوسف فلب- كان يعمل مترجما لدى الإسبان ثم هاجر إلى تونس وقابله مؤلفنا بعد استقراره بتونس. فنجد في كتاب الحجري اقتباسات طويلة عن تلك الكتب الرصاصية (ص ٣١-٣٤، و١٣٨-١٥٠).

> أمر ملك الإسبان بإخراج الموريسكيين بعد أن وجد أن أعدادهم تتزايد باطراد، وكان قد منعهم من دخول الجيش أو العمل في البحر أو حتى السفر فيه

العلاقات بين الموريسكيين والإسبان

في عهد المؤلف لم يكن يسمح باستخدام اللغة العربية، بل كان يعاقب بالقتل حرفا كل من يمارس شعائر الإسلام، ومنها استخدام اللغة العربية. ولم يكن هناك مترجمون من العربية وإليها من غير الإسبان الأصليين إلا شيوخ كبار أدركوا الدولة العربية بغرناطة قبل منع استخدام لغتهم. ومن هؤلاء الشيخ الأكيحل السابق ذكره، والشيخ الصالح الجبس. وكان حفيد الجبس – واسمه محمد بن أبي العاصي– يعمل مترجما للعربية بسبب تقديرهم لجده ,وقد رآه مؤلفنا يفسر للقساوسة كتاب الإدريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق».

ثم عمل الحجري نفسه مترجما بعد أن اكتشف القساوسة معرفته بالعربية؟ وقد سأله هؤلاء أين تعلم

العربية فقال بأنه نشأ في بيئة عربية ببلدة الحجر الأحمر، وتعلم الإسبانية في المدرسة، وأنه التقى في مدريد بطبيب من بلنسية علّمه الكتابة بالعربية. وكان يكذب في حديثه عن الطبيب البلنسي، لأنه كان يعلم أن أهل بلنسية كانوا من نصارى الإسبان، ولكن جامعتهم مسموح فيها تعليم العربية لغير الموريسكيين (ص ٢٤-٢٦).

وكلفه الرهبان بترجمة رقّ عثر عليه عند هدم منارة الجامع الكبير في غرناطة، فصعبت عليه بعض الكلمات، فاحتاج إلى معجم عربي، فناوله الرهبان معجم الصحاح للجوهري في مجلدين (ص ٢٦). وكان في يده يوماً كتاب في الجغرافيا بالعربية يطالع فيه. فجاءه وهو في تلك الحالة بعض المسافرين من بلدته (إشبيلية) وأخبره أن بعض أبناء بلدته نازلون في أحد الفنادق، فمشى إليهم والكتاب العربي بيده. يقول (ص ٢٩): وبعد السلام والكلام فتحت الكتاب، فلما رأوه مكتوباً بالعربية دخلهم الخوف العظيم من النصارى. وقلت لهم: لا تخافوا، لأن النصارى يكرموني ويعظموني على القراءة بالعربية. وكان أهل بلدي جميعاً يظنون أن الحراقين من النصارى الذين كانوا يحاكمون كل من عليه شيء من الإسلام أو يقرأ كتب المسلمين. ومن أجل ذلك الخوف العظيم كان أهل الأندلس يخاف بعضهم من بعض إلى آخر ما قاله حول الرعب الذي كان يعيش فيه الموريسكيون (ص ٢٩).

وظلت الحالة كهذه، يعيشون في رعب وذل ومهانة، إلى أن لاحظ الإسبان أن الموريسكيين يزداد نسلهم، بحيث يمكن أن يصبحوا أكثرية في سنوات قليلة إذا لم يتخذ إجراء حاسم وسريع. فالموريسكيون كانوا ممنوعين من دخول الجيش أو العمل في البحر أو حتى السفر فيه، وليس فيهم رهبان منقطعون عن الزواج. فهذه الأسباب التي ساقها الحجري (ص ١٠٩) جعلت ملك الإسبان يجري إحصائية عن تعداد الموريسكيين، وذلك قبل خروج الحجري من بلاده. ثم بعد ذلك بسبع عشرة سنة أجريت إحصائية أخرى. فلما وجد العدد يزداد أمر الملك بإخراجهم جميعاً. فتم النفي الكبير بين عامي ١٦٠٩ و١٦١٠م. وقد أورد الحجري تعريباً للأمر الملكي الصادر بشأن الطرد، وهو موجه من الملك إلى حاكم بلنسية (ص ١١١).

وفي ذلك الخطاب الملكي نجد اعترافاً صريحاً من الملك بأن الموريسكيين (والمدجنين من قبلهم) طوال العقود والقرون التي تلت احتلال بلادهم لم يتركوا الدين الإسلامي يوماً. كانوا ينصّرون قسراً، فيظهرون النصرانية ويمارسون شعائرهم الإسلامية سراً. فهذه شهادة من العدو تعدّ وسام فخر لهم. وشهادة أخرى تدل على تفوقهم في الصناعات والحضارة، فقد ورد في الخطاب الملكي نفسه: ولما يصلح بالبلاد في معاصر السكر والروز (أي الرز) وسقي البلاد (أي أنظمة الري وتصريف القنوات) ليعلموا السكان الجدود (أي الجدد) أمرنا بقعود ستة من الأندلس بأولادهم الذين لم يتزوجوا، في كل بلد يكون من مئة دار. ومع هذا تعرضت بلاد الإسبان لخراب اقتصادي بعد عملية الطرد الكبير، بسبب ما أصاب الأراضي الزراعية من بوار، وما أصاب المصانع من تعطل.

الكتاب يوضح اطلاع المؤلف العميق على الديانة المسيحية، ومعرفته بأصول الدين الإسلامي، وفيه مناظرات للمؤلف مع المسيحيين واليهود

ونجد عند الحجري اعترافاً بفضل السلطان العثماني على الموريسكيين. فمعلوم أن السلطان العثماني أحمد الأول طلب من ملك فرنسا أن يمكّن الموريسكيين الذين نفوا إلى فرنسا من العبور إلى ديار الإسلام، سواء القسطنطينية أو تونس. يقول الحجري في هذا الخصوص (ص ٤٩ و٥٠): «ولما صحّ عند سلطان إسطنبول بخروج الأندلس (أي الأندلسيين) الذين يسمونهم ببلاد الترك بمدجنين كتب كتابه السني إلى سلطان فرنجة بالوصية عليهم. ونفع ذلك الكتاب الأندلس نفعاً عظيماً، تقبّل الله منه وجعله في أعلى عليين ببركة سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين». وقد طلب الحجري من بعض الفرنسيين ترجمة رسالة ملك فرنسا التي فيها توصية به وبموضوع سفره، فإذا فيها العبارة التالية الموجهة إلى قضاة فرنسا: «نأمركم أن تقفوا مع حامل هذا (أي حامل هذا الخطاب) الذي يتكلم على الأندلس، لأن

السيد الكبير (أي السلطان العثماني) كتب لنا في شأنهم». فيقول الحجري معلقاً على هذه العبارة: وهذا الاسم لا يسمون به أحداً من ملوك الدنيا، وذلك ببركة الإسلام، إذ هو أعظم سلاطينها (ص ٥٠).

ثقافة المؤلف العلمية

الكتاب يظهر لنا بوضوح اطلاع المؤلف العميق على الديانة المسيحية، مع معرفته بأصول الدين الإسلامي. فالكتاب ألف كما ذكرنا من أجل بيان مناظرات المؤلف مع المسيحيين، مع ذكر مناظرات جرت مع يهود. ومن أجل مناظرة الأخيرين لازم قراءة التوراة بالإسبانية (ص ٨٧ - ١٠٣).

ونجد في الكتاب اهتماماً له بقراءة كتب الطب، فمن ذلك قوله (ص ٦٤) قال بقراط وجالينوس وابن سينا وجميع الأطباء متفقون معهم أن لحفظ الصحة ينبغي أن يأكل الإنسان في نصف النهار أكثر مما يأكل في الليل».

وذكر من جملة العلوم التي تعلمها التنجيم الذي يقول عنه (ص ١٠٣) «علم الأحكام»، أي علم أحكام النجوم. قرأ هذا العلم على الفقيه أحمد المعيوب الفاسي الأندلسي نسبا كما سبق ذكره.

والتقى في مصر مع أحد رهبان الأقباط الذين كانت لديه مكتبة فيها معجم عربي إسباني. وذلك من أجل الاطلاع على كتاب في المواقيت، لمعرفة يوم الوقفة بعرفات. وكان الحجري يوافق الفقهاء القائلين بأن تحديد يوم عرفة لا يكون إلا برؤية الهلال. إلا أنه من باب الاستئناس يريد الاطلاع على الموعد حسب علم الميقات، إذ «لا يضر النظر في ذلك» (ص ١١٨). وقد ترجم كما ذكرنا «الرسالة الزكوطية» في الفلك والتنجيم بأمر من السلطان زيدان بمراكش.

وقد مرت بنا في الأسطر السابقة معلوماته المستفيضة في الجغرافيا حسب آخر ما وصلت إليه أخبار الاكتشافات في عصره، واطلاعه على ما لدى المستشرقين من علوم وكتب عربية. وقد بين في رسالته الموجهة إلى موريسكيي إستنبول أن بأوربا نشاطاً ملحوظاً في دراسة الكتب العربية وطباعتها في ذلك العهد المبكر. ورأينا من شيوخه وأصدقائه عدداً من علماء زمانهم في العلوم الشرعية والطبيعية. ووجدنا في الكتاب المعلومات التي لا غنى عنها عن أحوال الموريسكيين في تلك الفترة، وغير ذلك من المعلومات التي جعلت الكتاب موضع حفاوة وترحيب منذ نشره عام ١٩٨٧م، وذلك عند جميع المهتمين بتاريخ كل من الموريسكيين والدراسات الاستشراقية والمغرب العربي.

المراجع

- أرسلان، شكيب، تعليقات وهوامش على تعريب كتاب «حاضر العالم الإسلامي»، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٩٧٣م.
- الإفريقي، ليون (وهو الحسن الوزان): «وصف إفريقية»، تعريب عبد الرحمن حميدة ومراجعة علي عبد الواحد، نشر جامعة الإمام الرياض، ١٩٧٩م، وكذلك الطبعة الأخرى، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠م.
- التركي، عبد المجيد، «قضايا ثقافية من تاريخ المغرب العربي»، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الحايك، سيمون، «تأثير الزراعة العربية في عصر الانبعاث»، أبحاث المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند العرب سورية ١٩٨٨م، نشر معهد التراث العلمي العربي، حلب، ١٩٩٦، ص ٥٣ - ٧٩.
- الحايك، سيمون، «تراثنا المفضال»، المطبعة البولسية، جونية، ١٩٩٣م.
- حجي، محمد، «جولات تاريخية»، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
- حجي، محمد، «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين»، نشر دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٨م.
- الحمروني، أحمد: «الموريسكيون الأندلسيون في تونس، دراسة وبيليوغرافيا»، نشر ميدياكوم، تونس، ١٩٩٨م.
- رزوق، محمد: «الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦ - ١٧»، نشر دار إفريقية الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١م.
- رزوق، محمد، «أضواء على موقف المغرب تجاه الأندلسيين في العهد السعدي الأول»، مجلة «الأكاديمية»، الرباط، العدد ١٥، ١٩٩٨، ص ٧٩ - ٩٠.
- زبيس، سليمان مصطفى، «بحوث عن الأندلسيين في تونس»، نشر المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، ١٩٨٣م.
- الزركلي، خير الدين، «الأعلام»، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٠م.
- زكار، سهيل، «المدفعية عند العرب»، نشر دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م.
- عنان، محمد عبد الله، «من تراث الأدب الأندلسي الموريسكي»، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد ١٦، ١٩٧١م، ص ١١ - ٢٠.
- فضل، صلاح، «ملحمة المغازي الموريسكية»، نشر مؤسسة مختار، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- اللوة، أمينة، «صور من تطوان الغرناطية»، مجلة «الأكاديمية»، الرباط، العدد ١٥، ١٩٩٨م، ص ١٩٩، ٢٤.
- مارمول كربخال، «إفريقية»، تعريب محمد حجي وآخرين، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ومكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٤م.
- هورتز وبنشن، «تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيين» تعريب عبد العال صالح طه، مراجعة محمد محيي الأصفر، نشر دار الإشراق، قطر، ١٩٨٨م.
- الوزير الغساني، محمد بن إبراهيم، «حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار»، تحقيق محمد العربي الخطابي، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- Gafsi et Zbiss, Monuments Andalous de Tunisie, Agence Nationale du Patrimoine, Tunisie, 1993.
- Wiegers, G.A., A Learned Muslim Acquaintance of Erpenius and Golius, Ahmed b. Kasim and Arabic Studies in the Netherlands, Documentatiebureu Islam-Christendom, Leiden, 1988.

شهاب الدين المرجاني

ميثم الجنابي
موسكو ـ روسيا



مسجد المرجاني في قازان

أخذ اسم شهاب الدين المرجاني بالسطوع من جديد في سماء الرؤية الوطنية والثقافية للتتر المسلمين في روسيا بعد غياب طويل. وأخذ الاعتراف بشخصيته وأثره التاريخيين يتبدى في إطلاق اسمه على بعض الشوارع والمساجد والمدارس، وفي تحوله إلى موضع اهتمام في الأعياد الوطنية.

وللحقيقة والتاريخ ينبغي القول: إنه لم يتعرض إلى تجاهل تام في المرحلة السوفييتية، على الأقل بين المتخصصين في التاريخ الإسلامي بشكل عام، والتاريخ التركي بشكل خاص. ذلك يعني أنه أخذ يتغلغل في الوعي الوطني والثقافي للمسلمين التتر على الرغم من أنه لم يحتل بعد المكانة التي ينبغي أن يحتلها ضمن التقاليد الإسلامية العريقة، بوصفه ممثلها العقلاني والإنساني الرفيع في المنطقة. ولعل في بقاء أغلب مؤلفاته المخطوطة في الخزائن ـ بينما لم يُعدْ طبع ما طبع منها ـ إشارة إلى الاهتمام الجزئي والضيق به. ومع ذلك يمكننا القول: إن هذه «الإنجازات» نفسها تكشف عن تغير له مغزاه بالنسبة إلى شخصية كان لها على مدار النصف الثاني من القرن التاسع عشر دور متميز في تاريخ المسلمين التتر، مما جعله «الأب الروحي» للنهضة الوطنية التترية. إذ لم يعد المرجاني موضوعاً للتقويم التقدمي أو الرجعي، بل أصبح رمزاً ومصدراً للوعي الثقافي الوطني والإسلامي. من هنا تأتي أهمية إطلاع القارئ العربي على بعض سيرته بوصفها جزءاً من التراث الإسلامي.

حياته ونشاطه

ولد شهاب الدين بن بهاء الدين المرجاني عام ١٨١٨م في قرية يابانجي في تتارستان (روسيا الاتحادية) المعاصرة. وتلمذ لأبيه حتى السنة الحادية عشرة من عمره. وعندما بلغ العشرين من العمر (١٨٣٨م) سافر إلى بخارى لاستكمال تعليمه، فتأثر هناك ببعض أساتذة المدرسة الدينية، وخصوصاً حسين الكرماني الذي وجه اهتمامه نحو الدراسات التاريخية. وقد تكون عنايته بوفيات الأسلاف بإرشاد منه. وتأثر هناك أيضاً بنظام الدين الإلهامي الذي حوّل اهتمامه نحو العلوم الطبيعية. وفي بخارى وسمرقند اطلع على كتابات كورساوي، التي غيرت الكثير في مجرى حياته وشخصيته العلمية.

وبعد قضاء خمس سنوات في بخارى انتقل للدراسة في سمرقند، فدرس في مدرسة (شير دار). وتأثر هناك بالمتكلم والعالم القاضي أبي سعيد السمرقندي. وقضى هناك سنتين رجع بعدهما إلى بخارى للدراسة في مدرسة (مير عرب) الشهيرة. وبقي فيها حتى عام ١٨٤٩م، ثم رجع إلى قازان وعين إماماً للمسجد الجامع فيها، وتولى التدريس فيه.

لقد أعطت له فرصة الدراسة في بخارى وسمرقند إمكانية اختبار النفس، واختيار الطريق الفردي في التعامل مع الواقع والاعتماد على التوجهات الشخصية والعلمية؛ ففي الميدان الحياتي بلورت عنده صفات منها الاعتماد على النفس والبحث المستقل، وفي الميدان العلمي وجهته شطر الاهتمام ببعث التقاليد الإسلامية الحية ومحاربة الميت منها.

إلا أن المأثرة الكبرى لسفرته هذه تمثلت في توفيرها فرصة الاحتكاك والاطلاع المباشرين على أمات الكتب العربية والإسلامية في مختلف العلوم. وعلى أثرها استطاع إتقان العربية والفارسية. وليس مصادفة أن يكتب أغلب مؤلفاته (التي تربو على الثلاثين) باللغة العربية.

ولم يكتف بالعمل في المدرسة الدينية في مدينة قازان، بل أخذ يدرّس أيضاً في المدرسة القازانية للمعلمين الروس، مما دعا بعض المتزمتين إلى اتهامه بالزندقة والخروج عن الدين وغيرها من الاتهامات. وعلى أثرها جرى تسريحه من العمل في المدرسة الدينية مرتين على التوالي في عامي ١٨٥٤ و ١٨٧٤م.

شخصية المرجاني وأثرها التاريخي

إن شخصية المرجاني هي تجسيد حي للروح الإصلاحي العقلاني والتنويري النقدي. فهو الشخصية التاريخية الكبرى الأولى بين التتر المسلمين في روسيا، التي استطاعت إرساء التقاليد الإصلاحية العقلية في مختلف الميادين العلمية والعملية.

كان المرجاني رجلاً حراً في شخصيته وفكره، حارب التعصب وضيق الأفق الديني والثقافي والقومي، وتجلى ذلك بوضوح في موقفه من الاجتهاد والدعوة الدائمة إليه. وانطلق بذلك من يقينه بأنه لا إنسان معصوم من الخطأ، وأن الاجتهاد فضيلة، وبابه مفتوح على الدوام؛ لأن التقليد يحجر عقل الإنسان، ويقلل من قدره وقيمته، حتى من وجهة نظر الإيمان؛ وذلك لأن محاربة الاجتهاد هي منافاة لحقيقة الدين الإسلامي. فالتقليد يجعل الإنسان عبداً للماضي، ويقيد عقله الذي وهبه الله إياه للتفكير والإدراك. خصوصاً أن الإسلام لا يقر بعبودية لغير الله، ومن ثم فإن العبودية لغيره أيا كان هي منافاة لحقيقته.

> أتاحت له الدراسة في بخارى وسمرقند فرصة الاحتكاك والاطلاع المباشرين على أمات الكتب العربية والإسلامية، وإتقان اللغتين العربية والفارسية

لم تكن هذه الأفكار معزولة عما هو مميز لشخصية المرجاني من ذهن متفتح وعقل تنويري. فقد شغف منذ وقت مبكر بالاطلاع على مختلف العلوم والمعارف، وليس سفره المبكر إلى بخارى وسمرقند لتحصيل العلم سوى الصيغة الأولية لذلك. وتجلى هذا الشغف في دراساته وكتاباته اللاحقة في مختلف العلوم. فقد كتب في ميادين متعددة مثل التاريخ والاجتماع والأدب والفلسفة والطب والفلك والموسيقى وعلم الآثار.

وشأن كل ثقافة موسوعية عقلانية كان لابد لها من



منظر من مدينة قازان، ويظهر في الصورة أحد مساجدها الحديثة

أن تتصف بالنزوع النقدي، وهي رؤية متراكمة في مجرى اقتناعه العميق بضرورة تحرير العقل الإنساني من مخلفات الماضي البالية، والدعوة إلى الاجتهاد لكونه حقيقة دائمة من حقائق الإسلام. وتجلت مواقفه النقدية بوضوح في دراساته التاريخية والإنسانية (الأنثروبولوجية) ذات الصلة بتاريخ المسلمين في منطقة حوض الفولغا وتركستان. ولعل كتابه «مستفاد الأخبار» نموذج لهذه الرؤية النقدية في موقفها من تاريخ التتر بوصفه شعباً وقومية وثقافة، فقد حاول البرهنة فيه على خطل التصورات التي حاولت أن تربط تاريخياً بين تتر قازان وتتر المغول الذين دمروا الحضارة الإسلامية، وأثبت أن تتر قازان هم السكان الأصليون للمنطقة، وأن لهم دورهم التاريخي فيها بوصفهم قوة ثقافية إسلامية. ومن هذه الحصيلة رد على الأحكام والتصورات الروسية الزائفة بهذا الصدد. ومن خلال ذلك أيضاً أبرز الدور المشرق للثقافة الإسلامية والروح الوطنية التترية الأصيلة عبر الاعتزاز بالنفس وتاريخها الثقافي، كما وضعها في انتقاده اللاذع لأولئك الذين كانوا يختبئون وراء «أنا مسلم» لكي لا يتظاهروا بقوميتهم وجلاً من الروس. وكتب بهذا الصدد أن البعد بين التتري والمسلم هو كالبعد بين الفرات والنيل، أي إن لكل منهما معياره الخاص، وإن الأصالة فيهما هو تكميل أحدهما للآخر. لذا جعل من انتقاده وإدانته لجنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك، أسلوباً لتعميق الرؤية النقدية والمزاج التحرري للإصلاح الإسلامي آنذاك.

أهم كتاباته وأعماله

تبلورت شخصية المرجاني الفكرية في أثناء وجوده ودراسته الطويلة في بخارى بين أعوام ١٨٣٨ و١٨٥٠م. وكتب أغلب أعماله الأساسية باللغة العربية إضافة إلى التترية. وينسب إليه ما يقارب الثلاثين كتاباً، أكبرها وأهمها «وفيات الأسلاف». وباشر كتابة أول أعماله الفكرية في بخارى. حينذاك أنجز «إعلام الأعلام وإنباء الدهر بأحوال ما وراء النهر» الذي انتقد فيه ضيق الأفق العلمي والمعرفي المميز لتدريس العلوم الإسلامية آنذاك في بخارى وسمرقند. وأوصلته تجربته العلمية الأولى حينذاك إلى ضرورة الرجوع إلى المصادر والمراجع الأساسية للثقافة الإسلامية، ومن ثم التخلي عن مرجعية كتب الحواشي والتعليقات، أو التقليل منها إلى أقصى حد، بصفتها كتباً لا ينبغي أن تحل محل أمات الكتب الإسلامية. وكذلك كتاب «تنبيه أبناء العصر على تنزيه أنباء أبي نصر»، الذي دافع فيه عن كورساوي.

وكتب أيضاً في ميدان التاريخ الثقافي للإسلام

والفلسفة والكلام والفقه. فقد أنجز على سبيل المثال عام ١٨٧٨م كتاب «الفوائد المهمة»، تناول فيه، إلى جانب قضايا كثيرة، مسألة تاريخ الخط الكوفي، وذلك لأهميتها العلمية والروحية حينذاك بالارتباط مع استيلاء القيصرية على «مصحف عثمان بن عفان»، وحاول البرهنة فيه على عدم صحة هذا الادعاء.

لم يكن إبداع المرجاني محصوراً في علم التاريخ، فقد كتب في مختلف الميادين، وخاصة في الفقه والتفسير. ومن بين كتاباته الفقهية تجدر الإشارة إلى كتاب «حق المعرفة وحسن الإدراك». وكان اهتمامه بالفقه نابعاً من التقاليد الإسلامية العريقة التي تجعل من الفقه باباً ضرورياً للتعامل مع الحياة الدينية والدنيوية. فقد أعجب في بداية أمره بالتفتازاني، إلا أنه ابتعد عن تأثيره في وقت لاحق، خصوصاً فيما يتعلق بتفسير القرآن. ومن بين أعماله الفقهية المهمة كتاب «حق المعرفة» الذي طبع عام ١٨٨٠م. بينما احتوت كتبه مثل «الحكمة البليغة» الذي طبع عام ١٨٨٨م، و«البراق الوامض» و«العذب الفرات» وغيرها من الأعمال على أبحاث نعثر فيها، إلى جانب المادة المتخصصة، على انتقاد عقلاني رزين لمختلف أشكال الجمود الفكري ونماذجه وتقليدية الأبحاث الكلامية ومغالطاتها.

إلا أن اهتمامه الأكبر والأصيل كان موجهاً صوب الأبحاث التاريخية، ولم يكن معزولاً عن تأثره العميق بابن خلدون. لذا نراه يقلده في كتابه «مقدمة» تناول فيها أغلب القضايا التي استفاض فيها فيلسوف التاريخ الأول ابن خلدون. ونشرت هذه «المقدمة» عام ١٨٨١م، بوصفها مقدمة لكتابه الرئيس «وفيات الأسلاف وتحيات الأخلاف»، الذي حاكى به كتب الطبقات الإسلامية، إلا أنه اختلف عنها من خلال المزاوجة بين التقديم النظري على نموذج ابن خلدون، وتاريخ الأعلام الإسلاميين من مفكرين ومؤرخين وعلماء وفقهاء وصوفية وفلاسفة ومفسرين وغيرهم من أعلام الثقافة الإسلامية على نموذج «وفيات الأعيان» لابن خلكان وأمثاله. ويعدّ هذا العمل بحق أهم أعماله الفكرية. فهو لم يحتو على تجميع وتقديم لأهم الأعلام الإسلاميين في مختلف ميادين العلوم فقط، بل أدرج فيه أيضاً أعلام المناطق الإسلامية من تركستان وحوض الفولغا. مما يعني احتواءه على معلومات مهمة لدراسة الإسلام وأعلامه في تلك المنطقة وعلى امتداد مرحلة شبه مغيبة عن تناول الدراسات التاريخية والفكرية والثقافية الإسلامية المعاصرة؛ إذ تناول في كتابه هذا أكثر من ستة آلاف علم إسلامي ابتداءً من صدر الإسلام وانتهاء بمرحلة المرجاني نفسه. إلا أن من المؤسف له هو بقاء هذا الكتاب حتى الآن مخطوطاً بأجزائه الستة. وكتب أيضاً عن تاريخ تركستان (آسيا الوسطى) والبلغار والتتر كما في كتابه «غلالة الزمان في تاريخ بلغار وقازان» الذي طبع بعد ترجمته إلى الروسية عام ١٨٨٤م، وكذلك كتاب «مستفاد الأخبار» الذي طبع عام ١٨٩٧م، فقد تناول فيه تاريخ التتر في منطقة البلغار، وكذلك تاريخ الأرطة الذهبية وخانات قازان. واستطاع أن يفند في هذا الكتاب الكثير من التصورات المزيفة عن تاريخ التتر في هذه المنطقة، وكذلك البرهنة فيه على التمازج الحضاري بين تتر قازان ودولة البلغار وثقافتهم والذين أسسوا لدولة قوية ومزدهرة استمرت قروناً متعددة في المنطقة.

حارب المرجاني التعصب وضيق الأفق الديني والثقافي والقومي، وكان يقينه أنه لا إنسان معصوم من الخطأ، وأن التقليد يحجر عقل الإنسان، ويقلل من قدره وقيمته

واعتمد في أدلته على المعطيات التاريخية التي جمعها من كتابات المؤرخين المسلمين الكبار مثل ابن فضلان والمسعودي والإدريسي، ومن دراسة مختلف جوانب الحياة المادية والروحية للمنطقة من لغة وعادات وتقاليد وأعراف ونقود وبناء وملابس وما شابه ذلك.

وكانت كتاباته التاريخية هذه الأولى من نوعها من حيث اهتمامها بتاريخ القبائل وحياتها الخاصة قبل ضمها إلى الدولة الروسية، فهي تحتوي بهذا المعنى على مادة تاريخية موضوعية هائلة يمكنها أن تسلط الأضواء على حالة الشعوب الإسلامية حينذاك. وضمن الإطار نفسه تندرج كتبه مثل كتاب:

«مصطفيات الأخبار في أحوال قازان والبلغار» الذي طبع بعد وفاته في عام ١٨٩٧م، وأعيدت طباعته عام ١٩٠٠م.

أهم آرائه ومواقفه العلمية والعملية

كان المرجاني من أول المهتمين بتاريخ المناطق الإسلامية الخاضعة للدولة الروسية. وشكلت كتاباته التاريخية هذه نقلة نوعية في علم التاريخ الإسلامي آنذاك من حيث أسلوبها وغايتها على السواء. فهي لم تحتو على مواد هائلة يمكنها أن تكون مادة للتحليل المعاصر فقط، بل تميزت بأصالتها الفكرية أيضاً. فالمرجاني هو الأول من بين العلماء المسلمين في هذه المنطقة الذين أسسوا لضرورة التعامل إسلامياً مع التاريخ الذاتي للأمم الإسلامية. ولم يكن موقفه هذا معزولاً عن تأثره الشديد بكتابات ابن خلدون. وتجلى ذلك بوضوح في مقدمته لكتابه الرئيس «وفيات الأسلاف وتحية الأخلاف» . فالاسم نفسه يحتوي على توليف من الوفاء للماضي والتقدير الكبير لإبداعهم الثقافي الهائل، وفي الوقت نفسه كانت مقدمة الكتاب استعادة حية للفكرة الفلسفية التاريخية التي أبدعها قبل قرون ابن خلدون في نظرته إلى التاريخ لكونه فعلاً حياً للصراع، وقانوناً لصيرورة العمران «المدنية والحضارة». ومن ثم فإن نظرته إلى التاريخ هي استمرارية «للعبرة» التي أراد ابن خلدون استخلاصها من تجارب الحكم والمحكومين في تاريخ الدول الإسلامية. إلا أن ما يميز المرجاني بهذا الصدد هو كونه الأول من بين أوائل المفكرين المسلمين لتلك المرحلة الذي أعار اهتماماً جدياً بابن خلدون. إذ لا نعثر على مثيل له إلا عند خير الدين التونسي. غير أن الفرق بينهما يقوم على أن المرجاني سعى لرؤية التاريخ بمنظور «المتطلبات الثقافية» لا السياسية. أي إنه حاول أن يؤسس لنظرة تاريخية عن التطور الثقافي للأمم من خلال دراسة تاريخ الخلافة العربية والإسلامية ككل.

وتجلت العبرة التاريخية في إبداعه من خلال نظراته النقدية إلى التخلف والجمود الحضاري الذي أصاب عالم الإسلام آنذاك؛ فقد اعتقد المرجاني أن سبب ذلك يقوم على غلبة التقليد ومحاربة الاجتهاد. لذا نراه لم يخض جدلاً مع من اتهمه بالزندقة والخروج، مؤكداً أن حقيقة الإسلام تقوم على علو مبادئه وتسامحه الكبير، وأن الدين الحق هو الإسلام لله. ووضع هذه الفكرة في صلب تأكيده أن الإسلام هو ليس دين العادات، وليس دين العبادات، بل الدين الجامع المتسامح، الداعي للحرية والاجتهاد باسم الحق. من هنا معارضته الشديدة لممارسة التكفير، عاداً إياها أمراً منافياً لحقيقة الإسلام المتسامح الداعي إلى الحق واليسر والأمر بالمعروف والإقناع بالموعظة الحسنة والعقل السليم. لذا





منزل الشيخ المرجاني في مدينة قازان

وجد في ممارسة التكفير خروجاً عن حقيقة الإسلام؛ لأنها تتناقض مع العقل السليم وسنة الله في الوجود. ورأى محاربة العلماء والفلاسفة وأهل المعرفة من الجهل وخصال الجهلة. ووضع فكرة التوحيد والعقائد الإسلامية الكبرى في أساس نظراته الأخلاقية ودعوته للتنوير المعرفي والروحي للمسلمين؛ فقد نظر المرجاني إلى الإسلام نظرته إلى نظام توحيدي لسلوك الإنسان، مؤكداً ومشدداً على أن الإسلام هو دين العقل. ومن ثم فهو دين يحث على الحركة والفعل والتغيير والتطور المستمر.

ووضّح هذه الحصيلة في موقفه من القضايا الدنيوية، فقد وصف الإسلام بأنه دين الصلاح. لذا دعا إلى الإصلاح بما يخدم مصالح المسلمين. وشكل الموقف من العلم والمعرفة محك مواقفه هذه. فقد انطلق من موقفه العام القائل: إنه لا تعارض بين الإيمان والعلم. ولا تعارض بين الإسلام والعلم. ومن ثم فلا تعارض بين العلم والشريعة. ولا ينبغي أن تتعارض الشريعة مع العلم. وليس مصادفة أن يعير في «المقدمة» اهتماماً كبيراً لقضية العلم والعلوم العقلية والنظرية. وأن يتتبع تاريخ العلوم الإسلامية العقلية والنقلية والطبيعية وتطورها منذ نشأتها حتى الوقت المعاصر له. ويقابل ذلك بحصيلة النتاجات العلمية الطبيعية في أوربا، لكي يتوصل في نهاية المطاف إلى أن العلم الأوربي هو استمرار لإنجازات العلماء المسلمين.

وعلى استنتاجه هذا بنى حكمه القائل: إنه لا ضير على المسلمين التعلم من الأوربيين حالياً، انطلاقاً من أن العلم والمعارف العلمية أمور دنيوية، وتحصيلها ضروري بغض النظر عن منشئها ومنتجها؛ ذلك يعني أنه حاول توجيه أنظار المسلمين إلى إنجازات الحضارة الغربية، ولكنه دعا في الوقت نفسه إلى ضرورة النهوض الذاتي، وطالب بإنهاض الإسلام من الداخل. وهو إنهاض يصعب بلوغه دون مجاراة الأوربيين بشكل عام، والروس بشكل خاص (بالنسبة إلى مسلمي روسيا) في ميدان إتقان العلوم المعاصرة وأساليبها. فقد عدّ العلم والتعليم فضيلة. وطالب لهذا السبب بالتعلم من الأوربيين مختلف أصناف العلوم والتربية العلمية، ووجد في ذلك وسيلة لتحرير المسلمين.

ودعا إلى الاحتكاك الحضاري بالأوربيين والروس بشكل خاص، ووجد فيه وسيلة للرقي الذاتي، وللتحرر من سيطرتهم أيضاً. فقد اعتقد - على سبيل المثال - أن العلاقة الجيدة مع روسيا هي ضمانة تطوير المسلمين في روسيا والمناطق المجاورة لها. أي إن دعوته للتعاون مع روسيا كانت تخدم أساساً مهمة نهوض المسلمين وتطورهم علمياً وثقافياً. بينما كان موقفه من تعلم اللغات يرمي إلى الانفتاح الحضاري والبقاء ضمن حيز الانتماء الثقافي للنفس. وكتب بهذا الصدد يقول: إن الإسلام لا يقف ضد تعلم لغات الآخرين، ولا بأس من تعلم لغات الأمم جميعاً، إلا أن مما لا يغتفر له هو الجهل باللغة الأم. أي إنه طالب بالانفتاح الثقافي والتمسك بالتقاليد الذاتية الحية (الأصالة) في آن واحد.

وجد المرجاني في ممارسة التكفير خروجاً عن حقيقة الإنسان؛ لأنها تتناقض مع العقل السليم وسنة الله في الوجود، ودعا إلى التنوير المعرفي والروحي للمسلمين

تقويم عام

إن المرجاني هو أحد أعمدة الصرح الفكري والروحي لمسلمي حوض الفولغا بشكل عام والتتر منهم بشكل خاص، فقد كان وما يزال إبداعه الفكري إلى جانب كورساوي وناصري الرصيد المعنوي الهائل لوعي الذات الثقافي والقومي للتتر المسلمين في روسيا. على أن مأثرته الحقيقية تتجاوز حدود موطنه الجغرافي لتتعداه إلى المدى الإسلامي العام. وخصوصاً أن مصادره الفكرية وتربيته العقلية وانتماءه الثقافي وهمومه الأولى كانت وثيقة الارتباط بعالم الإسلام والمسلمين. وليس مصادفة أن يتأثر به رجال الإصلاح والفكر المسلمون في تركستان ومناطق حوض الفولغا عموماً. فقد تأثر به كبار رجال الفكر التحرري المسلمين للنصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مثل: أباي كونينبايف وآخان سيريه وأونيزوف وصدر الدين عيني وغيرهم.

لقد أثرت شخصيته وكتاباته في إرساء التقاليد الإصلاحية والتحررية عند الشعوب الإسلامية الخاضعة آنذاك للسيطرة الروسية؛ ومن ثم ساهمت في استثارة الهم الاجتماعي والوطني والقومي والإسلامي العقلاني والتحرري عندهم. وبهذا المعنى يمكن الإقرار بمأثرته في تعميق النزعة القومية والثقافية التحررية من نير السيطرة الروسية. إضافة إلى ما في إبداعه من قيمة وأثر في ترسيخ الرؤية التجديدية بين المسلمين، ومن ثم المساهمة المباشرة وغير المباشرة في استقطاب القوى الشابة الحية صوب «الحركة التجديدية» اللاحقة.

الهوامش

- الصور خاصة بالفيصل من د. عوض البادي.

الملف الثقافي

السعودية تستعيد آثارها واكتشافات أثرية جديدة في خمس دول عربية

المكتبات في جامعات دول الخليج

حرب الصحافة في بريطانيا

اتهام كاميلو خوسيه بالاحتيال

الإيطاليون يرفضون العولمة

القتل والسجن لصحفيي العالم



خاتمة المطاف

ثقافة الطعام

المملكة العربية السعودية وفلسطين



الأمير سلمان بن عبد العزيز

أكملت دارة الملك عبدالعزيز استعداداتها لعقد ندوة «المملكة العربية السعودية وفلسطين» التي تقام تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان ابن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس مجلس إدارة الدارة خلال الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ من المحرم الجاري ٢١ ـ ٢٣ أبريل/نيسان الجاري بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض.

وتشتمل الندوة على خمس عشرة جلسة، وسيقدّم خلالها ثلاثة وستون بحثًا وورقة عمل من نخبة من الأكاديميين والباحثين والإعلاميين من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

وسيلقي معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد محاضرة بعنوان «الأصول الشرعية لاهتمام المملكة العربية السعودية بفلسطين»، ويقدم معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورقة عمل بعنوان «رابطة العالم الإسلامي وقضية فلسطين»، بينما يقدم معالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف ورقة عمل بعنوان «تعليمنا وقضية فلسطين».

ومن بين المحاور التي تتضمنها أوراق العمل المطروحة في الندوة، منطلقات المواقف السعودية تجاه القضية الفلسطينية، والإعلام السعودي والقضية الفلسطينية، وقضية فلسطين في الأدب العربي السعودي، وكذلك الإنتاج الفكري السعودي عن القضية الفلسطينية، وإسهام المملكة العربية السعودية في حرب ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، وحرب رمضان ١٣٩٣هـ/ أكتوبر١٩٧٣م ومشروع الملك فهد للسلام.

وستخصص قاعات للنساء لحضور جلسات الندوة، كما سيقدم عدد من الباحثات أوراق عمل حول المحاور المطروحة، ويقام على هامش الندوة معرض صور بعنوان «المملكة العربية السعودية وفلسطين».

الآثار والوصية

كشف الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف في مؤتمر صحفي عقده في السابع والعشرين من مارس/آذار الماضي أن السعودية استعادت ١٤ قطعة أثرية ثمينة يعود تاريخها إلى أكثر من ٢٣٠٠ عام من متحف الساميات في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت هذه القطع قد أودعها في المتحف السيد توماس بارجر (١٩٠٩ ـ ١٩٨٦م)- الذي كان يعمل في المملكة العربية السعودية لمدة ٣٠ عامًا في شركة أرامكو - على سبيل الإعارة المؤقتة وأوصى قبل وفاته بإعادتها إلى المملكة.

وبيّن الراشد أن استعادة هذه القطع تأتي لما تمثله من ثروة وطنية لا تقدر بثمن، بالإضافة إلى الرعاية والاهتمام اللذين يجدهما قطاع الآثار والمتاحف من الحكومة. وأوضح أن السعودية على اتصال بجميع القنوات الدولية في سبيل إعادة الآثار الموجودة في الخارج والمحفوظة في المتاحف العالمية.



من الآثار السعودية

وتشمل الآثار المعادة إبريقًا له مقبض مصنوع من الفخار الأحمر المطلي، ودورقًا من الفخار الكمثري الشكل عليه طلاء كريمي، وإناء من الفخار وجرة أسطوانية، وحجرًا منحوتًا عليه كتابة إغريقية ونجرًا منحوتًا من الحجر الرملي وغير ذلك من القطع الأثرية.

وقد أقيم بهذه المناسبة حفل كبير برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز الأمين العام للهيئة العليا للسياحة رئيس مؤسسة «التراث»، ودعا سموه المواطنين والمقيمين في المملكة إلى

الامتناع عن أعمال الاستحواذ على القطع الأثرية والتاريخية وعدم اللجوء لبيعها لأي طرف، كما دعا سموه رجال الأعمال والمقتدرين في المملكة للتبرع من أجل شراء الأعمال الفنية والمحتويات الأثرية والتاريخية وتقديمها للمتحف الوطني بدلاً من التبرع بها للمتاحف العالمية. وأكدّ سموه أن مؤسسة «التراث» ستواصل جهودها من أجل استرجاع الآثار التي رحّلها موظفو شركة أرامكو وعمالها موضحًا أن عددًا منهم لديه الرغبة في إرجاع ما بحوزته على أن يجدوا التقدير اللائق.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل هناك آثار سعودية أخرى موصى بها.. وهل هناك حصر بالآثار السعودية بالخارج؟

العثيمين عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق وفي أمناء المجمع الثقافي ببيروت

تم اختيار الدكتور عبدالله الصالح العثيمين عضو مجلس الشورى والأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية، وأستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود ليكون عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق. وجاء في مسوغات اختيار العثيمين مكانته العلمية المتميزة ونشاطه الثقافي البارز.

عبدالله العثيمين

كما تم اختيار الدكتور العثيمين عضواً في مجلس أمناء المجمع الثقافي العربي الذي يضم نخبة من أعلام الفكر العرب المبرزين في المجالات الثقافية.

المكتبات في جامعات دول الخليج

بناء على الدعوة الموجهة من الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي استضافت جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان الاجتماع السادس للجنة عمداء شؤون المكتبات ومسؤوليها في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي ومراكز البحوث بدول المجلس في الفترة من ١٥ - ١٦ من المحرم الماضي الموافق ٩ - ١١ أبريل/نيسان الجاري، وقد افتتح الاجتماع بكلمة من مدير المكتبة الرئيسة الأستاذ محمد بن حمد العامري، تلتها كلمة أمانة اللجنة، ومن ثم رأس الاجتماع الأستاذ علي بن جمعة المغيري، وبعد إقرار مشروع جدول الأعمال واستعراض الوثائق ومناقشتها، توصل المجتمعون إلى الآتي:

البند الأول والثاني: تناول الاجتماع البند الأول الخاص بالتقرير المقدم من فريق العمل حول مشروع المارك العربي، والبند الثاني الخاص بالأبدال المتوافرة لهذا المشروع، كما استمع إلى نتائج الاجتماع الذي عقدته أمانة اللجنة مع وكيل OCLC في الخليج العربي، والتي تخلص إلى أن تقوم الجامعات باستخدام نظام الفهرسة الخاص بـ OCLC لفترة تجريبية مجانية مع توفير التدريب اللازم لمستخدميه من دون رسوم ومن ثم أوصى الاجتماع بالآتي:

- يؤجل النظر في التقرير المقدم من فريق العمل والخاص بمشروع المارك العربي.
- تجربة الخيار البديل وهو مشروع المارك العربي المقدم من OCLC، وذلك مدة ٦ أشهر، تقوم اللجنة بعدها بتقويمه في اجتماع يعقد بالشارقة.
- تفوض أمانة اللجنة للتنسيق مع OCLC لتنظيم الدورات التدريبية اللازمة لاستخدام النظام.
- تقوم أمانة اللجنة بمخاطبة بقية الجامعات في المنطقة وحثها على المشاركة في تجربة النظام.

البند الثالث: الخطط المستقبلية للجنة:

استعرض الاجتماع الموضوعات التي وردت إلى أمانة اللجنة، والخاصة بالخطط المستقبلية لأعمالها، وبعد نقاش أوصت بالآتي:

- أوصت اللجنة بتفعيل النشرة الإلكترونية الإخبارية التعريفية، وذلك بمدها بالنشاطات والمساهمات التي تقوم بها الجهات المشاركة.
- طلب المبادرة من الجامعات والمؤسسات الأخرى التي لم تزود أمانة اللجنة بقوائم الدوريات بإرسالها على شكل إلكتروني، ليتم استكمال بناء الفهرس الموحد للدوريات.
- التوصية بالاستفادة من مشروع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية والخاص بالرسائل الجامعية.

ـ تكليف جامعتي الإمارات العربية المتحدة والشارقة بوضع تصور لآلية تنفيذ تبادل الخبرات لمتخصصي المكتبات والمعلومات وتقديمه في الاجتماع القادم.
ـ تمت إحاطة اللجنة بتجربة المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في إنشاء اتحاد لتوحيد الاشتراكات في المصادر المتاحة، ورأت اللجنة أن يتم عرض تجربتهما في الاجتماع القادم.
البند الرابع: إعداد متخصصين في مجال المعلومات:
ـ ناقشت اللجنة موضوع الطاقات البشرية العاملة في المكتبات الجامعية، ولاحظت أن مخرجات معاهد التأهيل التي تلتحق للعمل في المكتبات الجامعية تفتقر في إعدادها إلى المهارات اللغوية المهنية، واستخدام وسائل التقنية، ونظم المعلومات الحديثة، وترى أهمية أن تأخذ الجامعات والمعاهد الخليجية التي تشارك في برامج تأهيل العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات على عاتقها مسؤولية تحديث برامجها استجابة للحاجات المحلية للعمل في المكتبات ومراكز المعلومات.
وتوصي اللجنة بأن يكون موضوع الاجتماع القادم «مخرجات التعليم وانعكاسها على العمل».
البند الخامس: تفعيل التعاون بين اللجنة وجمعيات المكتبات والمعلومات بدول مجلس التعاون:
ـ استعرض الاجتماع المذكرة الخاصة بتفعيل التعاون بين اللجنة وجمعيات المكتبات والمعلومات بدول مجلس التعاون وأحيط علماً بها.
البند السادس: مناقشة التقارير الخاصة بالدورات التدريبية الدورية التي تم تنظيمها حتى تاريخه:
ـ اطلع الاجتماع على التقرير الخاص بالدورة التدريبية الأولى التي عقدت بتنظيم من جامعة الخليج العربي خلال الفترة من (٢٣ ـ ٢٧ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠م)، وكذلك على سير الدورة التدريبية الثانية التي تنظمها جامعة الإمارات العربية المتحدة وتزامنت مع تاريخ الاجتماع (٧ ـ ١١ أبريل ٢٠٠١م) بمشاركة ٣٦ متدرباً. لما أظهرته تلك التقارير من نتائج إيجابية لهذا المشروع، وبعد نقاش، أوصى بالآتي:
ـ تنظيم دورتين تدريبيتين خلال العام الدراسي ٢٠٠١/٢٠٠٢م.
ـ تنظم جامعة البحرين دورة تدريبية حول إنشاء المكتبات «الإلكترونية»
ـ تنظم جامعة الشارقة دورة تدريبية حول «التزويد الإلكتروني».
البند السابع: تقويم نظام الإعارة بين الجامعات:
ـ استعرض الاجتماع التقرير المقدم من أمانة اللجنة حول تطبيق نظام الإعارة بين الجامعات والذي تم إعداده بناء على ما وصل إليها من استمارات خاصة بالتقويم، وبعد نقاش أوصى بالآتي:
ـ تمت إحاطة الاجتماع علماً ببعض الصعوبات التي تحد من تفعيل نظام الإعارة بين المكتبات بالمستوى المطلوب.
ـ تأكيد الاستمرار في تطبيق النظام وتفعيله، مع السرعة في الرد، وحث الجهات المشاركة على استكمال بعض التسهيلات التي تساعد على تفعيله من دون صعوبات.
ـ إضافة شعار اللجنة واسمها على نموذج الإعارة الموحد.
البند الثامن: مكان انعقاد الاجتماع السابع وموعده:
ـ تنفيذاً للتوصية الواردة في محضر الاجتماع الثالث (البند الثامن) فقد تقرر عقد الاجتماع السابع بجامعة الملك عبدالعزيز بتاريخ ٣ ـ ٥ صفر ١٤٢٣هـ (١٥ ـ ١٧ أبريل/نيسان ٢٠٠٢م)، وفي حالة تعذر عقده بجامعة الملك عبدالعزيز ينظم الاجتماع في جامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين.
وقد حضر الاجتماع مجموعة من المتخصصين في شؤون المكتبات، وهم: الأستاذ علي بن جمعة المغيري، ود. سليمان بن صالح العقلا، ود. خالد بن سليمان الشلاش، ود. سعد بن سعيد الحميدي، والأستاذ راشد نجم عبدالله، والأستاذ حمد عقيل السعدون، ود. حسام محمد سلطان العلماء، ود. بهجة مكي بو معرافي، والأستاذ أحمد محمد القطان، والأستاذ علي محمد صادق، والأستاذة منال كمال القيسي، والأستاذة تهاني حسن آل خليفة، والأستاذة سعاد علي آل خليفة، والأستاذ ناصر محمد علي، والأستاذ هادي الطالبي، ود. عطية بن عطية الله المزيني، ود. أحمد بن صالح البراك، والأستاذ عبدالرحمن عبدالله الحميدي، وأ.د. عباس صالح طاشكندي، والأستاذ عبدالله بن محمد

المنيف، ود. عادل بن عبدالله الحزاب، ود. إبراهيم جاسم لوري.

وقد تقرر إدراج موضوع تجربة المكتبات مع نظم المكتبات الآلية ضمن جدول أعمال اللجنة القادم، وتقدم الاجتماع بالشكر إلى معالي محمد بن علي الزبير رئيس جامعة السلطان قابوس.

دفاع عن القدس



دعا وزير الثقافة المصري فاروق حسني المسؤولين عن قطاع الآثار في الوطن العربي إلى المشاركة في الاجتماع العاجل الذي تقرر عقده في القاهرة في نهاية شهر أبريل/نيسان الجاري، «لحماية آثار مدينة القدس العربية» والوقوف في وجه الأطماع الإسرائيلية التي ترغب في ضم آثار القدس إليها.

وقال الوزير: «إن دعوته إلى الاجتماع جاءت بصفة عاجلة للتصدي للطلب الإسرائيلي للدورة الـ ٢٥ لمؤتمر التراث العالمي التي ستعقد في فلندا نهاية العام الحالي لضم آثار القدس إليها».

رحيل المؤرخ السعودي الذكير



صالح بن محمد الذكير

توفي في ٢٧ مارس/آذار الماضي أثر نوبة قلبية مفاجئة المؤرخ السعودي صالح بن محمد الذكير، وقد ووري جثمانه في الثرى بمدينة الخبر.

وكان الفقيد يحرر صفحة أسبوعية في صحيفة (اليوم) اليومية السعودية بعنوان «الذاكرة الضوئية»، كان يتناول فيها بالصور بعض الأحداث والشخصيات التاريخية المؤثرة في تاريخ المملكة خلال الفترة الماضية، وقد استمر في تحرير هذه الزاوية عدة سنوات، وكان شعاره الذي يتصدر صفحته الأسبوعية يقول: «تندثر الوقائع إن لم تجد من يهتم بتسجيلها، وتنمحي صور الأشخاص والأمكنة إن لم تسطع ومضة ضوئية عليها.. وفي الذاكرة الضوئية نحاول إحياء ما قد يندثر أو ينمحي لو ترك لغياهب الظلمة والنسيان».

كشف تزوير الوثائق والعملات

ينظم معهد التدريب بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالرياض في الفترة من ٧ أبريل/ نيسان إلى ٢ مايو/أيار القادم دورة تدريبية يحضرها عدد من العاملين في المختبرات الجنائية العربية تختص بالتعرف إلى استخدام الطرق العلمية والوسائل التقنية في فحص الوثائق الثبوتية والعملات الورقية والمحررات بأنواعها باستخدام الأشعة المختلفة والتحليل الكروموتغرافي للأحبار.

كذلك يتناول المنهاج العلمي للدورة موضوعات كالتعريف بطرائق فحص المستندات والخطوط اليدوية وشكلها العام، وطرائق المضاهاة، وأساليب كتابة التوقيعات وفحصها وعملية تزويرها، واستخدام جهاز الفيديو المقارن والأشعة المختلفة في التمييز بين وسائل الكتابة والأحبار، وطرائق فحص الكتابة غير المرئية وإعداد التقارير الفنية المصورة، بالإضافة إلى طرائق الكشف عن التزوير والتزييف في العملات الورقية باستخدام الأجهزة المختلفة.

الجدير بالذكر أن معهد «الفيصل» لتنمية الموارد البشرية التابع لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كان قد عقد مؤخراً دورة تدريبية عن «التزوير في المخطوطات والوثائق»، تعرف من خلالها المتدربون إلى كيفية كشف المزورين وطرائقهم والأساليب التي يتبعونها، والكيفية التي تخرج عليها المخطوطات المزورة، كما زُوِّد المتدربون بالمهارات اللازمة للتعرف إلى المخطوطات المزورة، واطلاعهم على بعض التجهيزات الحديثة التي تساعد على كشف التزوير.

المستحيل الأزرق



صدرت مؤخراً في الرياض الطبعة الأولى من كتاب «المستحيل الأزرق» للصحفي والفنان الفوتوغرافي السعودي صالح العزاز، والشاعر البحريني قاسم حداد. ويقع الكتاب في جزأين: الأول مقطوعات شعرية للشاعر البحريني قاسم حداد استوحاها من اللقطات الفوتوغرافية التي سجلها صالح العزاز، وقد ترجم هذه النصوص إلى الفرنسية الشاعر المغربي عبداللطيف اللعبي، وإلى الإنجليزية القاص البحريني نعيم عاشور، وراجعتها الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي.

وجاء الجزء الثاني من الكتاب تحت عنوان «من وحي الصور» احتوى على صور مصغرة لكل صور الكتاب مشفوعة بما يشبه الشرح لمعنى كل لقطة ومغزاها، مع توضيح مكانها وتاريخها. وأشار المؤلف إلى أن «فهرسة الصور تبدو شبه مستحيلة؛ لأن هذه اللقطات، وإن كانت ذات عناوين وأمكنة محددة، جميعها في المملكة العربية السعودية، إلا أن هذه الصور لحظات عابرة عنوانها الوحيد هو الزمن الذي لا يتوقف أبداً».

جاء في المقدمة:

كان وحيداً جداً

في تلك الصحراء

أحياناً كان يمشي إلى الوراء

ليرى أمامه أثراً ما

وهو نص شعري تم اختياره - كما قال العزاز - «من بين نصوص المسابقة الشعرية التي تجري سنوياً في باريس، وتعلق هذه النصوص داخل أنفاق المترو في العاصمة الفرنسية. وقد رأيت في هذا النص واحدة من أجمل الصور التي لم ألتقطها».

أبو دهمان ضيف الفرانكفونية



أحمد أبو دهمان

شهدت مدينة الرياض في (١٨ ـ ٢٢) أبريل/ نيسان الماضي انطلاق الدورة التاسعة لـ «لقاءات الفرانكفونية» التي تنظمها السفارة الفرنسية، شاركت فيها سفارات عدد من الدول الفرانكفونية، ولفيف من الدبلوماسيين والجاليات العربية والأجنبية بالرياض. وكان أحمد أبو دهمان، مؤلف رواية «الحزام»، ضيف شرف احتفالات الفرانكفونية هذا العام. وتحدث في بداية الاحتفالات الملحق الثقافي الفرنسي عن خطر العولمة على اللغات، وأثنى على رواية أبو دهمان «الحزام» قائلاً: إنها «تعطي صورة حقيقية عن واقع عربي تمثله السعودية خاصة أن الغرب لا يعرف عن الأمة العربية سوى البترول». أما أبو دهمان فقد دعا في مداخلته «إلى فرانكفونية تحترم خصوصيات الآخرين من دون أي هيمنة فرنسية أو غيرها، وتؤمن بالحوار واحترام ثقافات البلدان التي تجمعها الفرنسية كلغة هي القمة في ميدان المفاهيم والمصطلحات»، وقدم أبو دهمان محاضرة بعنوان «كاتب سعودي في باريس» بمكتبة الملك فهد الوطنية تحدث فيها عن تجربته الروائية الأولى ممثلة في (الحزام).

أثاث جنائزي في اليمن

عثرت بعثة التنقيب اليمنية الألمانية في مأرب على أثاث جنائزي كبير في قبر عميق في الزاوية الشمالية الشرقية بمعبد (أوام محرم بلقيس)، يشتمل على بقايا عظام، وقطع فخارية، ورخامية، وموائد، وأوان متعددة الأغراض ومباخر، وصل عددها إلى خمسين قطعة، معظمها من البرونز.

وصرح الدكتور يوسف عبدالله رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات باليمن أن جميع القطع الأثرية اكتشفت في قبر واحد من المقابر الكثيرة التي تشملها مقبرة المعبد، وعثر عليها في طبقتها كما وضعها أصحابها، وأن القبر كان لشخصين ولم ينبش من قبل. موضحاً أن القطع الأثرية لا قيمة لها إلا إذا عثر عليها

في مكانها؛ وكما كانت عليه بحيث يمكن تبيّن طبقاتها، وعلاقتها التاريخية بما حولها.

وكانت الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات باليمن قد اقتنت ٧٠ مخطوطة يمنية تحتوي على علوم مختلفة في الطب والتاريخ واللغة والأدب والفقه، بالإضافة إلى مجموعة من القطع الأثرية المتنوعة، والعملات القديمة التي تعود إلى عصور ما قبل الإسلام وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأضاف أن من أهم المخطوطات التي اقتنتها الهيئة في إطار خطتها للاقتناء خلال العام الحالي كتاب «التحفة الجامعة من مفردات الطب النافعة» ليحيي بن أبي بكر يحيى العامر، ويعود تاريخه إلى سنة ١١٣٩ للهجرة. ومخطوط يضم الجزء الأول من «البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي» للعلامة يحيى بن أحمد مظفر، ويعود إلى القرن التاسع الهجري، ومجموع يحوي عدة كتب، ورسائل مخطوطة من ضمنها كتاب «نتائج الفطن في إبراز فضائل اليمن» لمحمد العجمي الزبيدي، ويرجع تاريخها إلى سنة ١١٨٠ هجرية، ومخطوط يضم أول وثاني أجزاء أحد كتب شرح الأزهار ويتميز بحواش تحتوي على معلومات قيمة جداً، وكذلك مخطوط كتاب «مفيد الحاسب للمبتدئ الراغب في الرياضيات».

ترميمات في قصر الحمراء



رصدت مؤسسة قصر الحمراء بغرناطة مليون دولار لاستثمارها في إصلاح قاعة استقبال القصر وترميم البهو والمسالك المؤدية من ساحة الأسود إلى حدائق جنات العريف في القصر، وسيبدأ العمل - كما أوضح ماتياس ريفيا مدير المؤسسة - في غضون الأسابيع القادمة في ترميم المشوار «قاعة الاستقبال» في القصر، وهي القاعة التي كان الخلفاء يستقبلون فيها كبار ضيوفهم.

ومن المقرر أن تتم هذه الصيانة بشكل يدوي تقليدي حفاظاً على الجزئيات والخصائص التي تتعلق بالديكور والطراز العربي للبناء في تلك الحقبة، وفي سبيل ذلك قد تلجأ الإدارة إلى الاستعانة ببعض المغاربة الذين يجيدون مهنة النقش، ويحافظون على التقاليد الأندلسية خاصة مغاربة مدينة تطوان الواقعة شمال المغرب.

حرب الصحافة



شهدت العاصمة البريطانية لندن مؤخراً تبادل الاتهامات بين عدد من الكتّاب والصحافيين البريطانيين على صفحات الصحف، وقد تركزت الاتهامات حول الانحياز في تغطية أخبار الشرق الأوسط لإسرائيل أو العرب، ودارت الاتهامات حول مؤسسة «هولنجر غروب» الصحفية لمالكها الكندي الأصل كونراد بلاك التي تملك عدة صحف داخل بريطانيا وخارجها.

وكانت أول شرارة في اندلاع المعركة عندما كتب الكاتب اليوناني الأصل تاكي ثيودور أكوبولس في عموده الأسبوعي على صفحات مجلة «سبيكتاتور» موضوعاً يهاجم إسرائيل، ويتهم جهاز الاستخبارات الإسرائيلي «الموساد» بإنقاذ المليونير الأمريكي الهارب مارك ريتش الذي تطارده العدالة في بلاده في عدد من القضايا، وحذره من مغبة الانتقال بطائرته الخاصة من ملجئه في سويسرا، وأخبره أن الطائرات الأمريكية تترصده في سبيل اعتقاله، بل أن رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أيهود باراك اتصل عدة مرات بالرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون للعفو عن ريتش حيث كان العفو هو آخر قرار أصدره

كلينتون في آخر يوم من ولايته، مما أثار ضجة كبرى في الولايات المتحدة، كذلك تطرق تاكي لسجل إسرائيل «التي تطلق قذائف حارقة للدروع باتجاه من يرمونها بالحجارة»، ومذكراً بممارسة جنودها «الذين يطلقون الرصاص على الأطفال».

وتصدى كونراد بلاك للرد على تاكي، وهو صاحب مؤسسة «هولنجر غروب الصحفية» التي تملك صحف «دايلي تلجراف»، و«صنداي تلغراف»، و«جيروزاليم بوست»، ومجلة «سبيكتاتور» - التي يكتب فيها تاكي نفسه - و«جيروزاليم ريبورت»، ووصف تاكي بأنه «معاد للسامية» لانتقاده لإسرائيل، ونفى كل هذه التهم عنها مؤكداً أن ذلك مجرد «كذب يليق بجوبلز «وزير الدعاية النازي»، ثم واصل هجومه على كثير من المؤسسات الإعلامية البريطانية مثل «محطة الإذاعة البريطانية» وصحيفتي «جارديان» و«اندبندت» متهماً إياها بالتحيز للعرب ومعاداة إسرائيل.

وتوسعت المعركة ودخل في خضمها عدد من كبار الكتّاب هم: أ.ن. ويلسون، ووليام دارليمبل، وبيرزبول ريد، وتشارلز غلاس، ونصحوا القراء «أن يبحثوا عن تقارير متوازنة عن الشرق الأوسط في صحف أخرى غير صحف كونراد بلاك».

وقابل بلاك ذلك برد صاخب، واعترف أن «للفلسطينيين تظلمات عادلة يجب أن تعالج، وأن إسرائيل قد تصرفت أحياناً بصورة بشعة»، ولم يذكر الاحتلال، وإنما لام الفلسطينيين على رغبتهم في «تدمير إسرائيل»، وأنهم لم يقبلوا بسلام معها مع أنها - على حد قوله - تنازلت لهم فعلياً عن حقوقهم كافة باستثناء «السماح لملايين العرب (من اللاجئين الفلسطينيين)، والموافقة على وضع الجدار الغربي للقدس تحت إدارة إسلامية».

قد تهدأ هذه العاصفة كسابقتها حين هاجم الكاتب والناقد التشكيلي بريان سيول على صفحات «ايفيننغ ستاندارد» إسرائيل، وقد تستمر، خاصة أن الذي يقود حملة الدفاع عن إسرائيل هذه المرة ناشر كبير له وزنه وتأثيره في القرار السياسي البريطاني وربما الأمريكي.

اتهام كاميلو خوسيه بالاحتيال


كاميلو خوسيه

رفعت الكاتبة الإسبانية كارمن فورموسو دعوى قضائية ضد الكاتب كاميلو خوسيه ثيلا الحائز على جائزة نوبل للآداب، متهمة إياه بانتحال أفكار ومقاطع من قصتها «كارمن كارميلا كارمينا» وتضمينها قصته «صليب سان أندريس». وكانت كارمن - وهي أستاذة متقاعدة - قد قامت بإرسال قصتها، المسجلة رسمياً في سجل دائرة النتاجات الفكرية في ١٥ أبريل/نيسان عام ١٩٩٤م، إلى دار نشر «بلانيتا» بتاريخ ٢٠ أبريل/نيسان للمشاركة بها في المسابقة الأدبية التي تجريها الدار دورياً، بينما سجل كاميلو خوسيه ثيلا قصته في ٣٠ يونيو/حزيران من العام نفسه. واكتشفت الكاتبة بعد سنتين المشابهة بين الروايتين حيث تتفقان في الفكرة والمكان والزمان والأشخاص، وتدور الأحداث في مدينة كورونيا في عهد الجنرال فرانكو. وتقدمت كارمن عام ١٩٩٨م بدعوى ضد ثيلا إلى محكمة كورونيا (شمال إسبانيا)، فرفضت المحكمة طلبها، ولكن الكاتبة واصلت جهودها بمساعدة ابنها ومحاميها خوسيه دياث، حتى وافقت محكمة برشلونة (شمال شرق إسبانيا) على قبول الدعوى، وأمرت بالتحقيق مع ثيلا.

وقالت كارمن فورموسو: «إن ثيلا منتحل، ومن المخجل أن شخصاً حصل على جائزة نوبل للآداب أن يقوم بمثل هذا العمل»، بينما اكتفى ثيلا بالقول: «ليس لي ما أقوله سوى أن العدالة ستأخذ مجراها».

عماني يرفض خمسة ملايين دولار!

عرض أحد رجال الأعمال الألمان مبلغ خمسة ملايين دولار مقابل شراء متحف المواطن العماني محمد بن سالم المدحاني الذي يضم مقتنيات تراثية عمانية يعود تاريخ بعضها إلى فترة ما قبل الإسلام. وقد رفض المدحاني العرض موضحاً أن المتحف الذي يملكه هو ليس ملكاً لأحد بل ملك للوطن وللأجيال القادمة.

وتشمل مقتنيات المتحف مواد تراثية عمانية قديمة، ومسكوكات تاريخية، ومذكرات وطوابع وأختامًا وخواتم يعود تاريخ بعضها إلى ما قبل الإسلام، وكان المدحاني قد درج على شراء هذه المقتنيات وجمعها منذ أن كان في الثامنة من عمره.

الدرع الأزرق لحماية التراث

تم الإعلان في لندن عن تأسيس منظمة بين بريطانيا وإيرلندا تختص بحماية التراث الثقافي العالمي من الدمار في الأوقات التي تستدعي ذلك، وتحمل اسم منظمة الدرع الأزرق.

وهذه المنظمة - كما يطرح القائمون عليها - سوف تعمل على حماية الأرشيفات والمكتبات والمتاحف وقاعات العرض الأثرية والتراث الثقافي، بالإضافة إلى دفع الحكومات والمؤسسات في مختلف أنحاء العالم إلى تبني معاهدات تنص على ذلك.

كما ستشمل أعمال المنظمة جذب الحكومات والمستثمرين نحو المشاركة في حماية التراث الثقافي العالمي، وجمع خبراء يستطيعون المساعدة في أثناء الكوارث في بريطانيا وإيرلندا وجميع أنحاء العالم. وأوضحت المصادر ذاتها أن المنظمة ستعمل - ضمن خطتها الأولى التي تستمر ٤ أعوام - على تشجيع استثمار المؤسسات والسلطات في سبيل حماية التراث الثقافي العالمي، وتسهيل الوصول إلى المواقع الأثرية، وتنظيم فرق عمل متخصصة.

اكتشاف أثري في قلعة قايتباي



عثرت بعثة المجلس الأعلى للآثار المصرية - خلال عمليات الترميم - على الجزء الجنوبي الشرقي من أسوار قلعة قايتباي في الإسكندرية، وكانت أعمال الترميم السابقة للقلعة إبان فترة الحكم العثماني لمصر طمست هذا الجزء الذي عثرت عليه البعثة المكلفة أعمال تطوير القلعة الأثرية.

وقال المدير العام للآثار الإسلامية والقبطية في الإسكندرية وغرب الدلتا محمد عبدالعزيز نجم إن الجزء الذي تمت إعادة اكتشافه لم يكن معروفًا أثناء فترة الحملة الفرنسية. وأوضح أن البعثة العلمية التابعة للحملة قامت بأعمال الرفع المعماري للعناصر المختلفة لقلعة قايتباي الأثرية عام ١٧٩٩م.

وبيّن أن أهمية هذا الكشف الأثري ترجع إلى إظهار التخطيط للعناصر المعمارية في القلعة التي تم إنشاؤها عام ١٤٧٧م إبان عصر السلطان قايتباي.

قرطاج في المتحف البريطاني

تقيم تونس في عام ٢٠٠٤م معرضًا ضخمًا في المتحف البريطاني في لندن حول قرطاج والفترة الفينيقية. وقد تمّ الاتفاق على إقامة هذا المعرض في أثناء المباحثات التي أجراها وزير الثقافة التونسي عبدالباقي الهرماسي خلال زيارته إلى بريطانيا مؤخرًا مع كل من كريس سميث وزير الثقافة ووسائل الاتصال والرياضة البريطاني وجون كورتيس محافظ المتحف البريطاني.

واتفق الجانبان أيضًا على تنظيم دورات تدريبية للشباب التونسي في المتاحف البريطانية.

الإيطاليون والعولمة

اختتم «المنتدى العالمي حول الحكومة الإلكترونية» الذي جمع ممثلين عن إدارات ١٢٠ دولة، أعمال اجتماعه الثالث في ١٧ مارس/آذار الماضي في نابولي (جنوب إيطاليا)، بينما جرت مواجهات عنيفة بين رجال الشرطة ومتظاهرين مناهضين للعولمة، أسفرت عن سقوط عدد من الجرحى.

وحاول عدد من المتظاهرين التوجه إلى مركز المؤتمرات، لكن شرطة مكافحة الشغب منعتهم من الوصول، فوقعت مواجهات عنيفة بين الجانبين.

وكان وزير الداخلية الإيطالية أنزو بيانكو قد عرض على المشاركين في المؤتمر نموذجًا لـ «بطاقة هوية

إلكترونية» ستتيح في مستقبل قريب للإيطاليين احتمال استخدامها خلال زيارات الطبيب أو عند دفع رسوم مواقف البلدية.

وقال إن مليوناً من بطاقات الهوية الجديدة هذه ستوزع خلال السنة الجارية، وستكون في حوزة جميع الإيطاليين في غضون أربعة أعوام.

وعدّ وزير الخارجية الإيطالي لامبرتو ديني أن الحكومة الإلكترونية تقدم آفاقاً جديدة لفاعلية المواطنين ومشاركتهم في اتخاذ القرارات.

وأعلن وزير الإدارات الرسمية الإيطالي فرانكو باسانيني، في ختام أعمال المؤتمر، أن المنتدى العالمي المقبل سيعقد في مراكش في المغرب.

سور الصين يزداد طولاً!!



أعلن فريق من الخبراء الصينيين أن سور الصين أطول بـ ٥٠٠كلم على الأقل مما كان مقدراً حتى الآن، وأن إجمالي طوله يبلغ ٦٩٠٠ كلم. وسبب ذلك الإعلان أن علماء الآثار عثروا على أنقاض سور يمتد حتى صحراء لوب نور في منطقة كسينجيانج التي تتمتع بحكم ذاتي (شمال غرب الصين).

والقسم الذي اكتشف مؤخراً جزء من سور الصين، وهو سور يضم أبراجاً للمراقبة يمكن إرسال إشارات ضوئية منها مما يشكل نظاماً متكاملاً. وارتفاع هذا السور يراوح بين متر وثلاثة أمتار، وبعض أجزائه قد اختفى نهائياً.

ويرى الخبراء الصينيون أن القسم المكتشف لا يشكل الحدود الغربية النهائية لسور الصين، إذ عثر على أنقاض أبراج للمراقبة تصل إلى الحدود الحالية في شمال غرب الصين تقريباً.

يذكر أن سور الصين كان قد بدأ العمل به قبل ألفي عام من المحيط الهادي إلى آسيا الوسطى للتصدي للغزوات القادمة من الشمال.

اكتشافات في أم العقارب



من الآثار العراقية

اكتشف علماء آثار عراقيون مؤخراً في منطقة صحراوية مهجورة يطلق عليها اسم «أم العقارب» جنوب العراق، مدينة سومرية يعود تاريخها إلى ٢٧٠٠ عام قبل الميلاد تضم مقبرة ربما تكون أقدم المقابر التي يتم العثور عليها حتى الآن.

وقال رئيس بعثة التنقيب حيدر عبدالواحد: إن «المدينة التي تبلغ مساحتها أكثر من ستة كيلومترات مربعة تبعد نحو ٣٠٠ كيلومتر جنوب بغداد».

وأوضح أن المدينة تضم وحدات سكنية وقصراً ومعبداً ومقبرة كبيرة جداً فيها آلاف القبور تعود إلى بدايات السلالتين السومريتين الثانية والثالثة (٢٣٠٠ - ٢٠٦٠ قبل الميلاد، مؤكداً أن هذا يجعلها أقدم مقبرة أثرية في العالم.

وتابع أن القصر يتألف من سور عرضه ٢٫٥ متر ومدخل وجزء من الممر، موضحاً أنه يتألف من عدد من الغرف الصغيرة والكبيرة التي عثر في إحداها على تمثال على شكل كبش من حجر الكلس طوله ٥٠ سم وعرضه ١٥سم يبدو أنه كان يعود لأحد الأمراء.

وفي المقبرة، عثر الفريق العراقي على هياكل عظمية لبعض الرجال والنساء والأطفال من عامة الناس دفنوا في وضع القرفصاء.

وأضاف أن الفريق عثر أيضاً على أوان فخارية وأدوات وصحون وكؤوس وجرار وقلائد من الحجر الأزرق وبعض الأصداف البحرية التي كانت تستخدم زينة للنساء وفؤوساً وسكاكين.

وحول تحديد الحقبة التي تعود إليها هذه المدينة، أوضح

عبد الواحد أن ختم بعض الأرضيات بأختام تعود إلى عصر السلالة السومرية الثانية ساعدنا على تحديد الفترة الزمنية لهذه المدينة».

ورأى مدير دائرة الآثار والتراث العراقية دوني جورج من جانبه أن اكتشاف هذه المدينة «حدث بالغ الأهمية يضيف بعداً جديداً على حضارة بلاد وادي الرافدين».

وأضاف أن المدينة التي لم يعرف اسمها، واسعة. و«كانت مدينة إدارية ودينية مركزية على ما يبدو»، مشيراً إلى «وجود معبد وقصر وزقورة ومقبرة كبيرة». وكان المعبد يؤدي دوراً أساسياً في حياة المدينة السومرية. وحول القصر، قال المسؤول العراقي: إن مساحته تبلغ ٢٥٠٠ متر مربع. أما المعبد فيبلغ ارتفاعه سبعة أمتار ومبنى من اللبن المستوي المحدب وكان يرتدي أهمية فلسفية خاصة بالعالم السفلي للسومريين لأنه يشكل معبراً بين الحياة والموت.

وأشار جورج إلى «أمر لم تألفه اكتشافاتنا في جنوب العراق» وهو «العثور على زقورة ملاصقة للمعبد». وكانت الزقورات التي يعود أقدم ما اكتشف منها إلى نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، تشكل مقراً للسلطات الدينية والدنيوية. وقد نشأت الحضارة السومرية في بلاد الرافدين بين ٣٥٠٠ و ١٦٠٠ قبل الميلاد. وكانت سومر تتألف من دويلات تتمتع كل منها باستقلال ذاتي ولها حاكمها وآلهتها.

تنقيبات أثرية في الشارقة



متحف الشارقة

وصلت إلى الشارقة مؤخراً بعثة أثرية إسبانية برئاسة الدكتور خواكين كوردوسا من جامعة مدريد لاستكمال التنقيبات الأثرية في موقع الثقيبة في سهل المدام في القطاع الأوسط من إمارة الشارقة. وكانت البعثة قد كشفت خلال تنقيبات الموسم المنصرم عن مجموعة من الوحدات البنائية تمثل مواقع للسكن أو ورشات للعمل، وعثرت على مجموعة كبيرة من اللقى الأثرية المتنوعة.

ويتضمن برنامج البعثة لهذا الموسم إجراء تنقيبات في أجزاء جديدة من هذا المستوطن الواسع الذي يعود إلى فترة العصر الحديدي أو منتصف الألف الأول قبل الميلاد.

القتل والسجن لصحفيي العالم

أكدت لجنة حماية الصحافيين أن ٢٤ صحافياً قتلوا خلال أداء واجبهم المهني في العالم خلال العام الماضي. وأشارت إلى أن بينهم ١٦ صحفياً تعرضوا للاغتيال، ومازال معظم الذين أمروا بقتلهم طلقاء. وذكرت في تقرير أن «عمليات اغتيال الصحافيين قلما يعاقب عليها، ومن النادر أن يحاسب الفاعلون خصوصاً في كولومبيا وروسيا».

ففي كولومبيا، قتل ثلاثة صحافيين، العام الماضي، ليرتفع عدد الصحافيين القتلى إلى ٣٤ خلال السنوات العشر الأخيرة. كذلك قتل ثلاثة صحافيين في روسيا وثلاثة في سيراليون.

وفي المقابل، تراجع قليلاً عدد الصحافيين السجناء، إذ انخفض من ٨٧ في عام ١٩٩٩م إلى ٨١ في عام ٢٠٠٠م. وتتصدر الصين القائمة بوجود ٢٢ صحافياً في سجونها في نهاية عام ٢٠٠٠م.

واستنكر التقرير الطريقة التي يتعامل بها عدد من الأنظمة مع حق الحصول على المعلومات.

ففي كوريا الشمالية، يتعرض من يستمع إلى أنباء آتية من الخارج إلى عقوبة تصل إلى الإعدام. ووضعت اثنتان من حكومات آسيا الوسطى قيوداً أمام استخدام الإنترنت. وأمر الرئيس التركمانستاني بإغلاق كل المؤسسات الخاصة التي تقدم خدمة الاتصال بشبكة المعلومات الدولية. وقيدت كازاخستان الوصول إلى الشبكة «لأسباب تقنية».

المسلمون البولنديون

نظمت جمعية المسلمين في بولندا بالتعاون مع وزارة الخارجية البولندية في المملكة العربية السعودية في ١٨ مارس/آذار الماضي ولمدة أسبوع معرضاً للفنون


مسجد في مينسك ١٩٩٠

الفوتوغرافية بعنوان «المسلمون البولنديون» يتناول التاريخ الإسلامي في بولندا،والدور الذي قام به المسلمون في أوربا الشرقية في تطوير مختلف الجوانب الحياتية.

وقد رعى حفل افتتاح المعرض الدكتور صالح بن أحمد بن ناصر وكيل الرئيس العام لشؤون الشباب في المملكة العربية السعودية بحضور السفير البولندي تشينكوف بلومينسكي، وقد ضم المعرض ١٧٠ صورة فوتوغرافية عن حالة المسلمين البولنديين، في الماضي والحاضر وكيف تمكنوا من الاحتفاظ بمشاعرهم الدينية طيلة ٦٠٠ عام، ومشاركتهم في الحياة الاجتماعية والثقافية، والتكيف مع الواقع بكل ما فيه من سراء وضراء في التاريخ البولندي.

يذكر أن المعرض سبق أن أقيم في عدد من البلدان الإسلامية والعربية، ويتم الإعداد لإقامته في كل من جدة والدمام.

لوحات عربية في مزاد بلندن


رياض نجيب الريس

من المقرر أن تستضيف مؤسسة سوذبير في لندن في الثالث والعشرين من مايو/أيار المقبل مزاداً فنياً بعنوان «مزاد فنون العالم الإسلامي» يشتمل على مجموعة من اللوحات الزيتية لرسامين عرب في القرن العشرين. وقد وصفت سوذبير المزاد بأنه «الأول من نوعه على الصعيد العالمي» وسيقام بسبب «الاهتمام المتزايد بفنون العالم العربي الحديثة».

ويبلغ عدد اللوحات التي ستعرض للبيع في المزاد ٣٦ لوحة من مجموعة ٢٧٠ لوحة لرسامين عرب تعود ملكيتها إلى الصحفي والناشر والكاتب رياض نجيب الريس. وكان الريس قد جمع هذه اللوحات بمساعدة زوجته السيدة زينات خلال ٣٠ عاماً.

ومن أبرز اللوحات المعروضة لوحة زيتية للرسام اللبناني مصطفى فروخ قدرت قيمتها من ١٢ إلى ١٨ ألف جنيه إسترليني، وأخرى أيضاً للبناني شفيق عبود بعنوان «أصفر» قدرت قيمتها بين ١٠ و ١٥ ألف جنيه إسترليني، و«اللاعبون» للسوري لؤي كيالي من المتوقع أن تباع بمبلغ يراوح بين ١٠ و ١٥ ألف جنيه، ولوحات أخرى للفنانين صليبا الدويهي، وبول غيراغوسيان من لبنان، وفاتح المدرس من سورية، وإسماعيل فتاح من العراق، ورمسيس يونان من مصر وغيرهم.

والجدير بالذكر أن هذه اللوحات يعود تاريخها إلى القرن العشرين عدا لوحة واحدة للرسام اللبناني داود قرم تعود إلى القرن التاسع عشر.

معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية

صدر مؤخراً عن إدارة النشر بمكتبة الملك فهد الوطنية: معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية منذ دخول المطبعة إليها حتى عام ١٩٨٠م لمؤلفه الدكتور أحمد خان. نشرته المكتبة بالتعاون والتنسيق مع معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية.

الكتاب حصر ببليوجرافي شامل للمطبوعات العربية بشبه القارة الهندية بدءاً من عام ١٥٥٠م حتى عام ١٩٨٠م، إذ يتبين للقارئ العربي من خلال هذا الكتاب الدور الذي قام به شبه القارة الهندية الباكستانية في خدمة اللغة العربية ونمو آدابها الإسلامية فيها، وقد ظهرت منشورات تشير إلى هذه الخدمات منذ دخول المطبعة إليها.

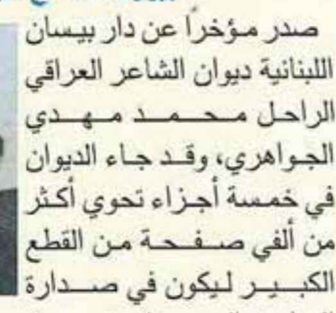
وقد سجلت بعض هذه المطبوعات في ببليوجرافيات

وأهمل بعضها، مما جعل القارئ لا يرى صورة كاملة وصحيحة للخدمات التي أسداها علماء هذا الإقليم إلى اللغة العربية وآدابها.

وهناك اعتقاد سائد بين بعض العلماء حتى اليوم - وخلافًا للواقع - أن المستشرقين هم الذين كانوا روادًا في حقل إحياء التراث، وإخراج النصوص في اللغة العربية في شبه القارة؛ بينما لم يستطع أحد من المستشرقين أن يخرج كتابًا عربيًا محققًا دون مساعدة عالم من علماء الهند!!

يقع الكتاب في ٦١٨ صفحة من القطع الكبير.

بيروت تصالح الجواهري





الجواهري

صدر مؤخراً عن دار بيسان اللبنانية ديوان الشاعر العراقي الراحل محمد مهدي الجواهري، وقد جاء الديوان في خمسة أجزاء تحوي أكثر من ألفي صفحة من القطع الكبير ليكون في صدارة الدواوين العربية من حيث الحجم وعدد الصفحات متخطيًا كل معاصريه الذين عرفوا بغزارة الإنتاج، ويأتي في طليعتهم الشاعر المصري أحمد شوقي، وقام بالتصميم والإخراج والرسوم الفنان العراقي عباس الكاظم.

وكان الشاعر، الذي رحل في عام ١٩٩٧م، يتمنى أن يخرج ديوانه في حياته، خاصة وأنه عاش ما يقرب من قرن من الزمان، ولكن الديوان لم ير النور إلا بعد أن أغمض صاحبه عينيه إلى الأبد.

وكان من المفارقات العجيبة أن يلتئم شمل الديوان في بيروت التي طردت صاحبه وأصدرت سلطاتها قرارا بمنعه من الإقامة فيها منذ عام ١٩٥١م، وظل هذا القرار ساريًا طوال هذه المدة، ولم يدخل الشاعر لبنان خلال كل هذه السنين إلا مرتين وبإذن خاص.

ويحتوي الديوان، الذي شرع صاحبه في جمعه منذ عام ١٩٢٨م في بغداد التي غادرها للمرة الأخيرة عام ١٩٧٩م، على كثير من القصائد في مختلف ضروب الشعر.

ربيع الشعراء في باريس



محمد العلي

شهد معهد العالم العربي في باريس في الفترة من ٢٨ مارس/آذار - ٢ أبريل/نيسان الماضيين الدورة الثانية للقاء الشعري العربي - الفرنسي في إطار تظاهرة «ربيع الشعراء» التي تدعو إلى إقامتها وزارة الثقافة الفرنسية سنويًا.

ويعد هذا اللقاء، الذي يتجدد للمرة الثانية، مناسبة للتعارف بين الشعراء العرب المدعوين والشعراء الفرنسيين المشاركين. وقد تضمن اللقاء عدداً من الأنشطة والندوات والمناقشات والقراءات داخل مبنى المعهد، وفي أماكن ثقافية باريسية مهمة كبيت الشعر الفرنسي، وبيت ثقافات العالم، وجامعة الدراسات العليا بمدينة ليون.

وكانت الدعوة قد وجهت إلى عدد من الشعراء العرب منهم: محمد العلي (السعودية)، وميسون صقر (الإمارات)، وإبراهيم الخالدي (الكويت)، وهدى أبلان (اليمن)، وعبدالمنعم رمضان (مصر)، ومحمد زكريا (فلسطين)، وعبدالله زريقة (المغرب)، وبول شاؤول (لبنان)، وفاضل العزاوي (العراق)، وعادل محمود (سورية)، وإيمان مرسال (مصر)، وخالد المطاوع (ليبيا)، ودنيا ميخائيل (العراق)، وأمجد ناصر (الأردن).

رحيل الكاتب الأمريكي لودلوم

توفي مؤخـرًا الكاتب الأمريكي روبرت لودلوم الذي يعد أحد أشهر كتّاب الروايات البوليسية المثيرة، وصاحب أعلى رقم مبيعات كتب في هذا المجال، فقد بلغت كتبه المبيعة ٢٠٠ مليون نسخة، ومع ذلك لم يسلم لودلوم من النقد، وقد اتهمه الكتّاب والصحفيون بالإخفاق، وكان ذلك سببًا في ازدياد مبيعات كتبه!

ألفّ لودلوم أكثر من ٢٠ رواية، كانت أولاها في مطلع السبعينيات، وجاءت بعنوان «ميراث سكارلاتي» ثم توالت كتاباته التي كانت تدور حول الجاسوسية والإثارة، وكان لودلوم يمتلك مقدرة فائقة على المزج بين الواقع والخيال.

فاروق خورشيد رئيساً لاتحاد كتاب مصر

فاز الكاتب فاروق خورشيد برئاسة مجلس إدارة اتحاد كتّاب مصر في انتخابات هيئة المكتب التي أجريت في وقت متأخر من مساء الثلاثاء ٢٧ مارس/آذار الماضي.

وحصل خورشيد على ١٦صوتاً من إجمالي عدد أصوات مجلس إدارة الاتحاد الثلاثين، بينما حصل كل من منافسيه الأديب محمد جبريل والإذاعي حمدي الكنيسي على سبعة أصوات.

ولد خورشيد في القاهرة في مارس /آذار ١٩٢٨م، وتدرج في العمل في الإذاعة المصرية حتى وصل إلى منصب المدير العام لإذاعة الشرق الأوسط المصرية، ثم مدير إذاعة الشعب. وهو معروف باهتمامه الكبير بالسير الشعبية. ومن مجموعاته القصصية «القرصان والتنين» و«كل الأنهار»، ومن رواياته «خمسة وسادسهم» و«الزمن الميت» وهو حائز على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩٠م.

وكان الشاعر فاروق شوشة رئيس الاتحاد السابق قد امتنع عن الترشيح لمنصب الرئيس على الرغم من بقائه عضواً بالمجلس خلال العامين القادمين.

وفاز محمد السيد عيد بمنصب نائب الرئيس بعد حصوله على ١٥ صوتاً مقابل سبعة أصوات لكل من الدكتور طه وادي والدكتور مدحت الجيار.

يرموتا



من الآثار اللبنانية

اكتشفت مؤخراً بقايا مدينة عمرها أربعة آلاف عام تدعى «يرموتا» تحت سطح البحر بالقرب من شاطئ جنوب لبنان مما يشكل دليلاً إضافياً على نظرية غوص الساحل الشرقي للبحر المتوسط تدريجياً.

وأكد المؤرخ اللبناني يوسف الحوراني لوكالة الصحافة الفرنسية أن اكتشاف بقايا «يرموتا» التي تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد تحت سطح البحر مقابل بلدة الزهراني، شمال صور، هو «دليل إضافي على غوص الساحل اللبناني تدريجياً وهو ما يندرج في إطار نظرية غوص الحوض الشرقي للبحر المتوسط». وقد أمضى الحوراني أربعين عاماً في دراسة آثار المدن القديمة التي كانت على ساحل لبنان ثم اختفت، وفي جمع الوثائق عنها.

وقال المؤرخ اللبناني «تولدت عندي نظرية غوص الساحل اللبناني في البحر من خلال وجود آثار كثيرة مدفونة تحت مياه البحر».

رواية تحصل على ٨ ملايين دولار

أصبح هاري كونزرو الكاتب البريطاني المغمور - الكشميري الأصل - أحد المشاهير المعاصرين في العالم بعد أن وقع مؤخراً على واحدة من أكبر الصفقات بالنسبة إلى أول رواية في تاريخ الأدب على جانبي الأطلسي وذلك بقيمة تبلغ حوالي ٨,١ ملايين دولار.

وأوضحت صحيفة ديلي تلغراف أن كونزرو تلقى هذا المبلغ بعد أن صار عمله الروائي الانطباعي سبباً في اشتعال حرب لانتزاع حقوق النشر على جانبي الأطلسي. ونسبت الصحيفة إلى الكاتب قوله: «إن المنتجين السينمائيين في هوليود أبدوا اهتماماً كبيراً بشراء حقوق النشر» وأضاف كونزرو: «لم أكن أتوقع رد فعل مثل هذا على الإطلاق.. إنني أشعر بسعادة غامرة».

سهى بشارة وسنوات السجن

بحضور ثلاث من المعتقلات اللبنانيات السابقات في سجن الخيام هن سهى بشارة، ورباب عواضة، وكوزيت إبراهيم عرض مؤخراً في معهد العالم العربي بباريس الفيلم التسجيلي «سهى، الحياة بعد جهنم» الذي أخرجته اللبنانية رندا شهال عن سجن الخيام.

ويدور الفيلم حول شخصية سهى بشارة التي أمضت في سجن الخيام (جهنم) عشر سنوات بعد محاولتها اغتيال الجنرال أنطوان لحد قائد ميليشيا جيش لبنان

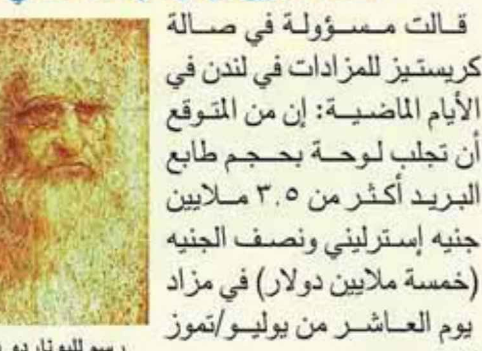
الجنوبي السابقة التي كانت تابعة لإسرائيل، والذي حكمت عليه الدولة اللبنانية بالإعدام.

وقالت سهى في كلمة سبقت عرض الفيلم: إن هذا العمل «كان حتى نتكلم وحتى نشهد وحتى نوصل صوتنا، في معركة ملتزمة ومازال يسقط فيها شهداء».

وأضافت سهى: «هناك قضية واضحة موجودة وترافقنا وليست وليدة الساعة، وهناك أناس في هذه اللحظات يحاولون التغلب على بؤسهم» في إشارة إلى الفلسطينيين.

وقدمت المخرجة المقيمة في باريس رندا شهال اعتذاراً عن بعض الجوانب التقنية في الفيلم، أما المنتجة الفرنسية فابيان سيرفان شريبيل التي نظمت العرض فقد وصفته بأنه «متواضع لكنه مليء بالإحساس والالتزام».

خمسة ملايين دولار للوحة لدافنشي



رسم لليوناردو دافنشي

قالت مسؤولة في صالة كريستيز للمزادات في لندن في الأيام الماضية: إن من المتوقع أن تجلب لوحة بحجم طابع البريد أكثر من ٣.٥ ملايين جنيه إسترليني ونصف الجنيه (خمسة ملايين دولار) في مزاد يوم العاشر من يوليو/تموز المقبل.

وتحمل قطعة الورق رسماً تخطيطياً لليوناردو دافنشي لحصان يمتطيه فارس كان الفنان الإيطالي يعد به للوحته «ملوك المجوس» المعروضة في متحف أوفيزي بفلورنسا. وقالت كاترين فنستون من صالة كريستيز لرويترز «قد يكون أهم رسم لفنان يعرض في مزاد خلال حوالي قرن».

وأفادت أن قطعة الورق التي يعود تاريخها إلى ٥٠٠ عام ولا يزيد عرضها على ثمانية سنتميترات وطولها على سنتيمتر هي أهم عمل لفنان عصر النهضة يمتلكه أفراد. وظل الرسم الذي أعد بقلم فضي ضمن مجموعة خاصة في بروفيدنس في رود أيلاند بالولايات المتحدة على مدى أكثر من ٧٠ عاماً.

معرض تجار الفن!



رامبرانت

أقيم في العاصمة الهولندية مؤخراً المعرض الأوربي للفنون الجميلة الذي شارك فيه نحو ٢٠٠ من أكبر تجار اللوحات الفنية القديمة في العالم.

وقد عرض خلال هذا المعرض لوحة «السيدة الهولندية» التي رسمها الفنان الهولندي رامبرانت، وبيعت في مزاد صالة كريستي اللندنية في العام الماضي بمبلغ ١٩,٨ مليون جنيه إسترليني، إذ اشتراها التاجر روبير نورتمان الذي يعرضها للبيع حالياً بنحو ٢٥ مليون جنيه إسترليني.

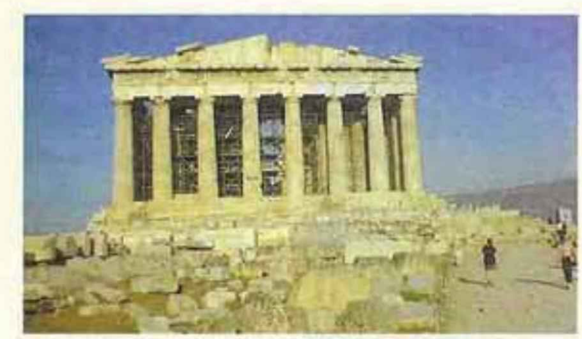
كذلك يضم المعرض ست لوحات للفنان إيجون شيل يقدر ثمنها بمبلغ يراوح بين ٨٠ ألف دولار ومليون دولار، إضافة إلى لوحات تعبر عن الفن المصري القديم، وبعض المجوهرات القديمة.

مخطوطات غرناطة

تقدمت ست جمعيات منضوية في إطار منصة (غرناطة - ٢٠٠٠)، ومئة وخمسون شخصية جامعية من مختلف أنحاء إسبانيا، بعريضة إلى مستشارية الثقافة بحكومة إقليم الأندلس بإسبانيا تطلب فيها العمل على إعادة الكتب التي نجت من المحرقة التي حدثت قبل ٥٠٠ عام إلى مدينة غرناطة.

وكانت هذه الكتب، وعددها «أربعة آلاف مخطوط غرناطي»، قد نجت من المحرقة في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ونقلت بأمر الملك فيليب الثاني إلى مكتبة الإسكوريال قرب مدريد، وكان كثير من الكتب العربية والإسلامية قد تعرضت للحرق من الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تعد هذه الكتب آنذاك «كتب كفر».

وقد شدد الموقعون على «الحاجة المطلقة إلى أن يستعيد إقليم الأندلس ذاكرته التاريخية انطلاقاً من تراثه التاريخي والثقافي الضائع الذي يشكل الهوية الحقيقية الملموسة للأندلس». وقد أبدت حكومة الإقليم استعداداً جيداً للتجاوب مع هذا الطلب.



البارثينون

بريطانيا وآثار اليونان

ذكرت وكالة أنباء أثينا أن ايفانجيلوس فينزيلوس وزير الثقافة اليوناني بعث في ١١ مارس/آذار الماضي برسالة إلى نظيره البريطاني يطلب منه فيها توضيحاً حول اختفاء تمثال يوناني قديم من المتحف البريطاني.

والتمثال المعني هو جزء من إفريز معبد إبيكوريوس أبوللو الذي تم بناؤه في بيلوبونيس خلال فترة ٤٢٠ - ٤٠٠ قبل الميلاد، ويعد من أهم آثار الفترة الكلاسيكية بعد البارثينون في أثينا. وكان التمثال المفقود محفوظاً في أحد المستودعات بالمتحف البريطاني، ووضع مؤخراً في الإفريز الذي عرض في المتحف.

وقد أبلغت السفارة اليونانية في لندن إيفانجيلوس فينزيلوس وزير الثقافة في وقت متأخر في ٩ مارس/آذار الماضي باختفاء التمثال.

وقال فينزيلوس في مؤتمر صحفي إن سرقة التمثال أسقطت الحجة الأساسية التي يتذرع بها المتحف البريطاني لتسويغ رفضه لإعادة تماثيل بارثينون الرخامية إلى اليونان، وهي الزعم بافتقار الأمن في أثينا.

وقال فينزيلوس «ربما تعد هذه فرصة للجميع في بريطانيا لإعادة التفكير، بهدوء بالغ، بالنسبة إلى ما ينبغي أن يكون عليه موقفهم بالنسبة إلى إعادة التماثيل».

من جانبه أكد رئيس الوزراء البريطاني توني بلير رفض المتحف البريطاني في لندن رد تيجان أعمدة رخامية لمعبد بارثينون إلى اليونان التي تطالب بها منذ عقود بوصفها تراثاً ثقافياً «مسلوباً».

وقال بلير في حديث مع صحيفة «تو فيما»: إن «تيجان أعمدة معبد بارثينون ملك للمتحف البريطاني، وهو حسب معلوماتي لا يعتزم إعادة أي جزء من مجموعاته إلى بلده الأصلي».

وكانت اليونان قد دعت المسؤولين البريطانيين إلى إعادة تيجان أعمدة الواجهة الشرقية لمعبد بارثينون التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وهي ٥٦ لوحة منحوتة من الرخام يبلغ طولها ٧٥ متراً و ١٢ تمثالاً.

ورداً على سؤال لمعرفة هل من المحتمل إعادة منحوتات البارثينون إلى اليونان قبل دورة الألعاب الأولمبية التي ستنظم في أثينا ٢٠٠٤م، قال بلير إنه «يمكن لستة ملايين شخص يزورون سنوياً المتحف البريطاني تأمل جمال الرخام والتحقق من مساهمة اليونان في حضارة العالم».

ويؤكد متخصصون يونانيون أن المتحف البريطاني قد يجد صيغة للحفاظ على هذه المنحوتات وعرضها في أثينا.



مؤلفة الكتاب مع ملكة بريطانيا

«هاري بوتر» يحصد الملايين

قالت دار النشر البريطانية بلومزبري: إن مبيعاتها الواسعة من سلسلة كتاب «هاري بوتر» الشعبية التي ألفتها الكاتبة البريطانية جي كي رولنج ساعدت على مضاعفة أرباحها في عام ٢٠٠٠م لتصل إلى ٥.٧٦ ملايين جنيه إسترليني (٨.٦ ملايين دولار). وتوقعت الدار أن تسهم السلسلة في زيادة الأرباح في العام الحالي ٢٠٠١م. ونقل موقع صحيفة «فايننشيال تايمز» البريطانية على الإنترنت أن الكتاب الرابع في سلسلة «هاري بوتر وكأس النار» أصبح الأكثر مبيعاً في التاريخ بعد نشره في يوليو/تموز المنصرم. وأضافت

«بلومزبري» أنها تتوقع مزيداً من الأرباح عندما يطلق الفيلم المعتمد على الكتاب الأول في السلسلة نهاية العام الحالي. وقالت دار النشر البريطانية إن أرباحها تعززت أيضاً عبر مبيعات كتب أخرى بينها رواية البريطانية: جوانا ترولوب الموسومة بـ«الزواج من العشيقة»، ورواية «السفاك الضرير» للكندية مارجريت أتوود التي فازت بجائزة «بوكر» البريطانية الأخيرة.



متحف السودان

اكتشافات ومتاحف في السودان

يشهد السودان حالياً أعمالاً مكثفة في مجال التنقيب والحفريات الأثرية والمتاحف، ففي مجال الآثار اكتشفت بعثة أثرية مشتركة بين الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية ومتحف أونتاريو الملكي في كندا مؤخراً مدينة أثرية متكاملة تمتد بمساحة ١٥كم مربع بمنطقة الضانقيل التي تبعد مسافة ١٥كم شمال مدينة بربر بولاية نهر النيل. ويرجع تاريخ هذه المدينة المكتشفة إلى الحضارات المَروية في القرن الثاني قبل الميلاد.

وقد صرح الدكتور صلاح الدين محمد أحمد أمين أمانة الآثار بالهيئة القومية للآثار والمتاحف ورئيس البعثة أن العمل سيتواصل في هذه المدينة المكتشفة حتى يتم الكشف عن قصر الحاكم والاستحكامات العسكرية ومنازل القادة والجنود، وقد يستغرق ذلك عدة سنوات. وقد وصف الباحثون في مجال الآثار هذه المدينة بأنها من أهم المدن التي ظلت مفقودة في العهد المروي، وهي تحتوي على معبد ملكي كامل، وهو أحد ثلاثة معابد للإله آمون.

ومن ناحية المتاحف أعلن أمين المتاحف السودانية صديق محمد قسم السيد عن خطة جديدة لإنشاء متحف عام في كل ولاية، بجانب الإسهام في قيام متاحف متخصصة، وأضاف أنهم - بالتعاون مع جامعة الخرطوم - بصدد تأهيل المتاحف القائمة مثل قصر السلطان علي دينار بولاية شمال دارفور، ومتحف شيكان بالأبيض غرب السودان، ومتحف البركل بكريمة شمال السودان. كذلك يجري العمل على إنشا عدد من المتاحف المتخصصة والمرتبطة بالمؤسسات مثل متحف سكة الحديد، ومتحف الجمارك، والمتحف الحربي، ومتحف القصر الذي افتتح رسمياً للجمهور بعد اكتمال العمل فيه.

إعلان جوائز الطاهر الحداد



الطاهر الحداد

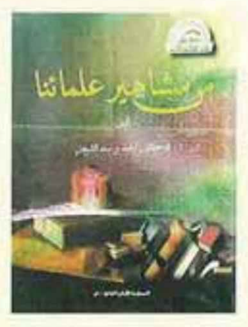
تنافس ٣٧ أديباً وشاعراً من الجنسين في مجالي القصة والشعر باللغتين العربية والفرنسية لنيل جائزة الطاهر الحداد لعام ٢٠٠٠م التي درج النادي الثقافي «الطاهر الحداد» على منحها منذ عام ١٩٧٨م. وقد فاز بالجائزة الكاتب التونسي الأزهر الصحراوي عن روايته «لقد دبَّ السوس في الأخشاب» باللغة العربية، والشاعران مراد الثابت عن ديوانه «صباح الخير أيها الماعز الأشقر» باللغة العربية، وعائدة حمزة عن ديوانها «شابلي دي مو» باللغة الفرنسية، بينما حجبت جائزة أحسن رواية باللغة الفرنسية.

ونوهت لجنة التحكيم ببعض الأعمال، وأشادت بمستواها الأدبي وطرافة طرحها، من هذه الأعمال: المجموعة القصصية (ولادة) لأنور البصلي، والمجموعات الشعرية (مراثي القرن) لمجدي بن عيسى، و(غابةتتذكر أحزانها) لعامر بو عزة، و(إثم البداية) لمكي الهمامي.

يذكر أن الجائزة تمنح كل سنتين في مجالي القصة والشعر تكريماً للمصلح التونسي الطاهر الحداد (١٨٩٩ - ١٩٣٥م) ودوره الرائد في تحرير المرأة والنهوض بها، ونشر الوعي في المجتمع، ومن أهم إصداراته كتاب «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» عام ١٩٣٠م.



الشويعر، محمد بن سعد/ من مشاهير علمائنا. ـ الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٨٧ص.



درج النادي الأدبي بالطائف على تقديم محاضرة صيفية كل عام عن علم من أعلام المملكة العربية السعودية من الذين تركوا بصمات بارزة، واحدثوا أثراً في البلاد. والكتاب الذي بين أيدينا حصيلة لهذا الجهد، أراد القائمون على أمر النادي إفادة القارئ فجمعوا هذه المحاضرات في كتاب واحد ليتيسر تناوله، ويسهل حصوله لمن يريد معرفة سير هؤلاء العلماء.

يحتوي الكتاب على سيرة عدد كبير من هؤلاء العلماء شملت مولدهم، ونشأتهم، وصفاتهم، ومؤلفاتهم، وتلاميذهم، إلى آخر الصفات حتى وفاتهم. والعلماء الذين ضمهم الكتاب هم: الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣١١ ـ ١٣٨٩هـ)، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (١٣٣٠ ـ ١٤٢٠هـ)، والشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع (١٣٠٠ـ ١٣٨٥هـ)، والشيخ عبدالله القرعاوي (١٣١٥ـ ١٣٨٩هـ)، والشيخ عبدالرحمن السعدي (١٣٠٧ ـ ١٣٧٦هـ)، والشيخ محمد البواردي (١٣١٩ ـ ١٤٠٤هـ)، والشيخ حافظ الحكمي (١٣٤٢ ـ ١٣٧٧هـ).

غليون، برهان، وأمين، سمير/ ثقافة العولمة وعولمة الثقافة. ط٢. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢٣٧ص.

ماتزال العولمة تمثل هاجساً وتثير جدلاً واسعاً في جميع أرجاء العالم؛ لأنها مرتبطة بالواقع والمستقبل، وقد تباينت حولها وجهات النظر، فهناك من يدافع عنها لكونها تقدم فرصاً يمكن إذا استغلت أن تخرج المجتمعات العربية من حلقة التخلف والقهر والاستبداد، وهناك من يقف ضدها بوصفها أداة جديدة للهيمنة الدولية.

ناقش الباحثان موضوع العولمة من جميع جوانبه، وأدلى كل منهما بقناعاته وحججه، ثم عقب كل منهما على ورقة الآخر، وقد اتفق الكاتبان على عدد من القضايا منها «اعتبار العولمة واقعاً موضوعياً، شأنها في ذلك شأن جميع الظواهر الاجتماعية، وذلك مهما كان تعريفها وتحديد مضمونها»، كما اتفقا أيضاً على «أن الوقائع الموضوعية لا تفرض نفسها على المجتمعات فرضاً حتمياً؛ بحيث إنه لا يكون للمجتمعات خيار آخر سوى الاندراج في سيرورتها».كما اختلفا في بعض القضايا.

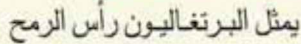
كذلك توصل الكاتبان إلى استنتاج مضمونه «أن التقوقع الثقافي، ورفض التفاعل مع الثقافات الأخرى يمثل إستراتيجية محكومة بالفشل».

في ختام الكتاب فهرس عام، وتعاريف لبعض المصطلحات الواردة في الكتاب، أعدها محمد صهيب الشريف الذي أورد المصطلح باللغتين العربية والإنجليزية ومن ثم شرح المصطلح.

السلمان، محمد حميد/الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين ١٥٠٧ ـ ١٥٢٥م. ـ العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٣٤٥ص.



يمثل البرتغاليون رأس الرمح في قناة الاستعمار العالمي الحديث، لكونهم أول الوافدين الغربيين إلى الشرق بأساطيلهم ومدافعهم، مستهدفين ضرب الإسلام والمسلمين، مستفيدين ـ لتحقيق ذلك ـ من الصراعات والنزاعات التي كانت مشتعلة بين القوى الرئيسة في المنطقة. تناول المؤلف في هذا الكتاب غزو البرتغال للجنوب العربي والخليج مستعرضاً سيرتهم في سواحل هذه المنطقة، والحروب التي شنوها، والثورات الوطنية التي اندلعت ضدهم والتي كتبت لبعضها النجاح وأخفقت الأخرى لأسباب منها: التنافس الإقليمي على السلطة والنفوذ، وقد جاء ذلك في سبعة فصول، تناول في الأول: «الاستعمار البرتغالي في بحار الشرق ودوافعه»،



وفي الثاني «الأوضاع السياسية في مشرق العالم الإسلامي عند مجيء البرتغاليين»، وجاء الثالث عن «الكيانات السياسية المحلية في الخليج وجنوب الجزيرة العربية إبان الغزو البرتغالي للمنطقة»، والرابع عن «الغزو البرتغالي لعمان والخليج العربي»، وتناول في الخامس «الجبور ومقاومتهم مشروعات البرتغاليين لغزو البحرين»، وجاء السادس عن «المشروعات البرتغالية لغزو الجنوب العربي والبحر الأحمر والمقاومة العربية الإسلامية لها»، والسابع عن «ثورة عام ١٥٢١م في الخليج العربي ضد البرتغاليين ونتائجها».

اعتمد الكاتب على عدد من المصادر المخطوطة والكتب والمذكرات البرتغالية المترجمة من مصادرها مباشرة، بالإضافة إلى بعض المصادر والمراجع العربية والفارسية المهمة.

مجموعة كتّاب/ الوطنية كائن هلامي.. أم نحن؟. الرياض: مجلة المعرفة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٨١ص (سلسلة كتاب المعرفة؛١٠).

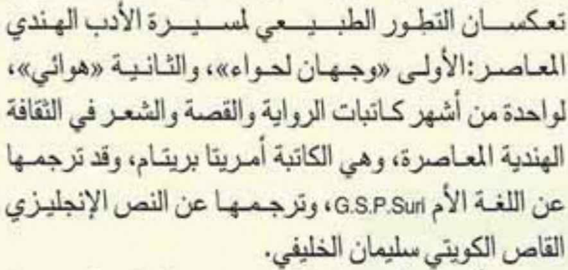
ماذا تعني الوطنية، وكيف نُصلّب هلاميتها؟ وهل الوطنية هي العَلَم ونشيد العَلَم؟ أم إنها مفهوم يعلن مجيئه عبر هذين الرمزين، ثم يتجاوزهما نحو أعماق المفهوم والدلالة والممارسة للوطنية الصرفة؟ هل الوطنية مشروع صهر المجموع في واحد، أم أنها وجه «شوفيني» يلمّع المواطن.. في سبيل ازدراء غير المواطن؟ ثم هل الوطنية عند العرب هي ذات المفهوم عند الأمريكان، وعند اليابان، أم إن التفسيرات لها تختلف كما تختلف الممارسة؟

بهذه الأسئلة وغيرها قدّم زياد بن عبدالله الدريس رئيس تحرير سلسلة كتاب المعرفة لكتاب المعرفة الذي جاء تحت عنوان «الوطنية كائن هلامي.. أم نحن؟»، وقد أجاب عن هذه الأسئلة عدد من المثقفين والمفكرين فجاءت إجاباتهم تحت عدة عناوين، وكان هذا الكتاب حصيلة إجاباتهم.

شارك في الإجابة ومن ثمّ تأليف الكتاب كل من: علي المزروعي، ومحمد عمارة، وفيصل الزامل، وبرهان غليون، ووليد نويهض، ومحمد العمر، ومحمود سفر، وجون أندرسون، وأنس الحجي، وعبدالعزيز الخويطر، والفضل شلق، وناصر الرشيد، وجون اسبوزيتو، وعبدالعزيز الوهيبي، وعبدالكريم بكار، وعبدالرحمن الزنيدي.



بريتام، أمريتا/ وجهان لحواء (رواية)، ترجمة: سليمان الخليفي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠م، ١٨٣ص (سلسلة إبداعات عالمية؛ ٣٢٦).



يحتوي الكتاب على قصتين تعكسان التطور الطبيعي لسيرة الأدب الهندي المعاصر: الأولى «وجهان لحواء»، والثانية «هوائي»، لواحدة من أشهر كاتبات الرواية والقصة والشعر في الثقافة الهندية المعاصرة، وهي الكاتبة أمريتا بريتام، وقد ترجمها عن اللغة الأم G.S.P.Suri، وترجمها عن النص الإنجليزي القاص الكويتي سليمان الخليفي.

تدور أحداث القصة الأولى «وجهان لحواء» حول الصراع بين المرأة والمرأة من أجل الفوز بالحب، بينما نرى، في القصة الثانية، نوعاً جديداً من القصص الهندي للمؤلفة نفسها يمتاز بالشفافية والرمز، ولعل عنوان القصة نفسها «هوائي» يوحي بذلك.



قاري، عبدالغفور عبدالفتاح/ معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات: إنجليزي عربي. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٣٤٩ص (السلسلة الثالثة؛ ٤٠).

تنبع أهمية هذا المعجم من جدته وحداثته؛ إذ إن الكثير من المعجمات الموجودة الآن في مجال علم المكتبات والمعلومات يعد قديماً، أي منذ الثمانينيات والسبعينيات الميلادية، وقد حدث كثير من التطورات في

مـجـال علم المكتـبات والمعلومات مما اسـتلزم وضـع مـعـجم فكري لتلبية احتياجات المستفيدين في هذا المجال.

يحـتـوي المعـجـم على الكلمـات والمصطلـحـات الشـائـعـة الاسـتـعـمال في مـجال المكتـبات والمعلومـات، بالإضافـة إلى مصطلحات الإنتـرنت الحديثة، كما يضم أيضـاً مصطلحات مواد مناهج البحث العلمي والإحـصاء والإدارة. وقد جاء في أكثر من ١٥٠٠ كلمة أو مصطلح علمي شائع الاستعمال في مناهج علم المكتبات والمعلومات، تم ترتيبها ترتيباً هجائياً وفقاً للحـروف الإنجليـزية A إلى Z، كـمـا اسـتـخـدم كلمـة (انظر) كإحالة لربط المصطلحـات ذات العلاقة فيمـا بينها، وتم شرح المصطلحـات بصـورة وافيـة بصـيغ مخـتلفـة. واسـتـخـدمت الشـرطـة المائلة (/) لتـعنـي (أو) بدلاً من تكرار اللفظـة مـثل «الخزانة/ الصندوق».

قدم للمعجم الأستـاذ الدكـتور عـباس صـالح طاشكندي، واحـتوى في نهـايتـه على ملاحق مـعلومـاتية عن الإنتـرنت وجداول لبعض التوزيعات الإحصائية.

الأنصـاري، عـبـدالرحـمن الطيب، وأبو الحسن، حسين/ حضارة مدينتين: العلا ومدائن صـالح.. الرياض: دار القـوافل للنشـر والتـوزيع، ٢٠٠١م، ١٢٨ص (سلسلة قـرى ظاهرة على طريق البخور؛١)

هذا الكتاب هو الطبعة الإنجليزية لكتاب حضارة مدينتين: العـلا ومـدائن صـالح، وهو الأول من سلسلة «قـرى ظاهرة على طريق البـخـور» تـعتـزم دار القـوافل للنشـر والتـوزيع إصدارها بالـلغات العربيـة والألمانية والإنجليـزية والفرنسـية واليـابانيـة، وسـتـتناول هذه السلسلة جـمـيـع المواقع الأثرية والتاريخية في المملكة العربية السعودية.

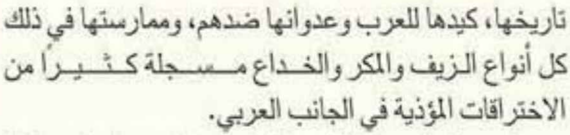
ومع أن هذا الموضوع عـولج من كثيـر من العلماء إلا أن العـرض في هذا الكتـاب يتم بصـورة مخـتلفـة في الصـيغـة والشكل؛ إذ يتناول حـضارة مـدينتين من أصل مـدن كثـيرة تقع على مـا يسمى بطريق البـخـور، وهو الطريق التـجاري القديم الذي استخدم للربط بين الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة العربيـة مع الهلال الخصيب، ومـصـر، وكان يمر عبـر عدد من المدن القديمة التي ستخصص لها هذه السلسلة.

يطوف القـارئ ـ في الجـزء الأول من هذا الكتـاب ـ في رحلة ماتعـة عبر أبرز المواقع الأثريـة والتاريخيـة في منطقة العلا ومـدائن صالح الغنيـة بالروائع التاريخـية والحـضارية، وسـيـجد القـارئ مـعلومـات ثرة عن مملكتي ديدان ولحـيـان اللتين أنشئتا في العـلا تشمل سكانهما، ومعتـقداتهما الدينية، وحياتهما الاقتصادية والسيـاسية ثم يتبع ذلك دراسة مسحية موجزة لأكثر المواقع الأثرية أهمية في العلا.

أمـا الجـزء الثـاني فـقـد خـصص للـحـديث عن الحـجـر «مـدائن صالح»، وقـدم دراسة مـسـحـية لبـعض النظريات التي وضـعـهـا المؤرخـون عن نشـأة الحـجـر، وأهمـيـتـهـا، ومـواردها الكلاسيكيـة، كـما شـمـل الحـديث أصل الأنبـاط وتوسيع مملكتـهم في شبـه الجزيرة العربيـة، ووصفاً لأكـثر المواقع الأثرية أهمية فيها.

دعم المؤلفـان الحـقائـق التاريخـيـة التي أوردها بعـدد من الصور الفوتوغرافية والخرائط.

النابلسي، محمد أحمد/ النفس المغلولة: سيكولوجية السياسة الإسرائيلية.. طرابلس (لبنان): مـركـز الدراسـات النفـسـيـة والنفـسـيـة الجـسـدية م.د.ن، ٢٠٠١م، ١٧٧ص.



عـرف عن إسـرائـيل، عـبـر تاريخها، كيدها للعرب وعدوانها ضدهم، وممارستها في ذلك كل أنواع الـزيف والمكر والخـداع مـسجلة كـثـيـراً من الاختراقات المؤذية في الجانب العربي.

وقـد تجلى الخـداع الإسـرائيلي في اعـتـمـاد إسـرائيل لمصطلحـات لهـا دلالات ظاهرية إيجـابيـة، إلا أن إسـرائيل تعتـمد الدلالات الباطنة لهذه المصـطلحات، فالسلام بالنسبة إليها هو مجرد تسوية مؤقتة بانتظار التطورات الإستراتيجية العالمية، والتطبـيع هو الدخول في علاقة مـصلحة مع العرب دون الاعتراف بهم، وهكذا.

لذا كـان لابد من التـعـرف إلى الحـركـات النفسـيـة

الإسرائيلية وإلى السمات الخاصة بالشخصية اليهودية، وتوظيف الأنثروبولوجيا النفسية والسيكولوجيا معًا لتوضيح المواقف الإسرائيلية المسبقة والنوايا الناجمة عنها، وهو ما فعله المؤلف في اثني عشر فصلاً جاءت تحت العناوين الآتية: «التحليل النفسي للشخصية اليهودية»، و«سيكولوجية الخداع الإسرائيلي ـ التطبيع نموذجًا»، و«سيكولوجية الاحتيال ـ المفاوض الإسرائيلي نموذجًا»، و«سيكولوجية السفاح ـ شارون نموذجًا»، و«الصهيونية والحرب النفسية»، و«عقدة فيتنام الإسرائيلية»، و«القدس والنفط والمستقبل»، و«خدعة التدوين المتشابك للتاريخ»، و«من ملفات الإرهاب الصهيوني»، و«معادات السامية والدلالات المستعارة»، و«نهاية إسرائيل واستمرار لعبة الأمم»، و«لنا ما ليس يرضيكم.. لنا المستقبل».

دعمَ المؤلف الحقائق التي وردت في الكتاب ببعض الصور الفوتوغرافية.

محجوب، سليمى/ ومضات من الفكر والقلب: مقالات وخواطر أدبية.. دمشق: دار عكرمة، ٢٠٠١م، ٢٠٠ص.

يحتوي الكتاب على مجموعة من المقالات المتنوعة حاولت المؤلفة من خلالها أن ترصد بعض المواقف الاجتماعية السلبية في الحياة، وتوجيه حركة المجتمع إلى مستقبل أكثر أمانًا واستقامة وجمالاً. وقد حاولت في هذه المقالات ـ كما قالت ـ: «أن أقف مع الحزن تارة مودعة الراحلين، وأرصد فيها وضع المرأة ومواقفها، وأصف الطبيعة في إعراضها، وعطائها، وانفعالاتها. وأتوقف مع اللغة والأدب لأجد لي مراحًا، بعد أن أسقطت ضوءًا على بعض الأخطاء الاجتماعية، علها تجد لها انزياحًا، فتطمئن نفوس تنشد الصفاء والهناء والخير...».

جاء الكتاب في ستة فصول، جاءت تحت عناوين: «رحيل»، و«مع المرأة»، و«اجتماعيات»، و«مع الطبيعة»، و«رصاص وحجر»، و«لغة وأدب».

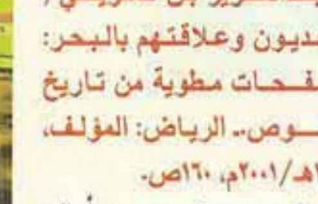


المطري، السيد خالد/ جغرافية شبه الجزيرة العربية.. الرياض: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٧٨ص.

يقصد الكتاب إلى سد النقص في المراجع الحديثة عن شبه الجزيرة العربية التي يحتاج إليها الدارسون من الطلبة والطالبات بالجامعات العربية؛ لأن أغلب المراجع في هذا المجال تعود بياناتها ـ خاصة فيما يتعلق بالسكان والعمران والموارد الاقتصادية ـ إلى أكثر من ربع قرن مضى، وهو ما لا يعبر بصدق عما هو حادث الآن في هذه المنطقة.

يقع الكتاب في ثلاثة أبواب رئيسة، جاء الأول عن الجغرافية الطبيعية لشبه الجزيرة العربية بجوانبها المختلفة، بينما جاء الثاني عن السكان والعمران، واختص الثالث بدراسة الموارد الاقتصادية لشبه الجزيرة العربية وبخاصة الموارد الزراعية والحيوانية.

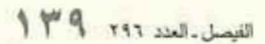
دُعمت المعلومات التي وردت في الدراسة بعدد من الخرائط والأشكال البيانية والجداول الاحصائية.



الضويحي، عبدالله بن عبدالعزيز بن ضويحي/ النجديون وعلاقتهم بالبحر: صفحات مطوية من تاريخ الغوص.. الرياض: المؤلف، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ١٦٠ص.

مارس عدد كبير من أهالي نجد بالمملكة العربية السعودية مهنة الغوص واستخراج اللؤلؤ قبل اكتشاف الزيت «البترول»، وتوارثوا هذه المهنة على مدى أجيال متعاقبة، وقد قاسوا كثيراً من الشدائد والمحن وهم يقطعون صحارى الربع الخالي من أجل الوصول إلى مغاصات اللؤلؤ في الخليج العربي بحثًا عن الرزق والحياة الأفضل.

جاء الكتاب في ستة أبواب رئيسة، تناول الباب الأول عرضاً لبعض المصطلحات عند أهل الغوص وبيّن معانيها،



وتناول البـاب الثـاني الحيـاة علـى ظهـر السفينـة في أثناء الغوص، أما الباب الثالث فهو صلب الموضـوع وجاء بعنوان «النجديون يمتـهنون الغوص»، وجاء الباب الرابع استكمالاً للباب الثـالث وهو الحديث عن مجـموعة أخـرى من ممتهني الغوص خـرجـوا من قلب الصـحـراء وبوادي نجـد (البدو) ليجاروا إخوانهم أهل الحاضرة للعمل مع البحارة، وناقش في الباب الخامس تأثير رحلات الغوص على الحياة الاجتماعية والفكرية في نجد، وأثبت في الباب السادس والأخير أشهر قصـائد الغـوص في منطقـة الخليج والتـي يرددها الناس، ثم بعض الشوارد من الشعر المتعلق بالغوص.

بذل المؤلف جهداً كبيراً في سبيل الحصول على معلومات هذا الكتاب، فـاستقى بعض أحـداثه من أفواه معـاصري تلك الفتـرة الذين مـازالوا على قـيـد الحيـاة، بـل ذهب إلى بلاد الغوص نفسها فزار البحرين، وقطر ومـتحفها ومركز التراث الشعـبي فـيـهـا وحـصل على كـثـيـر من المراجع والصـور الفوتوغرافية النادرة التي وثّق بها هذا الكتاب.

مـور، باتريك/ دليل فـيـليب للنجـوم والكواكب، ترجـمـة: عبدالقوي زكي عيّاد.- الرياض: جـامـعـة الملك سـعـود، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٣١٥ص.

يضم هذا الكتاب عشرة فصول وتمهيداً، جاء فصله الأول بمقدمة في علم الفلك، الذي يعد من أقدم العلوم التي عرفـها العـالم، تناول فيه المؤلف المصطلحات الفلكية وتقنيات الرصد، ثم تلا ذلك ثمانية فصول عن الكواكب والنجوم بهدف إعطاء خلفية أساسية لفهمها.

أمـا الفصـل العاشـر الذي جـاء بعنوان «الـكوكـبـات النجـوميـة» فقد تضمن خـرائط للسمـاء وفصـول السنة مما يسـهل تحديد مكان أي كـوكبـة، ثم أورد فيـه رسماً تـفصيليًا لجميع الكوكبات الثـماني والثمـانين مع معلومات وافية عن نجومها اللامعة، ومـا يهم من المزدوجات والمتغيرات، وكذلك الأجسام غير النجومـية. وقد بني التعليق الوصـفي المرافق للخرائط على أساس ظروف الرؤية الممتازة.

يحتوي الكتاب أيضاً على عدد من الجداول عن تاريخ كل من الفلك وغزو الفضاء، وقوائم مستـفيضة بأسماء الكوكبات النجومية، إلى جانب ثبت بالمصطلحات وفهرس شامل.

مـؤلف الكتـاب باتريك مور قـام بتـأليف مـا يزيد على ٦٠ كـتابًا، وظل يقدم لهيئـة الإذاعة البـريطانيـة حلقات تلفـازية شـهـرية عن السمـاء في أثنـاء الليل منذ عـام ١٩٥٧م دون انقطاع.



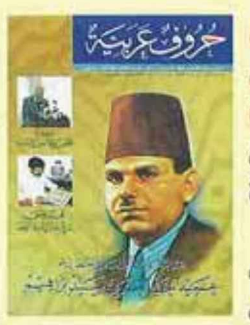
الهاشمي، أبو جعفر عبدالخالق بن عـيـسـى العـبـاسـي (ت ٤٧٠هـ)/ رؤوس المسـائل في الخـلاف علـى مـذهب أبي عبدالله أحمد بن حنبل، تحقيق: عـبـدالملك بن عـبـدالله بن دهيش.- بيـروت: دار خـضـر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢مج، ١٠١٦ص.

علم الخـلاف هو «علـم يعـرف به كـيـفـيـة إيراد الحـجج الشـرعيـة، ودفع الشُبـه، وقـوادح الأدلة الخـلافيـة، بإيراد البـراهين القطعيـة»، وقـد لقي هذا العلم اهتمامًا كـبيراً من العلماء فصنفوا فيـه كتبًا كثيرة، جمعوا فيـها الأقوال الخلافية في فروع الشـرع. وكـتب الخـلاف على صـنفين: صنف في الخـلاف فـي المذهب، وصـنف فـي الخـلاف بين المذاهب الأربعة، أو مع بعضها، وهذا الكتاب من الصنف الثاني.

وتنبع أهمـيتـه من المنهج العلمي الذي سلكه المصنف في إيراده للمسـائل، إذ يستـدل للمسـألة بالقرآن الكريم، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين.

يقع الكتاب في مجلدين احـتويا على (١٩٦٠ مسألة) علق المحقق على مسائله العلمية بما يلزمها من توثيق، وصدّر ذلك بدراسـة وافيـة، شملت: التـعريف بالمؤلف، والحياة العلميـة والتاريخية والاجتماعيـة في عصره، وشـيوخه، وتلامـيذه، وأعـمـاله، ومـصـنفاتـه، ودراسة عن الـكتاب، ومـفـهـوم علم الخـلاف، ومـا صنف فـيـه من كـتـب في المذهب الواحـد، أو المذاهب الأربعة، أو بـعضهـا، ثم استعـرض منهج المؤلف في كتابه، وبيّن طريقة عمله فيـه، ثم وصف النسخ الخطية التي اعتمد عليها.

حروف عربية (س۱، ع۱، رجب ۱٤۲۱هـ/أكتوبر ـ تشرين الأول ۲۰۰۰م)



مجلة فصلية تعنى بشؤون الخط العربي، تصدر عن ندوة الثقافة والعلوم في دبي.

وهي تمثل إحدى مساهمات ندوة الثقافة والعلوم التي ظلت تسجل حضوراً فاعلاً في الساحة الثقافية والفكرية في دولة الإمارات العربية المتحدة طوال ثلاثة عشر عاماً.

حفل هذا العدد، وهو الأول منها، بكثير من الموضوعات التي تعنى بشؤون الخط العربي، فكتب الدكتور محمد الشريفي عن «الخطوط المغربية»، والدكتور عمر عبدالعزيز عن «سيمياء الحروف»، بينما تناول تاج السر حسن «الحرف العربي في تقنية الاتصال»، واستضاف محمد مختار جعفر «خطاط من الإمارات العربية»، وعمر صلاح «جماعة من سويسرا»، وتناولت أسرة التحرير سيرة «عميد الخط العربي سيد إبراهيم» إذ كان ذلك موضوع الغلاف، وناقش الدكتور صلاح شيرزاد «طريقة الخطاطين في خط النسخ»، وجاء موضوع يوسف بن عيسى عن «أخبار مجرّبة»، ومحمد المر عن «تعريف كتاب»، ثم موضوع عن «موقع على الإنترنت» وكان عن موقع الفنان العربي كامل البابا وابنه الفنان مختار البابا، وآخر عن «ملتقى الخطاطين في بيروت»، وختمت الدورية بـ «أخبار وفعاليات»، وقصيدة للشاعر الإماراتي محمد صالح القرق.

العنوان :ص.ب ١٦١٣٣ ـ دبي/الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف ٢٧٢٢٢٥٢ ـ ٤ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٢٧٢٨٨٧٨ ـ ٤ ـ ٩٧١

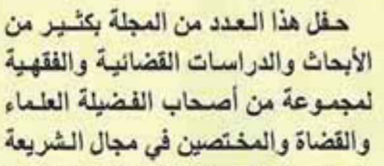
تفكُّر (مج۲، ع۲، ۱٤۲۱هـ/۲۰۰۰م)

مجلة محكّمة نصف سنوية تصدر عن معهد إسلام المعرفة (إمام) بجامعة الجزيرة ـ السودان.

جاء هذا العدد من الدورية حافلاً بعدد من البحوث التي تتعلق بالدراسات الإسلامية، وقد جاءت تحت عدة ملفات، ففي ملف فلسفة العلوم والفلسفة كتب الدكتور عباس محجوب عن «مدخل إلى إسلام التربية»، وفي ملف ظاهرة الوحي جاء موضوع الدكتور جمال الدين عبدالعزيز شريف عن «المفردات والمفاهيم القرآنية ـ رؤية بلاغية»، وتناول الدكتور عوض إبراهيم عوض في ملف الظاهرة الاجتماعية «نظريات الاتصال العالمية ـ رؤية إسلامية علمية»، وكتب الدكتور أحمد علي عبدالله في ملف أوراق للنقاش عن «المسؤولية الجنائية للمصارف بصفتها شخصيات اعتبارية»، كما تناول الدكتور مبارك محمد علي المجذوب موضوع «الاستنساخ من منظور إسلامي»، وفي ملف التقارير والمراجعات كتب الدكتور عبدالله محمد الأمين عن «فقه الأولويات»، وتناول علاء الدين حسن عبدالباقي وعالية بلة السعيد «قائمة وراقية عن علم الاجتماع والأنثربولوجيا بمكتبة الفاروقي».

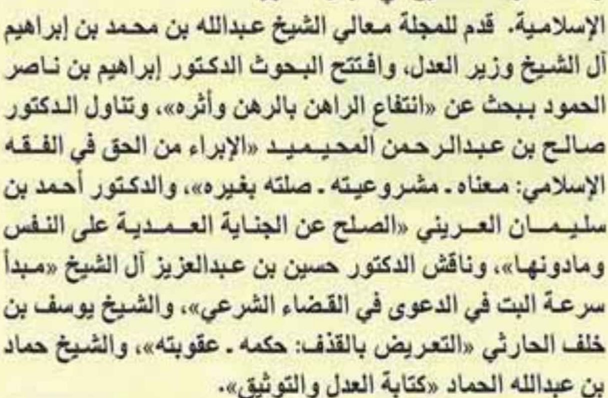
العنوان: مجلة تفكُّر ـ معهد إسلام المعرفة (إمام) ـ ص.ب ٥٢٦ واد مدني ـ السودان. ت/ناسوخ: ٤٣٣٩٩ ـ ٥١١ ـ ٢٤٩

العدل (س۲، ع۸، شوال ۱٤۲۱هـ)



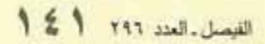
مجلة فصلية علمية محكّمة تعنى بشؤون الفقه والقضاء.. تصدر عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية.

حفل هذا العدد من المجلة بكثير من الأبحاث والدراسات القضائية والفقهية لمجموعة من أصحاب الفضيلة العلماء والقضاة والمختصين في مجال الشريعة الإسلامية. قدم للمجلة معالي الشيخ عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل، وافتتح البحوث الدكتور إبراهيم بن ناصر الحمود ببحث عن «انتفاع الراهن بالرهن وأثره»، وتناول الدكتور صالح بن عبدالرحمن المحيميد «الإبراء من الحق في الفقه الإسلامي: معناه ـ مشروعيته ـ صلته بغيره»، والدكتور أحمد بن سليمان العريني «الصلح عن الجناية العمدية على النفس ومادونها»، وناقش الدكتور حسين بن عبدالعزيز آل الشيخ «مبدأ سرعة البت في الدعوى في القضاء الشرعي»، والشيخ يوسف بن خلف الحارثي «التعريض بالقذف: حكمه ـ عقوبته»، والشيخ حماد بن عبدالله الحماد «كتابة العدل والتوثيق».



وفي باب من أعلام القضاء، ترجم محمد بن عبدالله المقرن لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح آل صالح، وجاء لقاء العدد مع معالي الشيخ منصور بن حمد المالك رئيس ديوان المظالم المكلف، وختمت المجلة بـ «صدى العدل»، وهي موسوعة تعنى بالتوعية القضائية وتلقي الضوء على مناشط الوزارة وإنجازاتها.

العنوان: وزارة العدل ـ الرياض ١١١٣٧
هاتف وناسوخ: ٤٠٢٣٣٦٥/ ٤٠٥٩٧١٦



ثقافة الطعام

منصور عبدالجليل القطري
الدمام - السعودية

تمثل عادة الطعام جزءاً من ثقافة الشعوب، لذلك يوليها العلماء اهتماماً كبيراً، عند دراسة المجتمعات، وهم - على سبيل المثال - يطرحون سؤالاً حول سبب انتشار السمنة (عدم الرشاقة) عند بعض الشعوب دون غيرها؟

وقد طالعنا - مؤخراً - مقالة أجنبية تتحدث عن السمنة عند الشعب الأمريكي. وتذكر المقالة (ودون تحرج أو حساسية) أن أكثر من نصف الشعب الأمريكي هم من السمان؟ وكان من بين أسباب ظاهرة السمنة هذه هو طبيعة الغذاء الذي يتناوله الشعب الأمريكي بسبب انتشار مطاعم الوجبات السريعة.

نقد الذات

وتضيف المقالة سبباً آخر يتحدد في طريقة الأكل، فالأمريكي مثلاً يتناول بعض الأكلات الخفيفة بين الوجبات الرئيسة كعادة قائمة Little Snacks، إلى جانب عدم ممارسة الأمريكي للتمارين الرياضية، والميل إلى قيادة السيارة حتى في المسافات القصيرة، وهذا يعني كراهية المشي. كما يمارس الأمريكي عادة الاستلقاء على الأريكة، التي يستخدمها عوضاً عن الحركة. وتختتم المقالة حديثها بشعار تحريضي «المزيد من الدهون يجعل حياتك أقصر» Extra fat may make your life shorter.



وتمارس المقالة نقداً لثقافة الطعام الأمريكية، وفي تقديرنا أن الوطن العربي أكثر احتياجاً إلى ممارسة النقد الذاتي، وإلى ممارسة عملية التأمل الذاتي وعلى الأخص في واقعنا المعيشي والصحي، فالدلائل متعددة، منها - على سبيل المثال - ما أكدته الجمعية المصرية للسمنة أن (٣٥ - ٤٠٪) من المصريين مصابون بداء السمنة، وأن هذه النسبة تزيد في المرحلة العمرية بين (٣٠ - ٥٠) سنة، وأنها تزيد لدى السيدات عنها في الرجال، وعلى الأخص أولئك النسوة اللاتي يعشن في مجتمعات مغلقة بلا نواد رياضية. ويذكر التقرير أنه يتردد على عيادة السمنة في مصر ما لا يقل عن (١٢٠٠) حالة يومياً، وهو ما لم يحدث في أي مكان في العالم (راجع مجلة عالم الإعاقة - مارس ٢٠٠٠م).

وقفة اجتماعية (سوسيولوجية)

وكنا بصدد تسجيل وقفة اجتماعية حول ثقافة الطعام. فالعرب قديماً، وعلى الرغم من قساوة العيش وشح الموارد لكون معظم أجزاء شبه جزيرة العرب أراضي صحراوية قاحلة، كانت علاقتهم ببيئتهم حميمة. وقد عكست اللغة العربية ممثلة بالشعر صورة رائعة لتلك العلاقة التي يشكل الطعام أحد مظاهرها الثقافية والاجتماعية. وكان الشعر أحد أدوات التعبير البارزة في ذلك الزمان، فقد قدم لنا صورة لذهن متقد يشع بالدفء، ويجسد منظومة القيم الدينية والاجتماعية في مخزون ثقافة الطعام، كالكرم وحسن الضيافة، والتصدق ولو بشق تمرة، وإغاثة الملهوف، والصوم، والاحتفال بالأعياد الدينية. فعرب الأمس تمتعوا بطعامهم ووصفوه بشكل مبدع يتناسب مع قيم ذلك العصر، واستطاعوا أن يحدثوا توازناً بين حياتهم وبيئتهم.

وبالموازنة مع حال المجتمعات العربية اليوم وبعض شعوب العالم، فقد نرصد شيئاً من الاغتراب لدى المواطن العربي في علاقته بالموروث البيئي. على سبيل المثال عندما تراجع كتب الجودة والموضوعات الخاصة بأهمية أدوات الجودة في هذه المرحلة سوف تصادف مصطلح عظم السمكة الذي طوره العالم الياباني كارو ايشيكاوا عام ١٩٤٣م بحكم ثقافته اليابانية البحرية، وهي طريقة بيانية لوصف السبب لحدث معين ويعرف ببيان عظمة السمكة أو ايشيكاوا ويمكن متابعة ذلك في كل كتاب يتحدث عن الجودة!؟ وكأن هناك حالة من العصرنة للموروث الروحي والثقافي البيئي وتوظيفه لكي يتواصل مع معطيات وإبداعات العصر الحديث عند كثير من الشعوب.

الثقافة التحتية

وعند استخدام أدوات الباحث في ميدان الإنسانية (الأنثروبولوجية) الثقافية فإننا نستطيع أن نعد أسلوب تعامل أي شعب من الشعوب مع الطعام يقع ضمن ما يعرف بالثقافة المقنعة Cover - Culture، وهي مجموعة من المسلمات وراء أنماط السلوك والتفكير، بمعنى أنها تجسد التصور القائم خلف تلك المسلكيات. وقد نستعين هنا بتصنيف ألف لنتون في الأبعاد الثلاثة للثقافة:

- جانب مادي ويمثل منتجات الصناعة.
- النشاط وهو أنماط السلوك الظاهرة.
- الجانب النفسي (السيكولوجي)، الذي يتضمن المعرفة والقيم

والاتجاهات المشتركة بين الأعضاء.

فالجانبان الأول والثاني يؤلفان الثقافة الظاهرة، والجانب الثالث يعبر عن الثقافة المقنعة. لذا فليس مستغرباً أن يطالعنا كتاب «التأرجح بين العصور» Rocking The Ages للمؤلفين: جي سميث وآن كلارمان بالتركيز في دور القيم في صراع الأجيال، فعندما تلقي نظرة على الأجيال التي تتعايش معاً وفي الزمان والمكان نفسيهما ستجد جيل والديك وجيل أبنائك، وبالطبع جيلك أنت. لكل من هذه الأجيال قيمه الأخلاقية، وعاداته الاستهلاكية، وطموحاته الذاتية. فلا تتوقف هذه الأجيال عن التصارع حول قيمها وعاداتها وطموحها. فمثلاً يعشق جيل الأبناء تناول الوجبات السريعة في ماكدونالدز بينما يصر جيل الآباء على تناول الوجبات المنزلية، ويرى مطاعم الوجبات السريعة من مظاهر التفكك الأسري!.

ويحتدم الحوار الفكري حول ما يعرف بالخصوصية الثقافية والعولمة، ويقفز إلى الذهن تساؤلات ما إذا كانت المطاعم السريعة تمثل نوعاً من الاختراق لهذه الخصوصية. فالجميع يشعر بأن «إيقاع الحياة» أصبح سريعاً.. والجميع يشعر بأن مطاعم الوجبات السريعة بدأت تنتشر على الرغم مما فيها من سلبيات غذائية، كاحتوائها على كميات عالية من الدهون والسكريات! ولعله من المناسب أن نطالع بعض الكتب التراثية لكي نرسم بعض خطوط القيم الثقافية وعلاقتها بثقافة الطعام، وكأن التاريخ يعيد نفسه.

ويحضرنا هنا كتاب محمد كرد علي «مآكل العرب» في: المقتبس، وفي إشارة إلى «أن عرب الشام كانوا يأخذون عن الروم كل شيء طريف ولقمة كريمة ومضغة شهية» وكذلك عرب الحيرة فإنهم لقربهم من بلاد الأكاسرة فقد أخذوا عنهم «رفاهة العيش والناعم من الطعام». كما تردد عرب البادية وشعراؤها إلى هذين المركزين، ووصفوا ما رأوه هناك من رغد العيش والرخاء، كقول حسان بن ثابت في وصف قصور الغساسنة:

ديار زهاها الله لم يعتلج بها
رعاء الشويّ من وراء الشوائل

ولا يشك أحد من جيلنا في أن الوجبات المنزلية أشهى مما يطبخ في المطاعم السريعة كـ: «كنتاكي» و«برجر كنج» و«ماكدونالدز»، حتى ما يطهى في قصور الغساسنة! ولسنا الوحيدين الذين يترحمون على جلسات الاسترخاء العائلي، فهناك، ومن رحم ثقافة البلاستيك يطل علينا الكاتب الأمريكي «دوجلاس ماكي» في كتابه الماتع: «أنصحك وأنت حر» إذ يتأوه قائلاً: إننا لم نستمع بالطعام كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا.. لم نعد نجلس أمام المائدة وندعو الله أن يديم علينا نعمته، إننا نهرول في الشوارع نحمل ساندويتشاً نقضمه ونحن نسرع إلى هنا وهناك، ولم تعد الأم تدخل المطبخ لتعد طعام أسرتها المفضل.. إنها فقط تتحدث في الهاتف، وتأتي لفات الطعام الجاهز المصنوع بالشحوم الصناعية الميتة.. وباللحم الذي ظل في الثلاجات سنوات.

وينصحنا الرجل أن نغلق الهاتف ساعتين يومياً وكذلك الجوال، وأن نغلق التلفاز ساعتين أيضاً، وفي أيام الإجازات نغلقه طوال اليوم وأن نأخذ الأسرة ونخرج بعيداً.. وأخيراً ينصحنا ماكي أن نصر على تناول الغداء والعشاء المطهو في البيت!!.

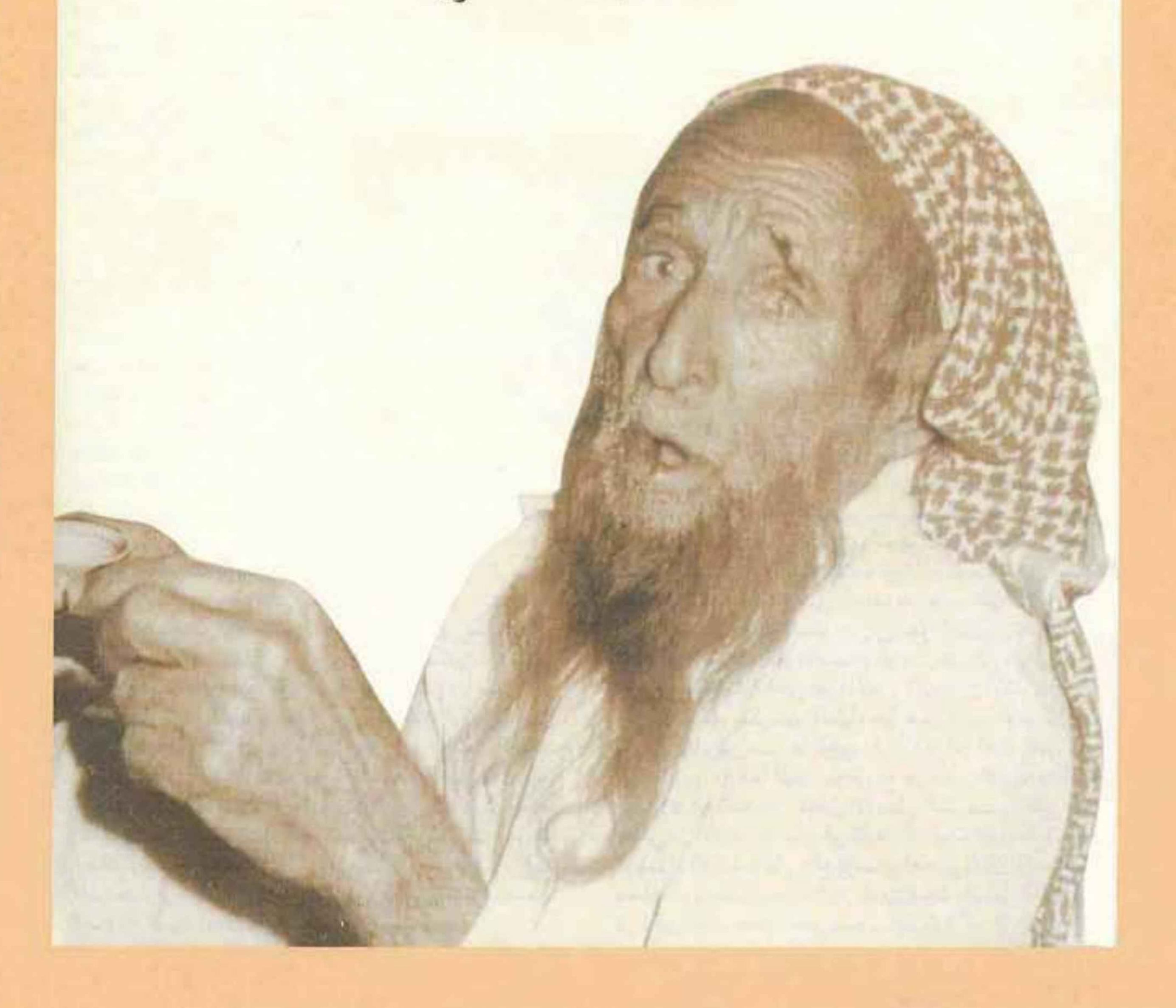
الاهتمام بالإنسان

وإذا كانت محاولة هذا الكاتب تقع ضمن الجهود الفردية التي تطمح إلى الخروج بالأسرة وبالفرد من شبح ضغوط الحياة المعاصرة، فإن الملاحظة الأهم تتجسد، فيما نظن، في خصوصية المجتمعات الأنجلو أمريكية وتميزها، والمتمثلة في وجود مؤسسات وهيئات ودراسات للبحث تقوم برصد عادات الناس اليومية وسلوكهم وتحليلها. وتقوم بتنفيذ الدراسات، وبطرح المشكلات والحلول، وكذلك تقوم الهيئات بوضع توصيات غالباً ما تكون على شكل حملات تثقيف وتوعية عبر الوسائل الإعلامية المختلفة، فمثلاً، وقبل عدة سنوات تم طرح مشكلة طريقة الأكل عند الأمريكيين، فقد سجلت الدراسة أن غالبية العينة تأكل الوجبة بشكل سريع ومن دون مضغ، وإذا صح التعبير يقومون بعملية بلع الطعام دون مضغه! فجاءت الحملة الإعلامية لتشجيع المواطن الأمريكي على مضغ الأكل، فالأكل السريع يؤثر في عملية الهضم، وقد يخلق مشكلات صحية خطيرة على الإنسان، كأمراض السرطان. وأتت الحملة بنتائج طيبة، لكن ظهرت مشكلة جديدة، إنها مشكلة تتعلق بالأسنان، وبدأت بعد ذلك حملة إعلامية جديدة أيضاً تستهدف العناية بالأسنان وبصحة الفم.

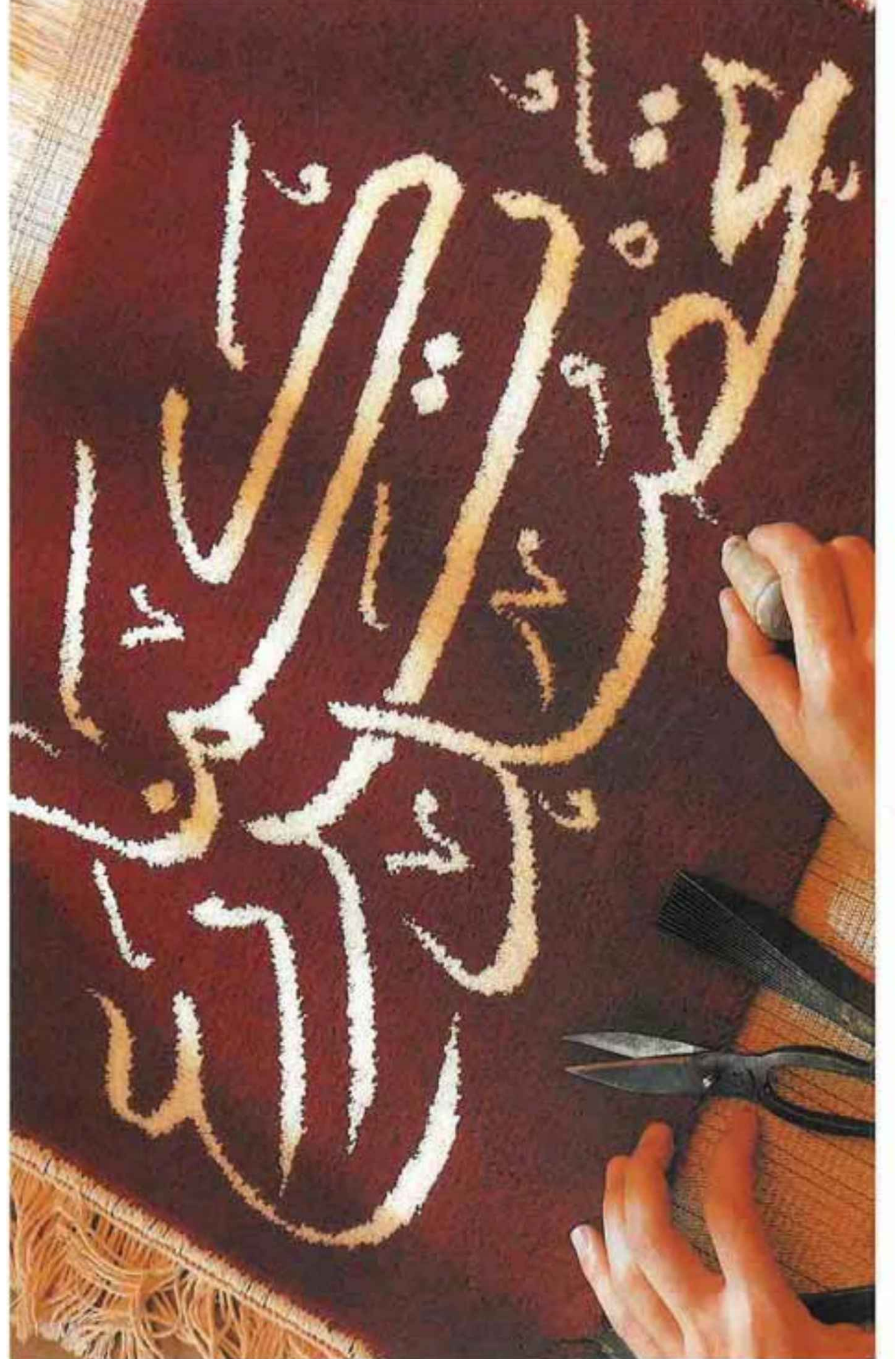
وهكذا تتواصل الدراسات والبحوث من المواطن وإلى المواطن، أو بمسألة الاهتمام بالإنسان، كما ورد في العنوان؛ لذا فليس من المستغرب أن يخالج الناس شعور بأن هذه الدراسات الميدانية لعلها أفضل من الصور والأشكال المجردة التي استهوت الفلاسفة والمفكرين والصوريين الذين عزلتهم معارفهم عن فهم حاجات الناس، وعن فهم الواقع الاجتماعي للناس. وقد طالعنا إحدى المرات ما كتبه سلامة موسى بما مضمونه أن مناقشة عدم وجود حمامات عامة في الأرياف وما يترتب على ذلك من بيئة صحية بسيطة أفضل ألف مرة من أن أناقش الصيرورة التاريخية، وهذا أيضاً ما يؤكده عالم الاجتماع المعاصر علي الوردي، والذي لا يخفي إعجابه بعامة الناس غير المثقفين، لأنهم يرون الأشياء اعتماداً على إحساسهم وتجربتهم العملية، مما يجعل الرؤية أقرب إلى واقع تلك الأشياء من صورها المجردة في أذهان أهل الفكر الطوباوي. وكأن الوردي في هذا الموقف يتوافق مع ابن خلدون الذي يعد الثقافة الصورية القائمة على المنطق الأرسطي أكثر ضرراً على الفكر العلمي من الأمية. إننا ندعو إلى تكثيف الدراسات الميدانية، وتسليط الأضواء الكاشفة على واقع الإنسان العربي، وكل ذلك من أجل مصلحته ومستقبله وسعادته! وأن نقوم بالبحث والتحليل لواقعنا بدلاً من تعليق أسباب معاناتنا على مشجب الطرف الآخر الأجنبي.

فهرست الشعر النبطي

سعد العبد الله الصويان



طُبع في مطابع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



قيم نبيلة سامية، وتقاليد عريقة راسخة

من نبع تراثنا الأصيل، كانت ومازال المعين

الذي لا ينضب لمسيرة هذا الوطن.

استلهمنا منها أعمالنا واتخذناها منهاجاً

وعلى طريقها القويم تابعنا مسيرة النجاح .

اليوم وفي المستقبل، سنبقى أوفياء لقيمنا

الأصيلة متمسكين بها ملتزمين بنهجها

لتبقى دائماً الأساس المتين لنجاحنا المستمر .

نعتزّ بقيمنا

شركة الراجحي المصرفية للاستثمار
AL RAJHI BANKING & INVESTMENT CORP.